

عشر سنوات فى مقاومة الجاسوسية

بوريس موروس

كما أملاها : لتشارلز صمويل

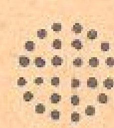
جمال - عزت

BORIS MORROS

MY TEN YEARS AS A COUNTERSPY

As told to

CHARLES SAMEULS



New York — نيويورك

١٩٥٩



عشر سنوات
فى مقـــاومة الجاسوسية

بوريس موروس

كما أملاها لتشارلز صمويل

BORIS MORROS

MY TEN YEARS AS A COUNTERSPY

As told to CHARLES SAMUELS

New York — نيويورك

١٩٥٩

تقـــديم

صاحب هذه القصة موسيقى روسى يهودى استوطن أمريكا وأصبح من كبار منتجى الافلام ومخرجيها فى هوليوود ، لجأ اليه الروس بالوعد والوعيد كى يتعاون معهم فى تجنيد الجواسيس لصالح المذهب الشيوعى فى أمريكا ، الا أنه وقد كان يهوديا آثر مصلحته الذاتيـة قبـل كل شى ، ولم يبهـره بريق المبـادىء الشيوعية لانه لم يهتم يوما بالسياسة وأمورها فهو رجل أعمال لا رجل سياسة ، كمـا أن الشيوعية ستبعده عن حقـل أعماله ونتائجه ، ثم أن الشيوعيين آذوه فى أهله الذين تخلفوا عنـه فى روسيا ٠

وبما أنهم أرادوا منـه أعمالا ولم يؤجروه مالا ، لذلك أخـذ يتباطأ ويتوانى ، فضغطوا عليه والحـوا فى ضغطهم ، وسترى فى الكتاب تفصيل ذلك ٠

لذلك حاول التخلص منهم ٠

وعندما خلاالى نفسه وازن بين أمسه ويومه ، ورأى فى الامس أنه كان أمريكيا يشار اليه كصاحب عمـل ناجح فى هوليوود التى قلما يلمع فيها رجل الا بعد عناء وعرق ، وأحس فى يومه أنهم أرادوه خائنا لوطنه الذى اختاره فيصبح جاسوسا عليه وعميلا لهم دون مثوبة وأجر بل ناشدوه على ذلك بحق وطنـه الاول عليه ٠

رأى اذن أن فى اليـوم خسـارة أدبيـة ومادية وضـياعا لمستقبله ٠٠٠ فاستسلم مختـارا الى ادارة المباحث الجنـائية الامريكية نادما ، وقـد أدرك عندئذ أنهم فى هذه الادارة كانوا

يتبعونه كظله وأنه ان لم يكن قد استسلم لهم اليوم شريفا فقد كانوا حتما سيقبضون عليه في الغد خائنا ٠

اشاروا عليه ـ ان قبل ـ بأن يستمر في تظاهره بمؤازرة الروس كي يكشف للامريكيين عن حلقات تجسسهم على أمريكا وخططهم فيها ، فكان جاسوسا ذا وجهين يثق به الطرفان ويخصونه بمودتهم ، ولكنه كان مخلصا للامريكيين مرائيا للروس ، فهو رأسمالي ناجح يرى في الشيوعية خطرا عليه وعلى أمثاله ، كما رأى في أمريكا من أول الامر ملاذا ووطنا عزيزا عليه فقد نجح فيه ٠

يشرح الكتاب كل هذه الخطى شرحا لطيفا ـ بل ودون أن نخشى خداع القارىء ـ فهو يشرحها شرحا دقيقا مفصلا ولانريد أن نزيد الكتاب تطويلا فنكرر ما قيل فيه ، فسيرى القارىء هذه الخطى ما بين نيويورك وفينا المحتلة وموسكو فيعرف كثيرا من سبل الطرفين ـ روسيا وأمريكا ـ في الحرب الخفية التي لا هدنة فيها ، وان كانت في هذه القصة كلها حربا هجومية من الروس ودفاعا من الامريكيين ٠

ان أغلب عميلات التجسس في الازمنة السابقة حتى وقت قريب كن جاسوسات غانيات بطبيعتهن تشترى الدولة منهن أجسادهن للايقاع برجال الحرب والسياسة من الاعداء ،

وأما اليوم فسترى الروس قد اختاروا الحسناوات من العقائل وبطرق يقولون عنها ـ الطريقة المعروفة ـ وهي كسر كبرياء المرأة بعد هتك عرضها خداعا ، وبذلك ترضخ المرأة التي كانت محصنة ، وعلى الرغم منها ٠

اما الشباب من طلبة الجامعات أو العلماء فبالاقناع بصواب المبدأ الشيوعى وبأنه الدستور الذى يجب أن يسود العالم ليسوده السلام • وبهذا الاقناع لا حاجة اذن لشراء ذممهم بالمال بتاتا بل أن مليونيرا أمكن بهذه الطريقة أن يقدم أمواله لهم طائعا •

وانا نقرر أن المؤلف كان حاقدا على الروس لايذائهم أهله وعنفهم معه ولانهم شابوا سمعته بين أهل وطنه أمريكا فقد عرف الجميع أنه عميل للشيوعيين فابتعدوا عنه ووجهوا اليه نظرات شائبة ، لذلك نراه مبالغا بعض الشيء • فقد نعاهم بالاجرام والاعمال الفاضحة والكذب والافق • وفى الواقع لا بد أن هناك فى هذا الجو ــ جو الجاسوسية ــ بعض هذه الآفات ولكن المؤلف (زودها ••)

انها قصة بل انه كتاب ملىء بالعبر والدروس لرجل الحرب ورجل المخابرات على الاخص •

مج ٧٦ ←

إيضـــاح
من المؤلف

كان نشر هذا الكتاب أحد الاحداث الهامة فى تاريخ حياتى ، ففى فبراير ١٩٥٧ كشفت وزارة العـدل فى الولايات المتحدة الامريكية لاول مرة أنها منـذ عشر سنوات بينما كانت تحقق معى كأحد جواسيس الروس ، كنت فى الحقيقة فى ذاك الوقت أعمل فى مقاومة الجواسيس بتكليف من ادارة المباحث العـامة الامريكية F.B.I. ٠

ومع ذلك فقد وشت بى مرارا احدى الصحف الامريكية بأنى خائن ٠

انى أؤكد أن هذه الاتهامات وجهتها الى عدد قليل من الصحافة ، وأما أغلب الصحف فى وطنى أمريكا فقد مجدتنى كرجل كنت ضحية شـك بدون وجه حق وذلك بالنسـبة لسـابق وجود صداقة بينه وبين فنانى هوليوود وأصحاب الاعمال فيها ٠

أما بول و ٠ ويليـامز الذى أصبح فيما بعـد المدعى العـام للولايات المتحدة للمنطقة الجنوبية فى نيويورك فقد كان حزينا من أجلى بالنسـبة للهجمات التى وجهتهـا بعض الصحف على سلوكى فأعلن أنى (مواطن مخلص عملت طول حياتى لصالح حكومة الولايات المتحدة) ٠

وبمساعدة المستروليـامز أمكن (توماس د ٠ جيلكرايست الصغير) اقامة الادعاء على (جاك سوبل) رئيس شعبة الجاسوسية الروسية وهو الذى ساعدت المباحث العامة الامريكية فى القبض

عليه ؛ كما فعلت فى رفع الادعاء على (ميرا) زوجة سوبل و (جاكوب البام) •

كانوا جميعا مع بعض موظفى وزارة العدل قد أطلعوا على الشهادة التى أبديتها عن الثلاثة وكذلك عن غيرهم من الرجال والنساء الذين اتهموا أيضا بالجاسوسية بعد التحقيق الدقيق معهم •

ويظهر لى أن كلمات المدعى العام الذى كان أوفق من يمتدح بعدل ثم يصدق (أولا يصدق) على الخدمات التى أديتها للبطش بهذه الشعبة المضللة (شعبة الجاسوسية) كما يجب أن ترفع عنى الرزء ؛

ولكن كلمات النائب العام ـ وليامز ـ لم تقو الا على أن تزيد هذه الهجمات القاسية ضدى •

وانى الآن أرحب بهذه الفرصة لاذكر لمواطنى الامريكيين القصة الحقيقية لمغامراتى الغريبة كجاسوس روسى وفى ذات الوقت أمريكى يعمل فى مقاومة الجاسوسية الروسية• وسأدع قارئى هذا الكتاب يضعون أنفسهم موضع القضاة والمحلفين على عملياتى وسلوكى • ومن بين اسطر هذه القصة سيتمكنون من أن يروا كيف كانت حياتى عندما أخذ الشيوعيون فى مطاردتى وفى نفس الوقت كنت أصيدهم تبعا لاوامر ادارة المباحث العامة •

لم أكن فى يوم من الايام خائنا ، واذا كنت قد أخطأت فى السنوات التى مضت قبلأن أعرض خدماتى على حكومة الولايات المتحدة فقد أخطأت دون وعى ، وكل اخطاء وقعت منى قدكفرت عنها تكفيرا كافيا •

وكل كلمة أذكرها فيهذا النّ عن الامورالحيالية والاخطار التى تعرضتلها كجاسوس مزدوللطرفين) هيحقيقة واقعة·
ويعلم الجميع نتائج هـذا العمل فأدين (سـوبل) وزوجته (وألبام) وهم اليوم فى السجن ·

أما (مارتا ضوض ستيرن والفرد · ستيرن) فقد هربا خلف الستار الحديدى عندما اتهما نيويورك بالجاسوسية وقبل أن يواجهوا التحقيق ·

و (جين فوستر زلاتوفسكى وزوجها جج) فضلا أن يقيا فى باريس عن أن يرجعا الى وطنهما لنفيتهمة خيانة الوطن عنهما ·

أما النتائج الكاملة لعملياتى كعضو فى المحث العـامة فى مقاومة الجاسوسية فلن يكشف عنها قبل سنوات أخرى لان سوبل وزوجته والبام لا يزال عندهم الكثير منالاسرار التى ان أدلوا بها للمحققين فستقع سلسلة طويلة من المقبوض عليهم من شركائهم وبذلك نكشف عن القصة الحيالية تى يقوم بهـا عملاء السوفيتالسريون ضد سلامة الولايات المتحدة الامريكية·

الباب الاول

يوم ان بدأت المباحث العامة استجواباتها

من الغريب أن تكون أخطر رحلة فى حياتى وقام لها شعر راسى من بين جميع رحلاتى حول العالم ، كانت رحلة لا تزيد على عشرة أميال بدأت من أحد استوديوهات هوليوود وانتهت عند مكتب المباحث العامة فى لوس انجليس .

كان هذا اليوم الذى قررت فيه أن استنجد بالمباحث العامة هو ١٤ يوليه ١٩٤٧ ــ يوم عيد الحرية لفرنسا فى جميع العالم .

حاولت أن استرخي واشعر بالتحرر في ذاك اليوم من الهم والخطيئة ، هذا ما كنت آمله ، ولكن الذى حدث هو أنى لم أتمكن من الصمود على هذه الحياة الضالة يوما آخر فقضيت نصف ساعة في مكتبى مكتئبا ومتفرسا فى التليفون قبل أن أجد الشجاعة الكافية لامسك به . كان يجب على أن اتذكر اننا نعيش فى أمريكا ، وفى أمريكا تجد دائما اعترافا بالجميل من المسئولين الحكوميين اذا ما عاونتهم يوما وأفدتهم بما تعرف .

وأخيرا أمسكت بالتليفون وناديت ادارة المباحث العامة ، وأجبت على من كلمنى (أنا بوريس موروس المنتج السينمائى فى هوليوود ، أود أن احدث شخصا هاما فى ادارتكم) .

فقال ــ احضر حالا يا مستر موروس (وأعطانى اسمه) سأنتظرك .

وكان صوته شابا وأدركت من صوته أنه مسرور جدا لمحادثتى ، وكلمة مسرور غير كافية ، فانه مجنون من الفرح .

كنت أود من قلبى أن أقول كل شىء فليس عندى أى نية لانكر الورطة التى وقعت فيها بانزلاقى فى شبكة الجاسوسية .

أمرت سائقي باحضار العربة الى باب الاستوديو ثم أمرته أن يأخذني الى لوس انجليس وعندئذ بدأت القصة الغريبة فى هذه المسافة التى لا تتعدى عشرة أميال وهي أهم ما لاقيته في حياتي • دارت بي الدنيا وحمدت الله أن سائقي هو الذى يقود العربة ولست أنا لانى فى هذا اليوم كنت فى حالة عصبية ، ولم تكن عندى أى فكرة عما اذا كنت مقودا الى الحرية أو الى السجن •

ثم حدث أمر يفوق العقل ، ففي وسط ما أنا فيه من جزع أخذت ذكريات السنوات الماضية تمر سراعا علىمخيلتى فى أسطورة جميلةسمعتها أو قرأتها عندما كنت في سانت بطرسبورج •

وهذه الاسطورة (وأذكرها الآن كما عرفتها منذ أربعين عاما) كانت عن قسيس كان مسافرا على نهر الفولجا وقد تعطلت السفينة البخارية التى تقله عن السير فوقفت• تذكر القسيس من اسم المدينة التىسحبت اليها السفينة للاصلاح أن هناك ديرا قريبا منها كان قد سمع عنه حكايات غريبة ففكر فى عمل زيارة قصيرة اليه •

أكد قائد السفينة للقسيس أنهناك فسحة من الوقت قبلأن يتم الاصلاح فاستأجر هذا عربة لتأخذه الى الدير •

كان الدير بعيدا فأخذ القسيس يردد أثناء ركوبه العربة ما سمع عن هذا الدير من الامور الغريبة ، فهل حقا ما سمع من أن الرهبان يخلعون ملابسهم عند المساء ويعيشون فى حياة بدائية متدثرين بجلود الحيوانات بعد أن اخاطوها الى بعضها ؟

وهل حقا أنهم كانوا جهلاء أميين ولا يعرفون القراءة أو الكتابة ؟

لم يتصور أن ما سمعه كان حقا وأنهم لذلك لا يعرفون الصلاة بل أنهم يؤدون صلاة من اختراعهم هم •

كان هذا بالنسبة لرجل قسيس كفرا وضلالا وبدعة • ولكنه تذكر أنه عندما سمع هذا عن الدير وأهله كان ذلك منذ زمن بعيد والآن يأمل من كل قلبه الطيب أن تكون الامور قد تغيرت •

عندما دخل الدير لم ير أن الامور قد تغيرت بتاتا ، فالرهبان قذرون ولم يحلقوا أو يسوروا ذقونهم وكانوا يلبسون جلود الحيوانات فعلا ، وكان حقا أنهم أميون ٠٠ فجزع القسيس وسأل :

ـ أليس منكم من يقرأ الانجيل ؟

فقال أكبر الرهبان سنا :

ـ كلا يا أبت ٠

ـ ولا حتى كتاب الصلاة ؟

لا يا أبت ٠

بعد ذلك أخذ الرهبان فى البكاء لما أصاب قلوبهم من الحسرة وذكروا له أن الخطأ ليس خطأهم فلم يزرهم أى واحد ليعلمهم القراءة والكتابة ، ولم يتعمدوا أى خطيئة فى حق الله ، وقد اخترعوا صلاتهم لانهم شعروا أنه يجب أن يقولوا شيئا لله فى كل يوم فذلك خير من لا شىء بالمرة ٠

هز القسيس رأسه وقد تألم كثيرا لخشوع ووداعة هؤلاء الرهبان الجهلاء ، فأخذ يعلمهم الصلاة لله وجعلهم يرددون الكلمات من بعده مرات ٠

أزف الوقت ولا بد أن يرجع القسيس الى السفينة ، والآن شعر الرهبان أنهم فى غاية السعادة فقد حفظوا كيف يصلون لله صلاة حقيقية وركعوا على الارض وقبلوا طرف ثوب القسيس ٠

تركهم بعد أن اقتنع بأنهم لن ينسوا الصلاة وعاد الى السفينة ٠

وعندما كان فى وسط النهر سمع أصواتا تصرخ من الشاطىء :

ـ يا أبت ٠٠ يا أبت ٠

فوقف فى منتصف السفينة واستمع الى بعض الرهبان وهم يصرخون:

ـ يا أبت قد نسينا بعض الفاظ الصلاة وفى هذه المرة لن يسامحنا الله ٠

نظر اليهم القسيس مبتسما وقال :

- بل سيغفر الله لـكم يا أولادى ولن يهتم ببعض كلمات نسيتموها .

قد قال القسيس حقا لان ايمان الرهبان الذى جعلهم يخوضون فى الماء عندما تبعوه بالحاح سيشفع لهم هذا الجهل .

هذه القصة كانت مجازا جميلا حضرنى من عهد طفولتى وقد وهبنى اليوم شيئا من راحة البال فى هـذا الوقت الذى كنت أشعر فيـه بالجزع فخف ما أحمل منه وقد أيقنت انى محتـاج لنفس الايمـان الذى احتوته صـدور هؤلاء الرهبان فعظمهم الله .

الا أنى كنت لا أزال ارتجف عندما دخلت مبنى ادارة المباحث العامة فى شارع سبرينج فأخذت المصعد الى الادارة وسألت عن الشخص الذى طلب منى الحضور حالا .

كان هناك رجلان ينتظرانى وليس واحدا فقط وقد جلسا الى مكتبيهما فى نفس الحجرة الصغيرة التى قادنى اليها الساعى .

كان أحدهما فى سن ٣٥ عاما والثانى ليس أكبر من ٣٠ عاما .

قلت بسرعة :

- هل كنتما تتبعانى ؟

فضحك أكبرهما سنا ، وقال الاصغر :

- مستر موروس . لا تسأل أسئلة بل اسرد لنا ماذا حدث .

وعندما ظهر على التردد قال :

- كنا ننتظرك منذ زمن طويل يا بوريس . كان يجب أن تحضر الينا منذ عام على الاقل .

أدرك الرجل الاكبر ما اشعر به فى ذاك الوقت فقال :

- نعم كنا ننتظرك منذ زمن طويل ولكن على كل حال لم تتأخر كثيرا .

أخبرتهما بكل شيء وعندما انتهيت من سرد القصة شعرت بأنى القيت عن عاتقى حملا ثقله طن .

الباب الث

أذرع وطني رو.تمتــد الى

كان كل شعب روسيا (امبراطورية رومانوف) التي ولدت فيهـا ليلة عيد الميلاد من عام ١٨٩٥ هم مثل ، روسيا الشيوعية خلف الستار القوى لا يعرفون عن العالم شيئا ـ الا ون المحظوظون ٠

كنا نحن جماعة المدرسين والفلاسفوسيقيينهم القليلون المحظوظون، [illegible] اليهود بأن نعيش فى بطرسبورج التى أصبحت فيما بعد العاصمة لنبيعاتنا وعلومنا ٠ ومع ذلك كنا نعلم أن يهودا آخرين يعيشون فى بؤس فهاء الامبراطورية ٠

لا أدرى كيف عرفت ذلك وأنا صغيرأذكر أن أهلى ذكروا ذلك أمامى٠

كان أبى مدرسا وأمى مغنية وكانت ة جميلة رقيقة وقد بقي شعرها ذهبيا كما هو حتى يوم ماتت ٠ كنت أ تمائهما التسعة وكنت ولدا نابغة ولعبت على السيلو وأنا فى الثامنة وأصقائد الاوركسترا وأنا فى العقد الثالث ٠ كان أبى يعتقد أننا تعلمنا ما فنهاية ، وكان رجلا له عقلية ذات حيوية يميــل الى تربيتنا ، فقــد قرأ كتى كل أمور الدنيــا وكان دسم المعلومات فهو لذلك رجل ممتاز ٠

فضــل أن يعيش فى بطرسبورج التمت بهـا أحسن المــدارس فى الامبراطورية الروسية فى تلك الايام وأم الى المدرســة الثانوية وهي تقــابل المدارس العليـا فى الولايات المتحالامريكية ، ثم الى الاكاديمية الامبراطورية للموسيقى ثم الى أكاديمية ا الشرقية ٠

ومنذ أن بلغت الثامنة كنت أظهر فى كنف فى الجوقة الموسيقية فى المدن حتى أوربا وسباستبول ، وقدمت الو.يدة فى كل مرة لعبت فيها

على السيلو (الربع) سواء على رح أو فى الحدائق العامة أو فى صالات الموسيقى • وأخيرا لعبت أمام بر ، وكنت كغيرى من الناس خائفا ومسحورا من أعين الراهب المجنراسبوتين الرهيبة •

وفى أثناء الثورة وبعدها عملت ا من الالحان والادوار الخالدة ، الا أنى تركت روسيا فى ١٩٢٢ لانى ، سمعت الكثير عن قادة السوفيت ، اعتقدت أنه لن يستهويهم رجل مى مثلى وقد لعب فى القصر الشتوى للقيصر نيقولا •

وبعد أن حضرت الى أمريكا فابخاصا كثيرا ما تهكموا على حكاياتى الغريبة عن نبوغى فى طفولتى وشبا ولم يضحكهم أكثر من ادعائى بأنى كنت المدرس الخاص (لجريجور بورسكى) الذى أصبح الآن يعتبر أعظم ضارب على السيلو فيما عدا (كاسلز) •

وهاك تفصيل الامر :

وصلت يوما الى مدرسة الموسيقى ادة فرأيت صبيا يبكى وهو ينزل عن السلم فى صحبة والده وهو فى سكرية نقائد موسيقى عسكرية • وكان الرجل وابنه حزينين ، والصبل فى يده سيلو فسألته :

ـ ايه الحكاية ؟

نهنه وقال :

ـ رفض المدرس اعطائى أى درس اليوم •

فسألته :

ـ لم ؟

فأخرج الولد يديه من جيوبه ما وكانت زرقاء وقد تجمدت أصابعه فثار المدرس لان اهتزازات أوتسيلو الثقيلة شققت أطراف أصابعه بسرعة فقد كانت يداه باردتان منتان فلم تتمكنا من زمام الآلة تماما فسألته :

ـ وكم تدفع للدرس ؟

نظر الولد الى والده فقال هـ

ــ ٢٥ كوبك فقط ٠

فقلت :

ــ سأعطيك الدرس فى مقابل ٢٥ كوبك ، وثلاثة دروس فى الاسبوع ٠

أخذت أعطى الولد الدروس على هذا الاعتبار طول الشتاء ٠

وكان الولد هــو (جريجور بياتيجورسكى) وكنت أركب الى منزله فى عربة ترولى أدفع أجرتها ٤ كوبيك فيبقى لى فى كل أسبوع ٦٣ كوبك ٠

وقد علمته أيضــا الطريقة الحديثة لعمــل الاوزان التى استنبطها أخيرا (كلينجل) ٠

هذه هى القصة وكما يقولون فى برودواى أنى اخترعتها ولذلك لم يصدقها أحد ، حتى أن (وليليــام بارون) الذى انتج معى (صــالة كارنيجى) لم يصدقها وقال لى :

ــ اسمع يا بوريس ٠ قد صدقت كل فشراتك المبالغ فيها .. أما هذه .. فكتيرة شوية !

وفى يوم ما وصل (بياتيجورسكى) ولعب فى هوليوود باول Hollywood Bowl وقد استمعنا اليه (بيل لى بارون) وزوجته وأنا وزوجتى وابنى ديك ، وكنا سويا ٠

أخذ (لى بارون) يقول لى (كنت تواقا لان أرى (بياتيجورسكى) ٠ ولا أظنه قد نسى أستاذه القديم ، ألا ترى ذلك يا بوريس ؟)

وقبل أن ينتهى العرض مباشرة أرسلت ابنى ديك الى حجرة الملابس وقلت له (اسأله من كان أول معلم لك ؟)

مرت دقائق مع دعابات (بيل لى بارون) معى لانى أستحى هذا الحياء غير العادى من الاتصال بتلميذى العتيد ، ثم حضر ديك وقد أشار اشارة مشجعة وحضر (جريجور) باركه الله فعانقنى وقبل خدودى ٠

لم يحاول (لى بارون) أن يشــك فيما أسرد من حقائق ولو أنى لا أنكر أنه كان أحيانا محقا فى شــكوكه ، فأنا رجل لا أخالف المثــل السائر فى

برودواى (قليل من زخرف الكلام لن يهدم القصـة الحقيقية أبدا) بل أنى أضيف على هذه النظرية من عندى (اذا كنت تقوم بعملية فى السينما وصدر منك مقال صدق اعتباطا ، فقد يكون هذا معولا فى حفر قبرك) •

الا أن أغلب القصص التى قصصتها عن حياتى الاولى كانت حقيقية حتى قصة لعبى الموسيقى في القصر الامبراطورى الشـتوى وقد ثبت هـذا فى صحيفة سوفيتية وهى آخر سلطة كنت أنتظر منها أن تشهد فى حقى مرة ، وكانت الصحيفة هى ليترا جازيت التى قالت بناء عن نيويورك تايمز الصادرة فى ٢٥ نوفمبر ١٩٥٧ : بوريس موروس المنتج السينمائى والذى خدم فى ادارة مقاومة الجاسوسية الامريكية وأبلغ عن شبكة الجاسوسية السوفيتية فى الصيف الماضى ، قد سـمته الجريدة أنه أحدث سـاخط أمريكى اليوم • وقالت أنه بدأ حياته لاحس أحذية فى البلاط الامبراطورى (نيقولا) وصديقا لراسبوتين وأخـيرا هبط الى القرار حيث أصبح مخبرا فى ادارة المبـاحث العامة) •

وقد فهمت هذا عن خطأ فى أول الامر حتى أوضح لى أحد اصدقائى الامر بقوله (فكر فى أصل المسألة وسترى أن كلى الامرين تشريف لك وفيهمـا اثبات لقصة حياتك الاولى التى كان يحوم حولها الشك الكثير • وبالله يابوريس اذا لم يقدر الشيوعيون على معرفة ما جرى فى قصر القيصر فمن الذى يعرفه؟)

لازمنى التوفيق منـذ أول يوم وطئت قدماى فيـه أمريكا ، فكنت عازفا ناجحا وحازقا على السلو والبيانو ثم رئيس اركسترا • الا أن الدنيا كانت دائما مليئة بالموسيقيين المهرة •

ولو أنى لم أجد اللغة الانجليزية ، واصدقائى فى أمريكا قليلون ، ومع ذلك تسلمت عملا دون عطل • عزفت منفردا على الاورجان فى مسرح بورستون مع الافلام الصامتة ، وبعد أن اندمجت مع هيئة مسارح باراماونت اتيحت لى فرص كثيرة كأى أجنبى فى العالم •

حضرت من بوستون الى نيويورك خلفا للدكتور (هيوجو ريز انفيلد) كرئيس لاوركسـترا ريفولى فى برودواى • وكنت مستشارا لجون موراى اندرسون الذى كان يعمل فى معارض ريفولى وبعد ذلك قائدا للاوركسترا الجوال لباراموانت وعملت فى شركات المسارح فى مدن ممفيس اتلانتا ونيو اورليانز ودالاس وسان انتونيو وهوستون ودى موانز الخ •

كان للمسارح والسينمات تأثير عميق على الثقــافة الشعبية الامريكية ، ففى الجولات التى كنا نقوم بها كنا نشعر المرأة الفلاحة كأنها ملكة نظير آجر بسيط هو نصف دولار، وكذلك كل فلاح كأنه ملك وهم جلوس على الكراسى الممتعة كأى ملوك حقيقيين • وكنت أنا بالذات متأثرا بالموسيقى السيمفونية العظيمة التى نؤديها فى كل حفلة ، ومن أول يوم كنا نستأثر بآذان النظارة وخصوصا عند عزف موسيقى (جوهان ستراوس وفيــكتور هربرت وباخ وواجنار وجريج الخ) •

وفى ١٩٤٩ عينت مديرا لجميع مسارح باراماونت فى المنطقة الجنوبية ، وفى العام التالى أحضرت الى نيويورك لادير الموسيقى فى مسارح باراماونت فى بروكلين ونيويورك ، وبعد ذلك بمدة وجيزة أصبحت مدير الموســيقى لاثنين وستين مسرحا فاخرا منها •

ثم أضيفت الى أعمال الاشراف على الموسيقى التصويرية مع ممثلى الاكروبات وأكلة النيران وتمثيليات الكلاب والانغام الموسيقية المتنوعة الاخرى ، هــذا خلاف أنغام (واجنار) • فــكم كان هذا مضنيا قاســيا ، وخلق أمامى ماية مشكلة ومشكلة •

عندما كنت أكتب هذا الكتاب قالت (جنجر روجرز) لاحد الصحفيين أنى أنا الذى اكتشفتها ومهدت لها طريق الشهرة •

وتفصيل ما حدث أنى عندما كنت فى هوستون أراقب الخطوات الاخيرة لافتتاح دار باراماونت فيها ، وكنا فى آخر ثلاثة أيام وهى أضيق أيام فى هذه العملية بالطبع ولم أكد استرح فى نوم أو طعام فى هذه الاثنين وسبعين ساعة •

وأخيرا ألح على أحد رجــالى أن يأخذنى الى نزل منعزل على الطريق فى تخوم المدينة حيث يقدم أشهى بوفتيك فى تكساس •

وفى أثناء فصل راقص كنت أتناول غذائى من البوفتيك وفى ذات الوقت أغط فى نومى من الاجهاد فدفعنى زميلى ففتحت عينا واحدة •

قال هذه فنانة عظيمــة وهى السبب فى أنى احضرتك الى هذا المــكان ، فرأيت شقراوتين تغنيان وترقصان على أنغام الشارلستون فقلت (أدع الى الفتاة التى على اليسار) وكانت هى (جنجر روجرز) والاخرى كانت أمها ،

وبعد أسابيع قليلة كنت فى والاس أشرف على اختيار الفنانين الجدد وكانت احداهن (جنجر روجرز) وبعد الاختبار قال لها المدير (آسف ٠ لا تصلحين) فقلت لها انتظرى دقيقة وقلت للرجل (بل أنها تصلح وان لم تقبلها فلن أقبلك أنت) وتعاقدت مع دارين من دور باراماونت فى نفس الاسبوع في برودواى وبروكلين ولم يفتها أى عرض في الدارين فقد أجرنا لها عربة تنقلها بسرعة عبر الكوبرى ثم ترجعها ثانية ، وقد كان العمدة (وآكرا) كريما فكلف شرطة راكبة لحراستها ٠

كنت أنقدها ٧٥ دولارا فى الاسبوع وقتذاك ٠ وقد رأيتها أخيرا فى حفلة أقيمت لها فى هاروين كلوب فى نيويورك وقلت لها (سامحينى) فدهشت (اتقول اسامحك ؟) ثم قبلتنى ٠

ثم (مارى بيكفورد) معبودة أمريكا وزوجة (دوجلاس فيربانكس) ٠٠٠ الخ الخ ٠

* * *

حتى عام ١٩٣٣ لم يقدر الرئيس روزفلت أهمية روسيا فلم تكن هناك بينه وبينها أى علاقات دبلوماسية أو اقتصادية رسمية ٠ كنت أنا فى أشد الفقر ، كما أنى فى حاجة الى من يوصل بعض الطعام والملبس الى أهلى فى روسيا ٠ وعلمت يوما أن صديقى السير (هوروك) رئيس جوقة الموسيقى فى الاوبرا والباليه كان معدا نفسه للقيام برحلة الى روسيا فطلبت منه أن يزور أهلى وأعطيته عنوانهم ، فقد كنت فى غاية الاشتياق اليهم ولم أرهم منذ سنوات ، وكنت أتسلم منهم خطابات قليلة بين وقت وآخر ٠

وعند رجوعه أفادنى بأنه قابل اثنين من أخوتى (سيرج وسفيلر) وهما مهندسان ولاحظ أنهما متدثران فى ملابس رثة وأنهما فى غاية الجوع ٠٠ (وأخبرتهما أنى سامنحهما كل مايطلبان بناء عن رغبتك ففرحا بهذا ٠ وعندما فتحت الشنطة لاريهم أربطة الرقبة والملابس الجديدة والبايب هزا رأسيهما ورفضا ٠ وقد سرا عندما علما بحسن أحوالك ولكنى عندما سألتهما عن والديك وباقى العائلة لم أحصل منهما على جواب شاف ، ولربما ـ ككل واحد غيرهما فى هذا العالم المملوء بالجزع ـ كانا خائفين فلم يقولا شيئا أو حتى ليفكرا فى شيء ٠٠ أنهما موفورا الصحة ولو أن ٠٠٠ لا أنهما لم يشكوا من شيء) ٠

ونصحني (هاروك) أن أبحث عن شخص اسمه (م • ب • هورتون) وهو يدير شركة للرحلات وقد نجح معه في ايصال طرود من الاطعمة والملابس الى أصدقائه في روسـيا • عملت بمشورته وكلفت (هورتون) بايصـال الطرود مرة في كل شهر •

وفي يوم ما بعد أن كنت تقابلت مع (ليون تروتسكي) بمـدة وجيزة ، زارني في مكتبي شـخص يدعى المستر (جريجوري ميلاميد) وكان ضخم الجثة قبيح الوجه يلبس نظارة وأخبر سكرتيرتي جانيت أنه مندوب تجاري روسي • أعطيته ميعادا لنتغذى سويا في فندق استور • وكما توقعت كان يعمل مع الاتحاد التجاري ـ امتورج التي أسسته الحكومة السوفيتية هنا •

سألني (ميلاميد) عن أسماء اقاربي وعناوينهم في روسـيا فكتبتهـا ، وعندما اتيت على اسـمي شقيقي (ايزاك والـكسندر) هز رأسه وقال في حسرة أنهما على غير وفاق مع الحكومة ولو أنهما رجلان ناجحان •

أنا أعلم أن هذا قد يكون صحيحا بالنسبة لايزاك فهو ديموقراطي شيوعي ولكن (الكسندر) لا يهتم بالسياسة كلية على ما أذكر •

ثم سألني (ميلاميد) عما اذا كان يمكنه أن يقوم بأي خدمة في تسهيل ايصال الطرود ، وكنت في ذاك الوقت أسعى في الحصول على المعاونة من الحكومة الامريكية بخصوص أهلي ، الا أن جميع المساعي لم تجد نفعا • وبدل رجال الجمارك عنـد الحدود دولاراتي الى روبلات بالسـعر الحكومي وكانت وقتذاك عديمة القيمة •

قلت لميلاميد اني آكون ممنونا اذا أعطاني ايصالات عن الطرود كي أطمئن من أن أهلي قد استلموها بالفعل •

وفي أثناء هذه المناقشـة ذكر لي (ميلاميد) عرضـا أنه سـمع عني أني معارض لتروتسكي • فابتسمت وهززت أكتافي لاني أعلم أنه في ذاك الوقت كان الشيوعيون المشايعون لستالين قد طردوا (تروتسكي) الى المنفى ويهمهم بالطبع ابعاده عن كل عمل في باراماونت وبرودواي، لذلك لم أقبله لاعتقادي أن اشراكه في هذا الجو أمر سخيف بل قلت : (بالطبع ، فهو أمر مثير ، كما تعلم) •

فقال بحماس (قد نكون مفيدين كل منا للآخر يا صديقى) •

فقلت :

ــ عال • اذا كنت تريد ألا يشترك (تروتسكى) فى الباراماونت يمكننى أن أعدك أنه لن يظهر فيها ما دمت أنا مسئولا عن استعراضات المسرح فيها•

فقال :

ــ هذا ما أريد • وعلى فكرة ألا توجد لك خدمة أخرى أقضيها لك غير ايصال هداياك ؟ ألا تود أن أحضر لك أهلك الى هنا ؟

سكت برهة ولم أقوعلى اجابته للمفاجأة ثم قلت :

ــ ان وجود أهلى معى هو أعز أمنية لى فى الدنيا •

وفى الاشهر القليلة التالية جاءتنى خطابات مثيرة من ليننجراد حيث يعيش والداى مع أخت لى وفى آخر خطاب منها كتب لى أن أمى لسوء الحظ مريضة جدا ولا يمكنها القيام بالسفر أما أبى فهو فى طريقه الى •

وصــل أبى فى ديسمبر ١٩٣٣ وكان رجــلا كبير السن له ذقن كذقن (تولستوى) التى نراها فى الصور عندما كان فى عصر الفلاحين •

عندما تقابلنا على سطح السفينة بكى والدى كما بكيت أيضا وكان قلقا منذ اللحظة التى وصل فيها عما اذا كان فى امكانه الرجوع حتى لا يعاقب بسبب طول اقامته عن الستة أشهر المسموح له بها (فى الفيزا) •

كان بوجه عام سعيدا فى هذه الرحلة وأخذته الى فلوريدا مدة أسبوعين وقضى مدة اقامته فى نيويورك فى ايصال الخطابات التى احضرها معــه من روسيا الى أقاربهم فى أمريكا فقد أحضر شنطة مليئة بها •

الا أنه لم يتحدث عن الامور السياسية أو أحوال المعيشة فى روسيا الى أحد ولا الى وأنا ابنه ولالأى أحد من الذين أوصل اليهم خطابات أهليهم وكان يردد (عندما أرجع الى هناك سأفيدهم بأحوالكم هنا) •

وأكثر ما أعجبه مما رآه فى نيويورك كان كوبرى جورج واشنطون وأشد ما لم يعجبه هو المسرح الصــاعد الذى يجلس عليــه أوركسترا باراماونت ويصعد به من البدروم الى أرض الصالة • فالآلة التى ترفع المسرح تحدث

صوتا مزعجا وقد كنا بالفعل نستخدم آلة تعمل بالسائل الهيدروليكى وكانت تحدث صوتا شنيعا فقال أبى منتقدا (كيف يمكن لانسان أن يستمتع بهذه الموسيقى الجميلة بعد هذا الصوت المزعج ؟)

وكذلك اعترض بشدة على بعض الالحان العصرية مفضلا عليها الالحان القديمة التى تعود عليها فى حياته القديمة ٠

وعند رحيله فى مايو التالى بكى خوف ألا يرانى مرة أخرى وكنت فى ذلك الوقت آمل أن أحضره هو وأمى الى أمريكا دون رجعة ولكنى خشيت أن أحيى فى نفسه هذا الامل الكاذب فسكت ٠

وبعد أقل من عام كتب الى أن أمى تحتضر فذهبت الى (ميلامين) ، وقد أصبح الآن نائب قنصل بعد أن اعترفت أمريكا بالاتحاد السوفيتى ٠ أخرج الى جواز سفر وأكد لى أنه ولو أن شقيقى لا يزالان على غير وفاق مع الحكومة الا أنه لن يصيبنى سوء أثناء وجودى فى الارض السوفيتية فشكرته على تسهيلاته ولكنى لم أشكره على ضمان عدم ايذائى لان الانسان لن يثق بتاتا فى هذه الحكومات الطاغية ٠

ابحرت من نيويورك ومعى احدى عشر شنطة بها كل شيء ظننت أن عائلتى فى حاجة اليها من طعام وملابس وأسلحة حلاقة وحتى أقراص الاسبيرين ، وكذلك اشتريت ثمانى اسطوانات (حاكى) أظنها تعجب والدى ٠

وقد لاقيت صعوبات قاسية جدا مع رجال الجمارك حتى سمحوا لى بادخال هذه الاسطوانات الى روسيا ٠ ففى ذاك الوقت كان السوفيت ينشرون دعايات قوية عن موسيقاهم وأفضليتها على موسيقى العالم أجمع ، وكانوا يخشون (بصفة خاصة) موسيقى كالوواى Calloway أن تغزو آذان الشعب الذى فرضت عليه الموسيقى الشيوعية الجديدة ٠ وحذرونى من ترك هذه الاسطوانات فى روسيا عند خروجى وكتبوا فى جواز السفر أن معى ثمانى اسطوانات ويجب أن أخرج بها ٠

وبالطبع لم أبالى وخاصة بعد أن أدركت أن رجال الجمارك لم يذكروا بالنص (انها اسطوانات أمريكية) أى يمكننى أن أخرج بأى اسطوانات !

ولو أن جميع الزائرين من أمريكا عند دخولهم الى روسيا يملون الرقابة التى تفرض عليهم ، فانى بالذات لم أشعر بأى رقابة فرضت على أثناء الاحد عشر يوما التى زرت فيها الثلاث مدن كركوف وموسكو ولينينجراد ٠ والسبب

الوحيد لهذا كما أعتقد هو أن كبار رجال الحكومة الروسية أصدروا أمرهم بذلك لانى أقوم بأداء خدمة كبيرة هى ابعاد ليون تروتسكى عن دورمسارح وسينمات برودواى ٠

كان حكام الكرملين فى تلك الايام يخشون اتباع تروتسكى الذين يكونون نواة قوية كما يخشون أى عدو آخر فى العالم ٠

كان تروتسكى مع (لينين) وهو أب الثورة وقد صور فى السنين الاولى من حكم الشيوعية كقديس ٠

وأما الآن فأشد ما يؤرق المشايعين لستالين الذين طردوا (تروتسكى) من الوطن وطهروا الدولة من الذين تأثروا بتعاليمه وشخصيته أنهم يعلمون أن هناك ملايين من مريديه لا يزالون فى قلب روسيا ٠

فلاجل هذه الخدمة التى لم أقم بها جوزيت بعدم مراقبتى ليلا أو نهارا ، وكلما كان عندى فسحة من الوقت حاولت أن اختلط بالناس فقد أردت أن أعرف رأيهم بقدر الامكان عن النظام الذى تسميه الحكومة أنه الحرية ٠ ولكن كان ذلك مستحيلا فلم يكن هناك فى هذه الصحراوات الواسعة المملوءة بالرعب والظلمات أى أمان للناس حتى يتحدثون بحرية عما فى قلوبهم ٠

وكان أروع ما فى هذه الرحلة هو العثور على أمى مريضة وفى شخوخة ولكنها لا تزال شقراء ولها وجه شاب كما هى منذ تركتها ، وقد تذكرت كم كان هذا الوجه عزيزا على وقد غمره الحب والاعجاب يوم أن لعبت أول ايقاع على (السيلو) ٠

ولا بد أنها تذكرت ذلك أيضا لانها هممت بهذه القطعة الغنائية (لولابى ـ وهى أغنية لتنويم الاطفال) ذاك اليوم بعد أن تعانقنا ٠

فقلت :

ـ اتفكرين فيها يا أمى ؟

قالت :

ـ أفكر فيها يا بوريس كل يوم طول حياتى بل وفى منتصف الليل أيضا ٠ بوريس ، اتعرف ماذا علقت على حائط غرفة نومى وفوق رأسى مباشرة ؟

انه الربع سيلو يا بوريس وهى أول آلة اشتراها لك والدك . وأحيانا فى الليل يا بنى استيقظ من الخوف فأمد يدى والمس الخيوط بهدوء ، وعندما أسمع أصواتها فى منتصف الليل أهدأ بالا .

أخذ أبى وأمى وأختى يسألوننى عن الوطن (الخرافى) الذى أعيش فيه، وكان حديثهم ــ حسب ما تعودوا ــ همسا مع أنه لا يوجد غريب قريب منا. وأرادوا أن يعرفوا هــل صحيح أن العمال فى أمريكا لهم بيوت يملـكونها وعربات جديدة لامعةودواما يلبسون ملابس فاخرة وعندهموفرة من الطعام؛ وهل تملك السيدات مكانس كهربائية وغسالات وأفران كهربائية وهــل يقضون نهاية الاسبوع عن عائلاتهم فى عرباتهم فى نزهات خلوية ؟

ولكن لم يجرؤ أحدهم عن التحــدث عن حيــاتهم هم فى وطنهم وعندما سألتهم عن أخوى (الكسندر وايزاك) لم أخرج بجواب شاف . وفى صدفة تقابلت مع احدى قريبات زوجة الكسندر وعندما رأتنى تقلصت وصاحت (ابتعد عنى . ابتعد عنى) فزعجت وتشاءمت فقد تصورت أن (الكسندر) قتل وخشيت هذه السيدة أن أذكر اسمه لها فيسمعه المخبرون .

وفى أول يومين قضيتهما فى موسكو تعمدت ألا اتحدث بالروسية فى أى محل عام ، ولم اسمع ما يستحق الذكر فان الناس جميعا كانوا لا يجهرون لبعضهم بأى آراء عن الولايات المتحدة أو غيرها .

وربما كانت أهم حادثة حدثت فى هذه الزيارة هى فى احدى الليالىعندما كنت أتناول العشاء مع والدى فى مطعم فندق فىكركوف وفجأة قطع النور ، فشعر الموسيقيون أنهم فى هذا الظلام أمسوا فى أمان فتسللوا واحدا بعد الآخر الى طاولتنا وأخذوا يلقون على الاسئلة فخفضت صوتى حتى لايخشون شــيئا ، وكان اهتمامهم بأمرين : الاجــور وفرص العمــل للموسيقيين فى أمريكا ؛

ثم السؤال عن موسيقى الجاز الامريكية والموسيقى الشعبية .

وأمكننى أن أدرك من أسئلتهم أنهم قد لقنوا دعايات تغلغلت فىصدورهم عن السوق المالية الامريكية فسألوا :

ــ وماذا تفيد الاجور العــالية اذا كانت المدخرات تؤخذ كلهــا فى مقابل صكوك وسندات لا قيمة لها ؟

كان من الصعب أنأشرح الحقيقة فى الدقائق القليلة ، كما كان منالصعب شرح موسيقى الجاز والموسيقى الشعبية فى أمريكا فى كلمات قليلة • والامر الوحيد الذى أمكننى أن أقوله هو المقارنة بين أغانى الجاز بالموسيقى الغجرية أو بأغانى (الشوارع) أو (حسب التعبير الروسى) بالموسيقى الوترية •

كانت ليلة ممتعة ذلك لان النور قطع عن الفندق وشعر الجميع بالتخلص من الرقابة وقتا ما •

وآخر حادث وقعلى فى موسكو ويعنينى أثبتلى أن النظام السوفيتىكله لابد أن يتلاشى حالاً ، ذلك لعدم كفاءته وقد كنت متفائلا جدا بهذا الامل •

وفى غمرة ائتناسى بأهلى فى هذه الزيارة نسيت شرط حرس الجمارك بأن لا بد من خروجى بالاسطوانات ، فلم أتذكر أمرها الا عند وصولى الى المطار فى موسكو وكان باقى على قيام الطائرة ٤٠ دقيقة وهذا الوقت لا يكفى للوصول الى محل بيع الاسطوانات فى المدينة والشراء ثم الرجوع ثانية •

وعندما سألت عن رجل الجمارك أشير الى على رجل اكتع ويلبس قبعة بحرية ويمشى بخطوات بحرية • ذهبت اليه لاشرح المشكلة ولكنه تجاهلنى مع أنه لم يوجد مسافر على طائرة باريس غيرى • وكان هذا من حسن حظى فقد كانت عندى الفرصة لمراجعة جواز السفر فلاحظت أن الفيزا فى صحيفة وتأشيرة ارجاع الاسطونات فى الصحيفة المقابلة ، فوضعت نشافة لتغطى صحيفة رجل الجمارك عنالاسطوانات وسلمتالجواز الى رجل الجماركالاكتع•

كنت ارتعش وقد خشيت أن تثيره عصبيتى فيشك فى أمرى •

أخيرا ركبت الطائرة وعندما بدأت محركاتها تدور كنت أفكر كيف أعمل فى باريس بدون جواز السفر ولكن فى الحال جاء الرجل يجرى وسلمنى الجواز بعد ختمه والتصديق عليه ولم يفكر فى الكشف عما وراء النشافة •

لم يكن معى بالصدفة أى عفش يبحث فيه مفتشو الجمارك فقد تركت كل شىء لاهلى بما فى ذلك الاحدى عشر شنطة بل وملابسى الداخلية أيضا ••

الباب الثالث

كيف استلقيت على فراش الدب السوفيتى

رجعت الى الوطن مفجوعا على أحوال أهلى المحزنة فقد رأيتهم لا حيلة لهم فى سجن متجمد .

وكانت تنتظرنى فى نيويورك مفاجأة لم أشعر لها بأى ارتياح ، فقد كان (ادولف زاكور) وهو أب ورئيس الباراماونت أراد أن ينصبنى مدير عام الموسيقى فى ستوديو هوليوود .

ولو أن هذه الحركة تعتبر ترقية الا أنى قلت أنى أكون سعيدا لو أنى بقيت كما أنا . وكان (زاكور) رجلا بشوشا دائم الابتهاج وربما كان ذلك لانه دائما يصدر أمره بصيغة يشعر الانسان بأنه يرجوه أن يؤدى له هذه الخدمة الخاصة .

ففى عام ١٩٣٣ كانت باراماونت لا تزال فى اضطرابات مالية وذكرنى المستر زاكور بالارقام ففى ١٩٣٠ كانت أرباح المؤسسة ١٨ مليون دولارا وفى ١٩٣١ هبطت الارباح الى ٦ مليون دولارا وفى ١٩٣٢ خسرنا ٢١ مليون دولارا .

فبهذا الهبوط الخطير جعلنا فى شبه تفليس وانتجت الشركة أفلاما ضعيفة بعد أن كان الناس يتغنون بقولهم (ما دامت هذه الرواية لباراماونت فهى أحسن عرض فى المدينة) .

وقد أقر المستر (زاكور) أن استعراضاتى المسرحية اجتذبت النظارة ..

فى أكتوبر ١٩٣٥ ذهبت الى هوليوود وقد ودعنى المستر زاكور على المحطة وهذا تشريف لم يسبق أن أجراه من قبل .

والظاهر أنه لم يشك فى أنى عن قريب سوف أخرج رواياتىالسينمائية فى باراماونت ، كما أنه وافق بصفة خاصة جدا على أن اصطحب سكرتيرتى المس (مندلسوهن) فى هذه السفرية ، مع أن المنطق الغريب والغير مفهوم فى هوليـــود فى هذه الايام أن المخرج قد يصرف ٠٠٠ر١٠٠ دولار فى نقــل ألف رجل من رجال غابات أفريقيا دون اعتراض ولكنه اذا طالب الشركة بأجر سفر السكرتيرة بالسكة الحديدية فى داخل الولايات المتحدة يعترض رئيس الحسابات (ويقف بالاربعة) ٠

* * *

حالة أهلى فىروسيا وخاصة أبىكانت تمر أمام عينىكسحابة عابرة فأتألم لها ، وأردت بل صممت على أن أقوم بعمل شىء لهم ولم أتوقف عن عمل هذا المسعى ، ولكن الصعوبات لا زالت تصطدم بى فى ارسال الطرود بالملابس والاطعمة اليهم ٠

والادهى من ذلك أنى لم اتلق كلمة واحــدة تطمئننى عن وصول هــذه الطرود ٠

وفى أحد أيام مايواخبرتنى سكرتيرتى أن رجلا ـفى كلامهلكنة الروسيةـ حاول منذ أسبوع أن يتصل بى تليفونيا ، ولم تذكر لى عنه شيئا لانه رفض ذكر اسمه وقال اليوم أن اسمه (ادوارد هربرت) وهو مرسل من طرف المستر (ميلاميد) نائب القنصل الروسى فى نيويورك ٠

ـ أين هو الآن ؟

ـ انه بالباب ٠

ثم أدخلته فى الحال ٠

والمستر (ادوارد هربرت) كما كان يسمى نفسه وقتذاك كان رجلا سمينا عريض المنكبين ذا شعر أحمر ورغما من لكنته الروسية كما تقولالسكرتيرة فهو يجيد الانجليزية والفرنسية والالمانية ٠

سألنى عن الصعوبات التى القاها فى ارسال طرودى الى روسيا ٠ قلت :

ـ كثيرة ٠

قال: (ان علاقتى طيبة مع نائبالقنصل السوفيتى فى نيويورك ويمكننى ارسال طرودك بواسطة مكتبه مباشرة وستكون محل رعاية خاصة) ٠

ثم تطوع بالحضور الى منزلى للمســاعدة فى ربطها وكتــابة العناوين ثم أخذها الى القنصلية الروسية بدلا عنى ٠ وعندما حاولت أن أشكره أهدانى آلة تصوير (لايكا) هدية منه الى ٠

ثم قال بحدة :

ـ نحن لا ننسى الجميــل الذى اسديتــه الينا منــذ أعوام قليلة بابعادك (تروتسكى) عن دور برودواى وهذا أمر يستحق كل امتنان منا ٠

حضر أكثر من مرة الى منزلى وأخذ الطرود الى القنصــل نيــابة عنى ، ووصلت الطرود فى وقتها وأفادونى بوصولها ٠

وبعد ظهر أحد الايام حضر (ادوارد هربرت) الى مكتبى وكنت مشغولا جدا فى تحضيرات فيلم وقلت له انى سأتحدث اليه قليــلا جدا لمشغوليتى فليتكلم فى الموضوع مباشرة فقال :

أنت معادى للنازى أليس كذلك ؟

ـ بالطبع ، وكل أمر قام به هتلر كان فى رأيى بغيضا ٠

ـ انى عشت فى المانيا وكنت أنظم جماعة سرية معادية للنازية ولصالح الحكومة السوفيتية ٠

ـ اليس ذلك أمرا خطيرا ؟

وكنت أفكر فى لكنته الروسية ٠

ـ جدا ولكن يمكنك أنت الحد من هذا الخطر ٠

قلت بدهشة :

ـ أنا ؟ وكيف ؟

ـ بمحاربة النازيين بقوة ، وذلك باعطائى وظيفة تبيح لى التجول بحرية فى أنحاء المانيا ٠

فهمت قصده ولكنى لم أتصور ماذا يريده منى واستمر فى حديثه :

ـ يجب أن أحصل على وظيفة ٠ ألا تساعدنى ؟ ألا يمكنك أن تساعد رجلا كرس حياته لمحاربة النازيين ؟

ـ بالطبع أحب ولكن ما العمل الذى تحسن القيام به ؟

ـ أليس لك خبراء كشافون يبحثون عن فنون الموسيقى فى أنحاء العالم؟

ـ بالطبع لى ٠

ـ اجعلنى خبيرا لك فى المانيا ٠

ترددت فى ابداء رأيبى كأى رجل متزن ٠ فقد كنت فعلا أمقت برامج هتلر وتهديداته باشعال نار الحرب فى أوروبا فقد كانت خططه لابادة اليهود شنيعة ـ اليهود أمثالى الذين نشأوا فى دولة جرت فيها المذابح ببساطة كأنها رياضة يتسلى بها القوزاق ٠

فكرت فى الامر لحظات ٠٠ ولما كانت المانيا تخرج جميع الادوار الموسيقية وتبتدع آلات جديدة، ولم يكن عندى خبراء كشافون كثيرون كما للاستديوهات الاخرى ، فكنت كلما قابلت أحدا على أهبة السفر للخارج كنت أطلب اليه :

ـ اذا قابلت أى موسيقى محترم فاسأله عن الاجور وأى معلومات أخرى خاصة بالموسيقى وفدنى بالتفاصيل ٠

قال ادوارد :

ـ أعدك بأنك ان ساعدتنى فى هذا الامر أن أرعى عائلتك ليس فقط بارسال الطرود التى ترسلها اليهم بل أرعاهم رعاية تامة ٠ وأنا أعلم أن شقيقيك لا يزالان يقاسيان تعنتا من الحكومة وسأعمل على عدم محاكمتهما ان ساعدتنى ، ومع كل فماذا تخشى ؟ وما هو الخطأ الذى ترتكبه فى حق شركتك أو وطنك أمريكا اذا عاونتنى ؟ نحن جميعا فى حرب ضد النازية والمطلوب منك معاونة زميل لك فى مقاتلة أسوأ عدو للبشرية ٠٠ ولا حاجة بى لان أقول لك أنك فى نفس الوقت تساعد أهلك !

فى النهاية كتبت له الخطاب الذى أراده بخط يدى على أحد خطابات باراماونت فى هيوليود بكاليفورنيا (المطبوعة) وشهدت فى الخطاب أن (ادوارد هربرت) قد تعين خبيرا كشافا فى المانيا ومندوبا عن هذه الادارة ، ثم وقعت الخطاب باسمى (بوريس موروس ـ المدير العام الموسيقى) ٠

عرضت الجو السياسي في أمريكا في ذاك الوقت (١٩٣٦) ، وكنا نرى جميعا ــ ما عدا المعجبون بهتلر ــ أن الحركة النازية كانت لا شك شــنيعة ولكن معظم الامريكيين لم يعتبروا أن الشيوعية هي الاخرى مصدر تهديد ، وشعر الكثيرون كما شعرت بنفسي أن مقاومة هتلر أمر مقدس ٠

والدرس الذى تعلمناه هو أنه لا يكفى أن نكون مناوءين لشر ما ، بل أننا عندما نناوىء هذا الشريجب أن نكون حريصين على أن لا نستعين عليه بأشرار آخرين ليسوا أقل جرما منه ٠

عندما وقعت خطاب اعتمــادى لهربرت كمندوب وخبــير كشاف لشركة باراماونت شعرت أنى رددت له الجميل الذى أسداه لى ٠ وقد ترك عنــدى بعض المال طالبا أن أرسل اليه منه ٥٠ دولارا كمرتب شــهرى لاثبت أنه يعمل مندوبا لشركة أمريكية بالفعل ٠

أعطيته هذا الاعتماد ولكنى رددت على قليل من الخطابات التى كان يرسلها، وكنت آمل أن يمل ويبحث عن أحد آخر غيرى ٠

وعندما اشتدت فظائع النازى فى أوروبا أصبح من الجلى أنه لا يصح أن تحلم هوليود بأن تأتيها أى معلومات فنية من المانيا الهتلرية ، واذا اكتشف أحد الناس اللعبة التى العبها مع هربرت لاصبحت اضحوكة الجميع ، لان يهوديا وهو أنا يستخدم خبيرا موسيقيا فى برلين وهذا معنــاه انى غبى ٠ فالافضل اذن أن ننسى بعضنا كلية بأسرع وقت ، أنا وهربرت ٠

فى صيف ١٩٣٧ نجح لاول مرة الاتحاد السوفيتى فى التأثير على العالم بنجاح علمى ، فقد حاولت ثلاثة من طائراتهم فى الوصول الى الولايات المتحدة عبر القطب الشمالى وفقدت احداها ووصلت الاثنتان الاخرتان الى الشاطىء الغربى وبذلك فازت برقم قياسى هو ٦٢٦٢ ميلا دون توقف٠ وكان الطيارون لا يزالون فى حفلات التكريم وما اليها عندما أفادنى رجل الشرطة فى ستوديو البــاراماونت أن (ادوارد هربرت) موجــود فى الخارج ويود أن يزورنى فطلبته ٠ الا أن الرجل لم يكن هو ادوارد هربرت ، كان رجلا أصغر سنا واضأل جسما وفى لباس أوجه منه ٠ عندما انفرد بى قال هاشا وبسرعة أنه (صمويل شوموفسكى) وهو أحد مساعدى هربرت وأنه استخدم اســم هربرت للتمكن من مقابلتى ٠ (وشوموفسكى) قد فقــد احدى عينيه فى حادث وقال أنه مســجل فى السفارة السوفيتية بواشــنطون تحت صنعة

(ميكانيكى طائرات) وكان موجودا على الشاطىء الغربى لآداء مأموريتين ، احداهما لارجاع قميص أحد الطيارين وكان قد احتفظ به عنده استدرارا لحسن الحظ عند بدء الطيران للقطب الشمالى لاول مرة ؛

والثانية كانت لمعرفة سبب انقطاع الرسـائل وعدم انتظامهـا منى الى (ادوارد هربرت) فى المانيا •

وقد أدهشنى حالة (شومُوفسكى) فقد حدثنى بلغة جافة عندما تحدث عن قطع رسائلى الى هربرت وقال (ان هذا يعرض حياة الرجل للخطر فهو يرسل اليك مرتين أو ثلاث مرات لكل رسالة واحدة منك فلا بد من المحافظة على الاتفاق المعقود بينكما) •

فقلت له : (انى اصطدمت بكل المصاعب التى عرضنى لها هربرت وأنه اذا اكتشف أحد المسئولين أو المستخدمين عندى أنى أراسل خبيرا موسـيقيا مراسلا فى المانيا وخاصـة أنه رجل ليست له تجـارب فى هذه الصناعة فسأسأل سؤالا عسيرا •

ثم ماذا يحدث لسكرتيرتى المس (مندلسوهن) التى كتبت الخطابات الى هربرت ، فلنفرض أنها تعجبت كيف نراسل خبيرا مراسلا فى المانياالنازية فى هذه الظروف ؟

قال شوموفسكى :

ـ لا داعى لارسال نقود ما ، وهذا ذكره بأنه لا يزال معى ماية دولار من نقود هربرت فأخذت المبلغ من محفظتى وسلمته اليه فوضعه فى جيبه بخفة، ولاحظت كما لاحظت بعد ذلك ماية مرة أن الشيوعيين يتذكرون تماما كل سنت (قرش) من أموالهم • واليوم بعد أن استلم (شوموفسكى) باقى النقود أخذ يتكلم بهدوء ولكنه قبل أن يخرج حذرنى مرة أخرى من قطع رسائلى عن (ادوارد هربرت) على عنوانه فى برلين المتفق عليه بيننا •

لم أكتب لهربرت مرة واحدة أخرى ولم أسمع عنه من (شوموفسكى) الذى أخبرتنى عنه ادارة المباحث العامة بعد ذلك أنه كان جاسوسا سوفيتيا منذ عدة سنوات ، عندئذ أخذت اتنفس مرتاحا مرة أخرى •

لم تكن عندى أى فكرة الان لأن أخضع لتوالى التهـديد بايذاء أعزائى الموجودين فيروسيا أو أخضع للقوة بأن أؤدى خدمات سرية للسوفيت لمدة العشر سنوات المقبلة كي أصبح عضـوا موثوقا به فى شـبكة الجاسوسية الروسية التي عليها أن تنقل معلومات سرية لاكبر ادارة مخابرات سوفيتية NKVD .

الا أن الوهم الذى استولى على راسى بأنى لا أزال رجلا حرا لم يدم طويلا جدا .

بعد زيارة (شوموفسكى) لم تحصل لى مضايقات مدة عامين وانقطعت معاونة نائب القنصل السوفيتي ولذلك عاودتنى صعوبات ارسال الطرود الى أهلى فى روسيا .

فكرت فى الامر من جميع الوجوه وظننت أن الروس قد نسوا الامر كله ولم يسرنى شىء أكثر من هذا بالطبع ، ولكن فى أوائل ١٩٣٩ جزعت مرة أخرى فقد كان ظنى خاطئا حيث جاءنى مندوب روسى آخر غير هربرت .

وقد شكاهذا الشابمن أنه انتظر بالبابأياما قبل أن يتمكن من مقابلتى، ورفض الحارس طلبه حتى من محادثتى تليفونيا ، فان فنيى هوليود يعرفون أن الاستوديوهات محظورة على الاغراب تماما كالكرملين نفسه ، الا أن هذا الرجل لم يعرف أمر هذه الصعوبات فى دخول هذه المؤسسات .

كنت وقتذاك فى طريقى الى تناول الغذاء ولم أعزم عليه مشاركتى فيهذا الغذاء فى الاستوديو طبعا .

كان رجلا قصيرا طول خمسة أقدام و ٣ بوصات ولا يزيد وزنه على ١١٠ كيلو جراما ، وكنت اسميه (الرجل أبو جاكتة طويلة وبنطلون قصير) فقد كانت ملابسه قديمة رثة وموضة لا يمكن استساغتها حتى ولا فى المناطق النائية من البلقان .

بدأ يعنفنى وأنا فى الطريق أمام الاسـتوديو فنظرت اليـه نظرة فاترة متعجبا من لهجته فهـو يتكلم فى انجليزية ركيكة وفرنسية مكسرة والمانية خاطئة ولكنه يشتم ببلاغة بالثلاث لغات ثم أخذ يقسم بالروسية أنه رجل جد ومعصوم عن الخطأ .

بدأت أسير مبتعدا ولكنه تبعني وأخذ ينذرني بأني أعرض حياة هربرت للخطر اذا لم أكتب اليه ٠

كان عنـدي موعد في مطعم لوسي مع اثنـين من زملائي ولكنه ظل يرغي ويزبد حتى الباب ٠

دخلت حديقة لوسي وأنا أعلم أنه لن يجسرعلى متابعتي فوقف فيالشارع عند هذا الحد ولاح له في الحديقة قليل من النجوم ومخرجي الشركة جالسين الى طاولتهم ٠

وكان هذا آخر ما بيني وبين هذا الروسي (الغلباوي) القذر ٠

وبعد سنوات علمت أنه كتب في تقريره أننا عندما تقابلنا أكرمت وفادته وحييته في مكتبي وأريتـه الـكثير ثم دعوته للغذاء في حديقة مطعم لوسي اللطيف !

مرت سنتان أخرتان على ذلك اليوم دون ازعاج ونشط الروس كثيرا دون أي مساعدة مني ولو أنميثاق عدم الاعتداء مع النازي ذهب كما ذهبت جميع الميثاقات التي عقدها هتلر ٠

أما بالنسبة الي فقد كنت في عملي على أحسن حال ، وفي أواخر ١٩٣٩ استقلت من البارامونت لاعمـل منتجا مستقلا وانتجت (الشيطان الطائر Flying Deuces) وهـو فيلم لوريل وهاردي وكلفني ٣٠٠ ألف دولار وبلغ ايراده أكثرمن اثنين مليون دولار ولايزال يعرض فيالتليفزيون٠

وفي العـام التالي كانت شركتي الخاصة قـد انتجت (الـكورس الثاني Second Chorus) مع فريد استير وبوليت جودارد الخ وكنت أعد عدتي لانتاج فيـلم يتكليف كثيرا هـو (قصص من مانهـاتان Tales of Manhattan) ولكن حدث فجأة أن عاودني كابوس الجاسوسية يهدد حياتي كلها ٠

حضرت مصادفة حفلة عشاء تكريما لزائرين من روسيا منهم مخرجان في السينما ومهندس صوت مشهور في الاتحاد السوفيتي ٠

بدأت الحفلة بالكوكتيل في منزل أحد جيراني وعند وصولي كان هنـاك جمع من الروسيين ٠

عندما رآني المضيف قدمني لبعض ضيوفه وقال (معنا الآن مترجم روسى) ٠

ابتسم أحد الروسيين ابتسامة متكلفة عندما قدمني المضيف ولكن لم أعرف هذا الوجه ولا اسمه ٠ وبعد بضع دقائق أتى هذا الروسى وسحبنى من ذراعي وهمس (ألا تعرفني ؟ لا بد أنك تذكرني ، انك أنقذت حياة زوجتي) ٠

ثم جرني الى الحديقة لنتكلم على انفراد ٠

انه لما يضيق بالمخرج أو المنتج الذى يرى العشرات من الممثلين وعمال السينما كل يوم أن يصطدم بهذا المتنكر الغريب وعلى هذه الصورة ٠ كان هذا الشخص ضخم الجثة قبيح الشكل يلبس نظارة ولا يشبه أى ممثل أو مغني أو كاتب أو موسيقي أومدير ممن أعرفهم كلية٠ ولم نكد نصل الحديقة حتى تذكرت من هو هذا الشخص ، والسبب الذى اخفاه عني هو أنه أصبح سمينا منتفخا ٠

فقلت متظاهرا بأني سعيد أن أراه ٠

ـ اذن أنت (ادوارد هربرت) ، أليس كذلك ؟

ـ المفروض أنك تعرفني بأسرع من هذا ٠ كان يجب أن تكتب لى وأنا بألمانيا ٠

ففكرت فى أن أمزح لاتخلص من هذا الحرج فقلت :

ـ وماذا أعمل يا أخى فكل كتاباتك كانت عن الاكروبات ، الاكروبات اليابانية ضعيفة ، ولكن الاكروبات الالمانية ، والاكروبات النازية ٠٠ الخ ٠

ولكنه تجاهل هذه النكتة المكشوفة وقال :

ـ الآن انسى أني كنت ادوارد هربرت فى يوم ما ، فأنا الآن ملحق بالسفارة الروسية واسمى زوبيلين ، أى (فاسيلى ميخايلوفيتش زوبيلين Vassili Mikhailovich Zubilin) ٠

وبعد أن عرفني بنفسه وجدت سببا آخـر من الاسباب التى جعلتنى لم اتعرف عليه فى أول الامـر ، فبجانب تضخم جثته قد أصبح أنيق الملبس وأصبح أكثربغيا واعتدادا بنفسه عما كنت أعرف عنه فى مقابلاتنا السابقة. ثم أن انجليزيته أصبحت متقنة تماما وكان قبل لحظات يتظاهر بأنه لايتقنها.

وعندما سأل عن أهلي أفدته بأن هيئة الصليب الاحمر اعلمتنى منذ مدة أن أمي ماتت .

ـ وأبوك ؟

ـ أصبح وحيدا بالطبع .

فكر بعد ذلك برهة ثم قال :

ـ ربما تريد مني أن أحضر لك أباك الى هنا ليبقى معك على طول .

ـ ايمكنك ذلك ؟

تردد ثم قال :

فى هذه الحالة اقترح عليـك الا تحضر أى حفلات كهذه لتقـابل روسيين آخرين أو تقيم حفلات عشاء للزائرين مثل (انتونوف وكلاسوف) .

عند سماعي هذا سكت برهة لأفكر ، ولكن فكرة احضار والدى جعلت كل أمر آخر أمامي غير ذى بال . فلأحضره من تلك البلاد الباردة الكئيبة التى لا تعرف الله وهذا أهـم شيء يمكنني أن أعمـله له ، فوقوفى بجـانب (ادوارد هربرت المعروف بزوبيلين) سيسهل لى أن أرى أبى معى تحت دفء الشمس ويتحدث عن الفلسفة ويلعب الشطرنج مع الشيوخ الآخرين آباء أصدقائى .

* * *

هناك مبـدأ مأخوذ عن أخلاق الرأسـماليين ويدين به الشيوعيون دون تحفظ وهو (ساوم بأجر مغر عن كل أمر يتقدم اليك أو أى أمر تقدمه أنت الى غيرك) .

فكرت فى الاجر الذى يطلبوننى به فى سبيل اخراج جواز سفر لابى ، وقدرت أن سيكون ذلك بعد بضعة أسابيع . فكرت فى هذا أثناء اخراجى منظر فى المسرح لصالح معونة الحرب الروسية فى لوس انجيليس فى مارس

١٩٤٢ ، ففي ذاك المساء غيرت الكواليس وانزلت الستائر وما اليها بعد أن طلبت من المخازن تجهيز المسرح للحفلة ثم ارجاعها الى الشركة فى صباح اليوم التالى ٠

بعد أن القيت هذه الاوامر للمسئولين جريت الى زوبيلين وكان من المؤكد أنه مخمور لذلك لم يخف غضبه عندما رآنى فصرخ بالروسية ناسيا أنه قد يسمعه أحد رجال الكواليس (ماذا دها عقلك يا بوريس ؟ ألم أطلب منك ألا تقابل أحد الروس فى أثناء العمل ؟ اتحب أن يعرف الناس جميعا أن عواطفك معنا ؟)

مسكنى من ياقة الجاكتة ودفع بجسمي الى الحائط ثم سحب غدارة من جيبه ووجهها لمعدتى ٠ لم أجد فرصة لاشرح له ما أجريته من أجله ولم يهتم باعتراضى فقد كان مخمورا وفى ثورة من الغضب ٠ قال (اذا كنت تريد منى أن أخدمك فاعمل ما أقول لك عليه ٠ لا تختلط بأى روسيين ٠ فلن تكون صالحا لى يا مغفل اذا ما عرف عنك أنك تتعاون مع الروس) ٠

ضقت ذرعا فوعدته بأنى سأعمل أقصى جهدى ٠ كنت مستعدا لان أعده بأى أمر لاخلص من يده فى هذه الليلة ٠

فى الشهر التالى ـ ابريل ـ طلبنى فى الاستوديو وقال (أريد أن أحضر لاى منزل وآخذ الملابس التى سترسلها لاهلك) ٠

وفى هذه الزيارة قال لى أنه لا يزال عند وعده باحضار والدى الى أمريكا فسألته ثانية :

ـ وهل يمكنك حقا أن تؤدى لى هذه الخدمة ؟

فقال :

ـ يمكننى أن أعمل أى شىء ٠

كان ابنى (ديك) فى مدرسة سفرن الاعدادية ، وكنت فى رحلتي اليه فى أحد أيام مايو التالى ، وعند واشنطون عرجت على زوبيلين لاسأله عن الخطوات التى اتخذها لاحضار أبى الى أمريكا ٠

فوجئت ودهشت عندما أكد لى ساعى السفارة أنه لا يوجد عندهم شخص بهذا الاسم ٠٠ علما بأن زوبيلين قدم نفسه فى كل هوليود بأنه ملحق بالسفارة ! طلبت أن أقابل (مكسيم ليتفينوف) الذى أصبح فيما بعد

السفير الروسي وقد تعرفت عليه في نيويورك عــام ١٩٣٤ في حفلة في (ولدورف اســتوريا) للمهندس الامريكي هيوكوبر بمناسبة انتهائه من الخزان الكبير على نهر دنيبر فأعلموني بأن ليتفينوف في المدينة ·· أو هكذا زعموا ·

مشيت ولكن عندما هممت بالخروج لحقت بي احدى السكرتيرات ودفعت في يدي ورقة صغيرة عليها نمرة تليفون وقالت :

ـ اطلب هذه النمرة لتتصل بزوبلين · رجعت الى ويلارد وطلبت النمرة من حجرتي ·

أجاب زوبلين على التليفون بنفسه وصرخ في غضب لاني ذهبت الى السفارة فقلت له (ماذا تظن أن أعمل ؟ هذا هو المكان الذي قلت لي أني سأجدك فيه كلما حضرت الى هذه الجهة) ·

فهدأ قليلا وطلب مني أن أقابله في شــارع في واشنطون معروف باسم شارع الافلام لوجود مكاتب كثيرة لتوزيع الافلام ·

حضر زوبلين في الموعد وبعد أن نادى التاكس همس للسائق بالعنوان همســا ولم أسمعه أنا ، وللآن لا أعرف عنوان الشــقة التي ذهبنــا اليها في ذاك اليوم ، وكانت شقة خاوية تقريبــا من الفراش والادوات ومظهرها أنها غير مسكونة مثلها كمثل كثير من الاماكن التي قابلت فيها عملاء السوفيت بعد ذلك · وهذه الاماكن يمكن لزوبلين وأمثــاله من الجواسيس الآخرين تركها في الحال عنــد الطوارىء ولا تترك أدلة في أنهم كانوا يحتلونهــا في وقت ما ·

كانت في الدور الاول وفي صف من البيوت المتلاصقة وفي أحقر أحياء واشنطون · كانت بالشقة زوجة زوبلين وهي نحيفة رشيقة متوسطة العمر وفي مظهر ارستقراطي ، وهناك أيضا ابنها بيتر (٧ سنوات) ·

عندما سلمت على زوجة زوبلين اخبرتني أنها ستجهز العشاء حالا · ولكني لم ألاحظ رائحة طعام في المنزل ، وبقيت بالمطبخ ولكنها لم تطبخ شيئا ولم أسمع صوتا للاواني أو الاطباق على السفرة · وبعد تفــكير بسيط أدركت أنهم لا يسكنون في الشقة على الاطلاق ولكنهم يستخدمونها لمقابلة الضيوف أمثالي الذين لا يثقون بهم حتى لا يرينهم مسكنهم الحقيقي ·

علمت بعد ذلك عن (اليزابيث) زوجة زوبلين أنها أحيانا تدعى (هيلين) وأحيانا أخرى (ليزا) • والاسم الاول يستخدم بين الروسيين فقط • وأظن أنها كانت فى ذاك اليوم موجودة فى الشقة لتراقبني وتعطى لزوجها (الفحل) فكرة عن صلاحيتى كعضو فى شبكة الجاسوسية الروسية فى أمريكا من عدمه • وسمعت بعد ذلك امرأة شيوعية أخرى تتحدث عن (اليزابث زوبلين) أنها (جان دارك) الحمراء أىأنها قديسة تؤمن بالسوفييتية ايمانا لا حد له وأنهم يحترمونها لفراستها وصدق حكمها • وكثيرا ما سمعت زوجات هؤلاء الجواسيس أثناء حديثهن عن السياسة والاستراتيجية (هل قالت هذا ؟ أو لنسأل ليزا أو لا تعترض فقد قالت هيلين هذا ••) فقد كانت لها الكلمة الاخيرة وعرفت أنها صاحبة العقل الحقيقى خلف كل حركة هامة قام بها زوجها المتبجح •

وقالت لى احدى هؤلاء النساء أنزوبلين يضرب أحيانا زوجتهوأنها تتحمل هذا الاذى باستسلام مقدس •

سمعت كل هذا فى الايام الاخيرة أما فى يوم مقابلتى لها فلم ألاحظ على هذه (الجان دارك) الا أحوالا وحركات استقراطية •

كان حديثى مع (زوبلين) فى ذاك اليوم مشابها لحديثى الذى جرى خلف الكواليس فى الحفل الخيرى لصالح الحرب فى هوليود •

قال وقد ربع ذراعيه الضخمين على صدره (أنا أعرف أنه يهمك كثيرا جدا أن يحضر والدك الى هنا) •

ـ طبعا أنت تعرف ذلك •

ـ صحيح ، ولكن لا تنسى أنه يجب أن تدفع ثمن ذلك •

ـ متى يمكنك أن تحضر والدى الى هنا ؟

ـ حالا •

وسألته نفس السؤال الذى سألته اياه مرتين قبل اليوم فى هوليود :

ـ ايمكنك ذلك ؟

ـ يمكننى ذلك وأكثر من ذلك • وأحسن ما يمكننى هو تحصيل فائدة مثل هذه الخدمة التى أؤديها لك • فأنت تعرف من أنا ، أنا رئيس شبكة

الجاسوسية الروسية فى هذه الدولة (NKVD) وأنا حر أعمل كيف أشاء كما أقوى على أى أمر فى أى من بقاع الارض ٠٠ فى العالم ـ وضرب صدره بذراعه وقد شعرت بأن عينيه كأنهما تنفذان فى وجهى ـ ٠

يجب أن تعمل ما أقول لك عليه ولا مهرب لك مني لان لى ذراع طويلة ٠٠ طويلة جدا تصل اليك أينما كنت فى هذه الدولة ٠ وأنت تعلم أنى قوى الجسم العب التنس كل يوم مدة أربع ساعات بل سبع ساعات بل عشر ساعات ٠ أما أنت ٠٠ (وقد شد أحد ذراعى) ليس لك عضلات ٠ أنت (خرع) ٠

كنت أرجو أمرا واحدا هو الخروج من هذا المكان وندمت لاتصالى به وأقسمت ان أنا خرجت من هذا المكان حيا فلن أراه ثانية ، فلا مهرب لى منه حقيقة ان هو أحضر والدى الى أمريكا ٠

سألته :

ـ كيف يمكنك أن تحضر لى والدى وكيف تمر به فى وسط الخطوط الالمانية ؟ هل ستطير به فوق ميادين القتال ؟

ضحك ضحكة عالية وقال :

ـ انك مجنون يابوريس ٠ انى سأحضره لك عن طريق الباسفيك ٠

ـ اتحضره الى أمريكا عن طريق الباسيفيك ؟

ـ سترى ٠ أنا قلت لك أنى قادر على عمل أى شىء ، فسأحضره على سفينة عن طريق فلادفستك الى شاطىء أمريكا الغربى ٠

لا مندوحة من أنه صمم على أن يربطنى معه فى خدمته وكان الغرض الاول من حديثه هذا هو للتأثير على ٠ خرجت من هذه المقابلة مزعزعا عدة ساعات ثم بدأت أسرح بخيالى ماذا بالله يريد منى اذا أحضر والدى الى ؟

وآخر حديثه معى :

ـ لا تتصل بى فى السفارة كلية ٠ أنت فاهم ؟ ثم أعطانى عنوانا فى نيويورك لامرأة اسمها (ليه مينامنت) وطلب منى أن أكتب اليها قبل أن أزورها وأذكر لها موعد وصولى الى نيويورك والمكان الذى أقصده وقال

(على ســبيل الاحتراس ارسل لهــا هذه البيانات فى خطاب غرامى • وأما البيانات التى تريد ايصالها الى أنا فاكتبها فى السطر أو السطرين الاخيرين) وعلى أن أوقع الخطاب بعلامة موسيقية مزدوجة •

كان هــذا فى شهر مايو ، وفى يولية طلبنى زوبلين تلفونيــا فى منزلى بكاليفورنيا من نيويورك وقال أنه يجب أن أحضر لاراه فى الشرق (شرق أمريكا) فى الحال ولما اعتذرت اليه بأنى مشغول جدا فى روايتى (قصص من مانهاتان) ولا يمكننى القيــام بأجازة كان رده أنه مصمم على حضــورى فوافقت أخيرا ، ولكنى لم أذهب •

أخذت أهرب من زوبلين طول الصيف كلما حدثنى تليفونيا ، وفى سبتمبر كنت مضطرا للسفر الى نيويورك لحضور العرض الاول لروايتى (حكايات من مانهاتان) وكنت أعلم أنى سأكون مشغولا لآخر دقيقة فى هــذه المأمورية للمراجعة ثم الموافقــة على الاعلانات ومراجعــة كشوف الضيوف وحضــور المؤتمرات التى لا تنتهى لذلك لم أعن بافادة (لى مينامنت) عن حضورى •

الا أن زوبلين ظهر أمامى فجأة فى حجرتى بالفندق بعد وصولى بدقائق • وكما حدث فى واشنطون بدأ تهديداته وتحدث كثيرا عن عضــلاته القوية واذرعه الطويلة وبعد أن انتهى من هذا اخبرنى أن شركتى يجب أن توظف الناس الذين يرسلهم الى كفنيين وموسيقيين وعمال كهربائيين وميكانيكيين ومصورين • وعنــدما قال (ومصورين) ضحكت فى وجهه فهوليود فيهــا اتحادات كثيرة من الصعب الانتماء اليها ، الا أن المصورين لهم اتحاد محدد لا يمكن تجاهله • ولهذا الاتحاد فى ذاك الوقت كما أعتقد ٢٠٠ عضوا أو أقل بقليل • فحاولت أن أشرح ذلك للضيف الثقيل ولكنه لم يفهم شيئا وقال ان كل ما يهمه هو النتيجة التى يرمى اليها •

صمم على أن أذهب فى ذاك اليوم للغذاء معه ، وضحك من اعتراضى بأن عندى مؤتمر هام وقال وهــو يضحك ضحكا مكتوما (من أجلك ومن أجــلى يا بوريس ، هناك عمل واحد فقط هو المهم) ثم أخذ يربت على ظهرى وقد ضاقت أنفاسى من صدرى •

ذهبت معه للغذاء فى مطعم لوشو وحاول جاهدا أن يكون لطيفا وأن يكون مضيفا فقد نصحته زوجته على ما أعتقد أن يداهننى فترة ما ، فقــام بهذه الخدعة خير قيام ، ولكنه كان يشرب الفوديكا وقد مزجها بالفرموت والبيرة ،

وكلما ازداد فى الشرب كلما أصبح أكثر خشونة • وهو كروسى كان سكيرا غريبا ، فما لم يشرب زجاجتين أو ثلاثة من الفوديكا فى اليوم اعتبر نفسه لم يشرب شيئا •

وقبل أن ينتهى أنذرنى بأنى ان لم أرد ان أهلى يؤذون وتؤخذ ضدهم اجراءات تعسفية فعلى أن أجد عملا لواحد من الثلاثة من رجاله فى المؤسسة التى أعمل فيها وذلك فى بحر تسعين يوما ، ولم ينتبه الى توسلاتى واحتجاجاتى بأن لى شركاء ومدير أعمال كفء اسمه (سام رينار) وأنه سيعترض بشدة على قبول تعيينات جديدة لا حاجة له بها وأننا نسميه (سام الفاتح عينيه على المصروفات ـ رينار) وأنه مع شركائى سيعترضون بل سيرفضون أى اقتراحات من هذا القبيل ولا يمكننى وحدى أن أتخذ أى اجراء كلية •

ولكنه استمر يقول (٩٠ يوما فقط يا بوريس، ٩٠ يوما لتحضر والاحسن لك أن تحضر ، فنحن فى الولايات المتحدة حيث يظن بعض الناس أنه فى أمان منا ، ولكنى أذكرك بأننا نمسك بمن يحاول أن ينسى أنه مدين لنا) •

شعرت بأن راسى يكاد ينفجر ، كان الامر من أوله عصيبا ولكن اليوم اشتد الضيق وأخذت أشعر بأنى لن أقوى على عمل شىء من أجل حفلة الافتتاح لاهم عرض اسينمائى قمت به • كنت فى غاية من اللهفة للتخلص من هذا الثقيل أكثر من أى أمر آخر ولو فى هذا الظرف فقط ، فاضطررت الى الاتفاق على أى اقتراح يطلبه لاتخلص منه حتى تمر حفلة افتتاح (قصص من مانهاتان) •

فقلت :

ـ طيب • سأبذل جهدى وأعمل أى شىء يمكن عمله •

فقال :

ـ لا يكفى أى شىء يمكن عمله • انى أقول لك يجب وفى بحر ٩٠ يوما •

عند ذلك صرحت بآخر ما فى صدرى :

ـ سأكون صريحا معك • أنا لا أعرف كيف تريدنى أن انفذ لك أمرا لا أقدر عليه • قلت لك سأحاول •

عند ذلك أخذ يضحك وقال (لا تقلق • سنمدك بمن تريد من الفنيين والكهربائيين والميكانيكيين أو أى عمال فى حرف أخرى فى الاستوديو • هكذا يا بوريس فلن تجد أى صعوبة أمامك أبدا !) وأخذ يضحك بصوت عال ••

هكذا كانت المقابلة وعندما ركبت عربتي الى المؤتمر وقد كنت أخرت ميعاده مرات من أجل هذه المقابلة سألت نفسي (كيف تورطت في هذا كله؟ لا مفر لي ، فيجب أن أعاون السوفيت ان لم أرض أن ينال أهلي التعذيب ، وسوف يشي بي (زوبلين) ويهددني بأزهاق أرواحهم ، وكان هذا هينا عليه) ٠

وفي ديسمبر وصلني من المس (ميلامنت) خطاب غرامي ـ ونحن نتذكر أنها الامرأة المقيمة في نيويورك والتي لم أرها في حياتي ـ وتذكرني في خطابها أن المهلة التي مدتها تسعين يوما قد انتهت ٠

وفي يناير جاءني خطاب آخر منها ولكني مزقتهما ٠

ثم جاءت قذيفة المدفع !

فبعد يومين من وصول خطاب (ميلامنت) الاخير وصلني أعجب تلغراف استلمته في حياتي ٠ كان من وزارة الخارجية ويفيدني بأن أبي في طريقه الى أمريكا ، وبالنسبة لاجراءات الامن المتخذة في زمن الحرب لم يكتبوا لي بيانات وافية ٠ ذهلت منشدة الفرح وتصورت أني لورأيت زوبلين في هذه اللحظة لعانقته وقبلته ٠

بقيت أياما في شدة اللهفة والانتظار وفي ٢٠ يناير وصلني تلغراف آخر يفيدني بأن أبي سيكون في سيتل في مدى ساعات قليلة ٠ وكان هذا نبأ عظيما ووددت لو طرت اليه على طائرة ولكن قيادة القوات المسلحة لم تدع طائرة لاحد بل أبقتها كلها للميدان ٠ حدثت كل من أعرفه في سيتل بل وأناسا كثيرين لم أعرفهم منقبل من أولالعمدة ومأمور الشرطة، وقد وصفت للجميع مصاعب البحر الباسيفيكي التي قاساها أبي وهو في سن ٨٢ عاما زيادة عن عبوره بحارا يغطيها الثلج وتمخر فيها الغواصات وتطير فوقها قاذفات القنابل اليابانية ٠

أخذت استنجد بالتليفون أصدقائي هنا وهناك وأخيرا طرأ لي خاطر هو الاستعانة (بفرانك نيومان) صاحب ملهي مدينة كنساس وهو يعيش حالا في ستيل ويدير جملة ملاهي في الشمال الغربي من أمريكا ، وقد وافق (باركه الله) على أن يقابل أبي ويرافقه في الفندق الالومبي وهو أحسن فنادق سيتل ٠

وعندما وصلت في الصباح التالى وجدت نيومان قد نام فى نفس الحجرة مع والدى ليعينه على أى طلب أراده ليلا، ورأيت والدى وقد اضمحل وشحب. كان أطول منى وكان عادة يزن ١٥٠ رطلا ، ولكنه قد قاسى رحلة شاقة مدة ١٦ يوما على طريق سيبيريا الحديدية ثم ٢٨ يوما فى البحر فى السفينة سمولنى التابعة لشركة ليبرتى . وطالت مدة السفر لانه كان على السفينة أن تتجنب الاضاءة ليلا وبذلك كانت تسير بطيئة . ولم يذق أبى فى أثناء هذه الرحلة الطويلة غير الارز وحساء الفول .

بقينا ثلاثة أيام فى سيتل حتى يسترجع أبى قواه وينال نصيبه من التغذية الوافية ، وفى هذه الفترة أخذته الى المسرح والسينما ولا أذكر أسماء الروايات الا أنى أذكر أن أبى قد تمتع بها تماما ثم قلت له : (هذا هو ما أشتغل فيه يأبى الآن .. اعمل روايات كهذه) فسألنى :

ـ أهذا كل شيء؟ ألا ترى اخوتك؟ أحدهم أستاذ والآخر مهندس والثالث لغوى عظيم . وأما ما تعمله أنت فروايات فقط . وهل تكسب من هذا يا بوريس ؟

قلت : نعم .

قال : طيب .

ـ قال ذلك ولكنه لم يعدل من نظرته التى وجهها الى فقد تركت الدرس والثقافة وكل ما دربنى عليه لاعمل فيما يراه هو أنه أمور خرافية (وشغل عيال) ! Childish .

وعندما رجعنا الى البيت فى بيفرلى هيلز حاولت أن استدرجه ليتكلم عن الحياة فى حكم الشيوعيين ولكنه لم يقل شيئا . وعندما سألته عن اخوتى هز رأسه حزينا .

وبعد ثلاثة أسابيع من وصول أبى ظهر زوبلين فى منزلى فى بيفرلى هيلز يحمل الكثير من الشمبانيا والكافيار. قدمته لوالدى باعتباره الرجل الكريم الذى له الفضل فى احضاره الى أمريكا ، ولكن أبى رفض أن يبقى فى الحجرة مع هذا الرجل أكثر من دقائق قليلة ، فبعد أن شرب كأسا مع الضيف قام مباشرة . شرحت لزوبلين أن الرجل المسن لم يشعر أنه تمتع بالرحلة كثيرا فقد كانت الرحلة شاقة عليه لكبر سنه . هز (زوبلين) كتفيه استهجانا وحدد ميعادا للمقابلة فى مطعم بيرينو فى اليوم التالى ، وعرفت حينذاك أنه حان وقت الدفع .

الباب الرابع

بدأت أعرف ما عليَّ (من الدين)

أصبح (زوبلين) الآن في هيئة رجل آخر ، أحسن نوعا من وجهة نظره هو ، فقد أراد منى خطابات تعيين كشافين خبراء لشركتى (انتاجات بوريس موروس Boris Morros Productions) فقلت له أن طلبه مستحيل و (اتنسى أني لست صاحب شركة كبيرة كباراماونت • والشركات الصغيرة ليس لها خبراء كشافون ولا يمكنها تعيين أحد منهم) ؟

قال :

ـ يمكنك درج رجالى فى كشـوف المرتبات ولـكنهم لن يكلفوك سنتيما واحدا •

شرحت له أن المشكلة ليست من الناحية المالية لان هذا الستار الشفاف سيوجد بواعث الشـك عنـد رجال الحـكومة الذين يعرفون كيف تسـير الشركات •

رجع ثانية الى مسـألة تعيين مصور سـوفيتى واثنـين كهربيين واثنين ميكانيكيين فىشركتى ، وعندماكررت له اعتراضاتى الاولى قال (يابوريس• يجبأن نتعاون . لا يمكنك أن تكون حالك هكذا مع الرجل الذى أحضر لك والدك) •

ثم عرض طلبا آخر كدت اضحك منه قال :

ـ من غير المعقول أن أرى عملائى لاعمل لهم ولا يمكنني أن أجد لهم عملا قانونيا، فقد اشتغلوا بجد وكانوا ثوريينمخلصين وهم الآن يطلبون الامان•

كدت أطق من قوله بأنهم متضايقون ويطلبون حمـاية النظام الرأسمالى وقد جاهدوا بكل قواهم لتدميره •• هذا هو المنطق الذى يغضبه •

رغبت أن أهدأ وآمن مع والدى من شرور (زوبلين) بقدر الامكان ولكن يظهر أنه من الواجب أن لا أغضب هذا الرجل من أجل باقى أهلى الموجودين فى روسيا ، فالافضل أن أنسحب بالتدريج ان أمكن ٠

وفجأة مال على الطاولة وفى يده زجاجة الفوديكا وقال :

ــ ما رأيك فى ضم رجالى ضمن شركة الموسيقى ؟

فنظرت له نظرة استخفاف ٠ فقال :

ــ لا تنظر لى كأنك لا تفهم مرادى ٠ أنت عندك شركة موسيقى فى طريق صان ست وشارع فاين ٠ مكتبك فى الدور الارضى واليافطة التى على الباب مكتوب عليها (شركة موسيقى بوريس موروس) وقد أحصيت بنفسى الداخلين والخارجين فيها ٠

قلت :

ــ ليست لى ٠ بدأت بها لابنى وهو الآن فى الجيش ٠ أردت أن أبدأ بها حتى يجد عملا ما بعد انتهائه من الخدمة ٠

قال :

ــ انها بالفعل ستارا يمكننا أن نضع خلفه اناسا فى الولايات المتحدة وقليلا آخر فى أمريكا الجنوبية وتذكر اسماؤهم فى كشوف المرتبات فى الشركة ٠ فقاطعته :

ــ هناك أيضا لى شريك اسمه (ايب فرانكل) وهو يدير الشركة على أساس المرتب ونسبة من الفوائد ، كذلك عندى كتاب أغانى يعملون بمرتب ومساهمون فكيف أشرح لهم المسألة ؟

فقال زوبلين متجاهلا هذه العقد : (تمام . هذا ما كنا نرنو اليه . فالأمر طبيعى فى أن يكون للشركة موسيقيون يعملون فى دول أخرى لاقتباس أغان شعبية لتطوير الاغانى ومزج الاغانى المحلية بالاجنبية ، وهذا سبب يجعلهم يجوبون الآفاق) ٠

أخذت أتفرس فى وجهه وأصغى اليه وأدركت أنه لن يمكننى أن أجعله

يحيد عن رأيه لا بالقول ولا بالعمل ـ وفى هذه اللحظة بالذات على الاقل ، بل ربما أمكن ذلك فى المستقبل ، لذلك ختمت الحديث بقولى :

ـ دعنى أفكر فى المسألة قليلا • دعنى أهضمها واقتنع أن على دينا يجب أن أوفيه لك وقد اتمكن من أن أعطيك جوابا مقنعا قريبا بعد أن أدرس المسألة من جميع نواحيها وأقرر الى أى حد أجاريك على حسابى •

وقبل أن يغادر المدينة تقدم الى باقتراح آخر معتقدا أن هذا سيجعل الامر أكثر بساطة • والاقتراح الجديد يتطلب استخدام اسمى فقط لاعطاء المشروع مظهرا قانونيا • فسيقيم رجاله شركة الموسيقى الجديدة ويديرونها بأنفسهم وبذلك لا يكون هناك (ايب فرانكل) ليتدخل •

قضيت شهرين فى أمان قبل أن يأتى (زوبلين) الى هوليود ويتغذى معى فى مطعم بريتو ، وفى ذاك اليوم (طلع أنفاسى) وقد كشف لى أنه عرف مقدار ثروتى فى البنك لاقرب بنس ولا أدرى كيف أمكنه ذلك ، فلا بد أن ذلك تم له عن طريق أحد أعوانه فى البنك أو ـ وهو الاسوأ ـ بأحد أعوانه فى مكتبى ••

وقد عرف باختصار مقدار دخلى من تشغيل بعض أجهزة أفلامى التى اشتريتها أخيرا وعرف قيمة منزلى وبكم اشتريته كما عرف أنى قد اعددت نفسى لاخراج مسرحية موسيقية (ملك الفالز) وعرف مقدار المال الذى سوف احتاج اليه قبل أن افتتحها فى لوس انجليس •

وبعد أن شرب بعض الفودجا قال لى (لقد قررت أن نوسع شركتك الموسيقية ، فكم تريد من المال يا عزيزى ؟ سأقوم بمعاونتك وأؤمنك ضد أى خسائر) •

ترك هوليود هذه المرة وهو معتقد أنى وافقت على توسيع الشركة الموسيقية ـ بالمبلغ الذى أطلبه ليضمن لى عدم الخسارة ـ وأننا سنبدأ العمل فى الصيف •

كنت أضطر الى أن أذهب الى نيويورك لمصالحى مرة فى كل شهر طوال هذه المدة • ولم اعتد أن أخطر (ليه ميلامنت) بأنى حاضر • ولذلك عندما قمت برحلة ابريل فوجئت بتليفون من (زوبيلين) بعد أن استأجرت حجرة فى (شرى نذرلاند) بدقائق •

وكانت هذه هى المرة الثانية التى يثبت لى أنه قادر على العثور على وتتبع حركاتى كلها • بعد ذلك بدقائق كان معى فى الحجرة •

وكانت هـذه المرة الثانية التى يثبت لى أنه قادر عـلى العثور على وتتبع منها جميعهـا أنهـا مثبتة • وكان دائمـا يجرى هذه التفتيشـات آليـا وكل ما يريده فى هذه الزيارة هو أن يخبرنى أنى يجب أن أقابله فى شقة (ليه ميلامنت) فى الساعة السابعة من هذا المسـاء ، وأنه كان يفتش الحجرة من أجل سلامتى وليطمئننى أنه لا توجد أى واصلة سلكية سرية •

الا أن هذا الهذيان فى السرية وما اليها ضايقنى • وفى هـذا الوقت لم أهتم بالسـلطات الامريكية كلية ، فليستنطوا الى تليفونى أو فليسألوا أى أسئلة ، فالحقيقة ان الذى ضايقنى هو (زوبيلين) نفسه ليس الا • فهل له مخبرون فى كل مكان ؟ فى البنوك التى أعاملها وفى الفنادق التى أنزل بها بل وفى مكتبى ؟

فى هذه الليلة عنـدما قررت الذهاب الى مكان (ميلامنت) وكانت قـد انتقلت الى شقة أخرى كانت قد أعطتنى عنوانها ، قد عجبت من هو البواب أو الكاتب أو المنـادى فى هذا الفنـدق الذى أخبره بسرعة أنى ذاهب الى نيويورك فقابلنى فيها •

عندما وصلت الى شقة (ميلامنت) لم يكن أحد فى الشقة ولـكن عندما أدرت أكرة الباب فتح • دخلت ثم جلست منتظرا ، وبعد لحظة حضرت مدام زوبيلين ثم أخذتنى الى تياترو بيكون فى برودواى وانضم الينا زوجها عندما كنا نسير الى السرادق •

ثم قالت (اسعدتم مساء) وتركتنا وحدنا • كان (زوبيلين) فى هـذه الفترة فائقا غير مخمور وكان مؤدبا جدا كما كان ثائرا •

أخبرنى أنه أخيرا تمكن من تسوية ماليته اذا كنت أرغب حقا فى التعاون معه •• وأخذ يطلب منى الآن بدلا من أن يعطينى أوامره لتنفيذها ، ومع ذلك فلم ارتح كثيرا الى هذا السلوك •

واستمر يقول لى (كل مانريد منك هو استخدام اسمك) وقبل أن نفترق اعتذر لى عن لهجته الخشنة فى المقابلة الاخيرة •

وكان لى عذر قوى بالخسارة التى حدثت عام ١٩٤٣ لابعاده عنى ، فقد كنت اقايض (فيكتور هربرت) فى حقوق انتاج رواية (أطفال فى طويلاند) وقصص أخرى لهنرى ٠و ٠ كذلك كنت مشغولا فى ترحيل جوقة من ٦٠ شخصا فى رحلة لمسرحيتى (ملك الفالز) التى افتتحت فى لوس انجليس فى سبتمبر ٠

وكنت سعيدا ومغترا بالطريقة التى اتخذتها فى تسويف أى عمل معه٠ وكنت آمل أن أستمر فى خداعى هذا طويلا ، ولكن حدثت الازمة ٠

ففى ديسمبر طلبنى (زوبيلين) تليفونيا من بعيد جدا وقطعا تجاهلت هذه المحادثة ٠ فقد حدثنى فى كاليفورنيا من كشك تليفون فى نيويورك وقد أدركت أنه يتحدث من كشك لانى سمعت الفرقعة عندما كان يضع النقود فى صندوق التليفون ٠

قد جهز تفصيلات ماليته وانى لا بد من حضورى دون تأخير٠ وادعى (زوبيلين) أنه عثر على زوجين من الاثرياء اللذين سيدفعان الى ١٠٠٫٠٠٠ دولار أو ٢٠٠٫٠٠٠ دولارا لاى عمل أريده ٠

بعد ذلك بقيت فى نيويورك أياما قلائل حيث أفدت المس (ميلامنت) قبل ذلك بأنى سأنزل فى ٢١ ديسمبر فى شيزى نورتلاند ٠

وفى هذه المرة تلفن (زوبيلين) لاقابله فى برودواى فى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى ٠ وعندما أبدأ السير فى شارع ٦٠ على أن أتجه شمالا فى شارع ٧٠ ٠

عندما بدأت سيرى فى المدينة، حدثت لى أمور كثيرة أضحكتنى وسلتنى٠ أولها هى الاحتياجات الشديدة التى كان يتوخاها خشية أن أغدر به لدى السلطات فى آخر لحظة ٠

فقد كان يتلفن لى من الارياف فى التليفونات العمومية فى الكشك ، كما كان يستخدم المس ميلامنت كصندوق بريد ، ويقابلنى فى الصباح بطريقة عجيبة ، وكان يجعلنى أسير طويلا حتى يراقبنى على راحته من الباب أو السطح ويتأكد من أنى غير متبوع بأحد رجال الامن قبل أن أصل اليه ٠ وهكذا ٠

هل كانت لديه نعمة قراءة الافكار أوهل هداه أي شخص ما بهذهالافكار؟ لاني في الحقيقة كنت أفكر في التقدم الى ادارة المباحث الجنائية لاطلب منهم تولي أمر رفع المستر زوبيلين عن عاتقي ٠

ولا أدرى لم أخرت هذه الحركة ؟ لربما فضلت ـ كأى رجل آخر ـ أن أتخلص من هذه المشكلة بنفسي ٠

ولكن هناك أمرا آخر، فاني ان لم اتخلص من هذه المشكلة فلا بد أن أقوم بالتبليغ لارى ماسوف يعملون ٠ وقد كنت غبيـا فظننت نفسي أني قـادر على حل هذا الاشكال بنفسي واني سأرتاح أخيرا ٠

ثم اني ـ كرجل أعمال ـ أغرتني فكرة (زوبيلين) عن الزوجين اللذين سيشتركان بمبلغ ٠٠٠ر١٠٠ دولارا فوق شركتي التي رأس مالها ٦٠٠٠ دولارا ورأيتهـا فرصـة فأين وجـد مثـل هـؤلاء الناس ؟ ان كثـيرا من الرأسماليين المسرحيين في برودواى قضوا أشهرا في كل عام محاولين أن يحصلوا على مثل هذا المدد المالي في استعراضاتهم الجديدة بلا جدوى ٠

عندما قاربت الانتهـاء من الخطوات التي اتفق معي عـلى أن أسـيرها في برودواى قابلني (زوبيلين) وقادني الى عربة صـغيرة ذات بابين كان قـد أوقفها قريبا من مكان المقابلة وعلى الجانب الآخر من الطريق ـ ركبناوجلست بجانبه ثم ساق العربة في طريق هنرى هدسون شمالا في ولاية (وست شستر) ثم حاد الى طريق كروسي كاونتي حتى ولاية كونتيكات في طريق ميريب ٠

بعد أن بدأت بنحو نصف الساعة كان يرقب العربة التي تلاحقنا في مرآة العربة وعندما اطمأن الى أنه لم يتبعنا أحد هدأ نفسا ثم بدأ حديثه وقد كان الجو جميلا مشمسا والثلج يغطي الارض وكان منظرها في هذه المناطق كمنظر صور كروت الكريسماس جميلة بديعة ٠

كان محور حديثه عن ثراء الزوجين اللذين سنقابلهما ، وكان في حديثه يخلط بين لغته الروسية مع الالمانية والفرنسية والانجليزية الركيكة٠ تكلم عن خفة روح الزوجة وذكائها ومركزها الاجتماعي الراقي ٠ وعندما ذكر أن والدها كان من أهم الدبلوماسيين الامريكيين في حكومة (فرانكلين روزفلت) أدركت أنه لا بد كان مخمورا ولو أننا لا نزال في الصباح الباكر وعلى هذا لم أصدق شيئا مما قاله ٠

بعد أن دخلنا فى الطريق الثانوى دخلنا فى المدينة الجميلة (ريدج فيلد) حيث أوقف (فازيا) العربة ودخل الى تليفون (مكتب اتحاد الغرب) ثم رجع الى العربة ثانية •

وبعد خمسة عشر دقيقة جاءنا رجل هزيل فى وجهه أثر بترات الجدرى كان فى عربته الواجون فاوقفها بالقرب منا • كان يلبس سترة جلديةوحذاء طويلا • عرفنى زوبيلين بهذا الضيف الجديد بقوله (صديقى العزيز الفرد ستيرن) فتصافحنا وركبنا عربة (ستيرن) حتى منزله • وكان منزلا يشبه المنازل الانجليزية القديمة تماما وكان حديث الطلاء • وعندما دخلنا الممر فتحت لنا المسز ستيرن باب المنزل وهى شابة جذابة رقيقة •

بعد أن تصافحنا وضعت ذراعها حول زوبيلين وقبلته على فمه بولع ثم سارا متشابكى الذراعين أمامنا حتى المكتبة وقد تبعناهما أنا وستيرن• كان الاثاث كله أمريكيا عصريا ثمينا •

استمرت المجاملة بين (زوبيلين) والزوجة حتى قال ستيرن بعد أن نظر الى نظرة خجولة ـ قال (كفى الآن يا فاسيا) •

فزمجر (زوبيلين) بتعجب• ولم أره من قبل فى مثل هذا المرح وقد ترك الآن المسز (ستيرن) وطبطب على ظهر زوجها بقوة حتى هز الرجل الهزيل المسكين •

أو فاسيا الى ستيرن ثم قال (ليست أمامنا الآن أى مشكلة مالية ، فها هو رجلنا المليونير • فما عليك الا أن تبدأ العمل ثم تدربه كادارى فى الشركة الموسيقية، وحالما تبدأالعمل على أساسه المرسوم فلتتوكل يابوريس• ويمكنك أن تدع رجل المال (سيمز ريوباك Sears Roebuck) الذى ساقنا الحظ اليه ليتولى (الشغلة) كلها •

ولم أدرك الا أخيرا اشارته الىمكتب التحاويل البربرية• فقد كانستيرن من قبل متزوجا من (ماريان روز نيولد) ابنة (جوليوس روزنيولد) الذى جمع ثروة من ملايين الدولارات ، ادارة (سيرس ريوباك) •

وقد ورث ستيرن نفسه عدة مئات الآلاف من الدولارات عن والده وهو صاحب بنك (نورث داكوتا) ولكنه فشل فى منظمة التحاويل البريدية • ومع ذلك فقد اشيع أنه أزاد ثروته الى أكثر من مليون دولارا فى الوقتالذى طلق فيه زوجته السابقة (المس روزنولد) •

كان اقتراح زوبيلين الاول أن يدفع ستيرن ٢٠٠٫٠٠٠ دولارا فقال وهو يرعد (لا أريد معارضة فى هذا يا الفرد) !

ولكن ستيرن اعترض ثم التفت الى وطلب رأيى ٠

قلت (ان الامر يخصكما انتما الاثنين ٠ وسوف أخرج من الحجرة حتى تقرأ رأيكما وادعوانى اذا ما اتفقتما على مسألة النقود ٠

وقبل أن يعترض زوبيلين ، اسرعت بمغادرة الحجرة ووقفت أمام النافذة طويلا فى غرفة الجلوس أنظر الى الثلوج ٠

والآن يجب أن أعترف حقا أنه طالما سألنى الناس عن الشجاعة التى واتتنى ومن أين اكتسبتها طوال السنين التى عملت فيها جاسوسا للسوفيت ثم فى مقاومة هذه الجاسوسية مع ا ٠ م ٠ ج ٠ (ادارة المباحث الجنائية) ولا يمكننى الاجابة عن هذا والسبب الوحيد هو (أنى لا أعرف) بل أن التفسير الوحيد الذى يدور فى ذهنى هو أن الفترة الاولى من حياتى قضيتها فى نزو حيث من الصعب أن أخبر عما يحدث بالفعل أو فى الخيال وكان هذا فى أول حياتى بالطبع ٠

وعندما كنت موسيقيا ناشئا درست كيف أواصل أفكارى مع نغمات الموسيقى أكثر من ترجمتها بالالفاظ والحركات ٠

ثم ماذا أكثر من حياة أقضيها فى هوليود، وما أكثر الاحلام والآمال فيها، ـ كل أنواع الاحلام ـ أحلام فى الحب والجمال والكراهية والانتقام ٠ كان لسندريلا Cinderella (فتاة القصص سعيدة الحظ) الف وجه ٠ وقد وجد روميو (المحبوب) فى كل مكان وكل وقت ٠ ومن المستحيل عليك الاشتراك فى مثل هذه الاحلام دون أن تفقد نفسك فيها ، فمن ذا الذى يمكنه أن يندمج فى مثل هذه الاحلام ثم يخرج منها كل يوم وبنظام موقت ؟

وهكذا فى هذا العالم العجيب الذى لا يدوم فيه الحال على ثبات قد تمكنت منى هذه الشجاعة ٠ وبينما كان (زوبيلين) بعيدا عنى بثلاث آلاف ميل كان الكابوس الذى يحاول أن يغرقنى فيه أقل خطرا من قطاع الطرق الذين تمثلوا فى رواية (العسكر والحرامية) السينمائية التى أنتجها ٠

وربما أيضا كان ذلك لاني اعتقدت بسلامة نية أن والدي أصبح آمنا في كاليفورنيا وأن أمي أصبحت في عداد الاموات وعلى ذلك يمكنني أن أتخلص منه عندما أريد ، وفي هذا الوقت لم أكن أشعر تماما بالخطر الشيوعي على وطني • وبكل تأكيد اذا كان الوقت غير ذاك الوقت لعرفت كيف اتصرف مع مثل هذا الشخص ، ولكن في ١٩٤٣ وقبل ذاك العام كان المحاربون الروس قد حياهم الناس كأبطال في طول البلاد وعرضها • كانوا اصدقاءنا حتى المحافظين منهم والمولودين في أمريكا كانوا يقولون ـ حلفاؤنا وزملاؤنا في السلاح ضد العدو المشترك ـ • بقيت المسئولية عن اشقائي وشقيقاتي ولكن هذا بالطبع لم يهمني كثيرا كالتزاماتي نحو والدي •

والآن اعتبرت نفسي في حال سعيد كرجل يشعر بالامان التام •

كنت أقف أمام النافذة لحظة فجاءتني المسز ستيرن وقالت وعلى شفتيها ابتسامة (من المؤكد أنك لا تذكرني • أليس كذلك ؟)

هززت راسي نافيا اني أذكرها •

ـ اذن سأغفر لك هذا النسيان لاني كنت ذكرت لك اسمي قبل الزواج عندما تقابلنا أول مرة •

ـ وما كان اسمك وأنت فتاة ما مسز ستيرن ؟

ـ مارتا ضوض Martha Dodd •

ولو أني تعجبت الا أني لم اتفرس فيوجهها • اذن لم يكن زوبيلين أحمق أو مخمورا عندما قال لي أنها ابنة دبلوماسي كبير ، فان اباها البروفيسور ويليام أ • ضوض الذي كان سفيرنا في المانيا في أيام عظمة هتلر قبل الحرب •

قالت السيدة (تقابلنا في الاستوديو ـ فوكس القرن العشرين) •

كانت مقابلتنا الاخرى قصيرة جدا • كان في ذاك الوقت (ميشيل كانين Michael Kanin) يكتب للسينما رواية (أولاد الشوارع The grand Street Boys) وهي رواية كنت أعدها للاخراج وكانت زوجة فاي Fay قد جاءتني في المكتب مع مارتا هذه وعرفتني بها وكانت قالت أيضا أن المس ضوض تعمل في الاستوديو في اخراج كتابها على السينما (ماذا ترى السفارة Through Embassy Eyes) •

استمر (زوبيلين وستيرن) فى المكتبة يناقشان فى الامور المالية ساعة كاملة بينما جلست مارنا ستيرن فى الحجرة الاخرى تتحدث الى ٠

انها فتاة جميلة مثقفة ولها خيال بديع كما أنها حسنة الاسلوب فى الحديث ولم تفقد كلية روح الفكاهة والبشاشة ٠

بقيت طول الوقت فى التعجب ـ بالله ماذا أرغم هذه الشابة اللطيفة على هذا السلوك ، فتزوجت من مليونير يعمل فى حلقة جاسوسية روسية سوفيتية ؟

ليس لكل هذا مغزى كلية ٠ وحتى اليوم لم يكن هذا الامر يعنيني ولو أن من يقرأ قصتها (ماذا ترى السفارة) يدرك فى الحال العوامل القوية مع الشعور الداخلى التى أفسدت فجرت هذه المرأة المختلفة الاعصاب فقذفت بها فى الاول فى أحضان النازية ثم قلبتها الى الطرف الآخر على النقيض ـ الشيوعية ـ ٠ ومع ذلك فهذا با بمن أبواب قصة خيانتها لكل مبدأ دان به والدها البروفيسور ضوض الرجل الحر والذى حارب من أجله لآخر رمق من حياته ٠

عندما اجتمعنا أخيرا فى المكتبة وجدنا زوبيلين يفرك يديه بخفة ، فقد اتفقا أخيرا٠ سيشترك ستيرن بمبلغ ٠٠٠ر١٣٠ دولار منها ٠٠٠ر١٠٠ دولارا فى شركة بوريس موريس بلوس انجليس ، والباقى وهو ٠٠٠ر٣ دولارا سيحتفظ به ستيرن فى بنك فى نيويورك وليس لى حق سحبه٠ لم يخفيا أمر اتفاقهما عن استخدام هذا المبلغ فى مهايا ومصاريف العملاء الذين سيكونون مخبرين وكشافين سيرسل بعضهم الى أمريكا الجنوبية والآخر فى بعض العمليات فى الولايات المتحدة ٠

وقد قال زوبيلين (لا تهتم بمسألة الرجال يا ألفريد ، فلن أقدم لك الا رجالا من الدرجة الاولى) ثم غمز بعينه الى وقال (خبارء كشافين من الدرجة الاولى ، جميعهم جامعيون وذوو ذكاء خارق ، وذوو مظهر لطيف وعلى أحسن حال ٠ ولا حاجة بى الى أن أضيف أنهم أيضا رجال أنا مقتنع بأنهم يقدسون مبدأنا) ٠

عندما قدم لنا الغذاء تحدثنا عن بعض التفصيلات فقال (ستيرن) أنه سيرصد مبلغ ٠٠٠ر٨٠ دلارا فى الايام القليلة الآتية لحساب الشركة والباقى بعد أشهر قليلة ٠

وطلب مني زوبيلين أن أعجل بتدريب (ستيرن) على أعمال الموسيقى من أول خطوة قائلا (أريد منك أن تدربه كي يعرف تماما العملية من الناحية الموسيقية الصرف وكيف يعمل فى الموسيقى والاجواق والموسيقى الشعبية. وبكلمات أخرى الجانب التجارى لكل شيء ابتداء من باخ وبتهوفن الى جيرشوين) ٠

وأضاف الى قوله هذا ان وضع رجاله سيكون فى يد (ستيرن) وحده وعليهم بأنفسهم اخفاء شخصياتهم فى صورة خبراء فى الاغانى أو كشافين عن المغنيين والاجواق الشعبية وذلك بالاتصال مع الموسيقيين الاجانب بفكرة شراء الحقوق الامريكية لاغانيهم ثم بيع الحقوق البرتغالية والاسبانية فى مقابلها ٠

احتدمت المناقشة عندما ذكر (ستيرن) أن محاميى عليهم انتظار عقد الاتفاق حتى يستشير هو مستشاره المالى ٠

اعترض (فاسيا) قائلا :

من هو هذا ؟

ذكر (ستيرن) اسم الرجل معرفا اياه بأنه موظف فى البنك الوطنى الصينى ٠

ـ دعه ولا تذكره ٠

ولكن ستيرن رفض وكان هذا سببا فى أن يثور رئيس الشرطة السرية الروسية (فاسيا زوبيلين) فيدق الطاولة ويكرر قوله لن تكون هناك أوراق ولا عقود ولا مذكرات ما ٠

فقلت أنا وستيرن فى وقت واحد (ولا مذكرات ؟) فحملق فى ستيرن وقال (ولا مذكرات ! سيحضر الفرد النقود اليك نقدا يا بوريس ٠ واحذر من رد الفعل فى خزينة البنك الاهلى) ٠

فرد عليه (آسف يا فاسيا ، ولكن لا يمكننى أن أشارك أى شخص دون استشارة محامى) ٠

ولو أني مقتنع بهـذه النقطة ولـكنه بالطبع لن يوافق على أن يتشاور ستيرن مع مستشاره المالى واقترحت أن يتسلم ستيرن نصيبا سنويا قدره ٢٥ فى المائة من الارباح اذا ما بدأت الشركة الموسيقية تأتى بأرباح • كذلك صممت على أن يدفع الى (ستيرن) أربعة فى المائة من الارباح سنويا على أى مبلغ دفعه •

وبعـد الظهر أخذنا (ستيرن) وزوجته الى القرية بعربتهما حيث تركا العربة ثم ركبا معنا عربة (زوبيلين) ورجعنا الى نيويورك •

وكان آخر حادثمخجل فى هذا اليوم الغريب هوفى ركوبنا ورجوعنافقد ساق زوبيلين العربة وقـد احتضن بأحد ذراعيه المسز ستيرن ، فقد شرب كثيرا من الفودكا قبل وفى أثنـاء وبعد الغذاء ، والآن وهـو يسوق العربة صاح بصوته الاجش مارش (اذا أتت الحرب باكر If the War Comes to-morrow ومارشات أخرى روسية حمراء وشاركته مارتا فى أغانيه هذه فقد كانت تعرف بعضها • كنت أشعر شـعورا غريبا ونحن نسير فى ضواحى كنكتيكات الجميلة وتغطيها غلالة من الثلج البديع ونحن نستمع الى (حلوف) المخابرات الروسية وهو يصخب فى كلمات معناها (يسقط العدو) وتشاركه المعجبة به السيدة الرقيقة أبنة السفير الامريكى العظيم •

انزلونى عند الفنـدق ثم ذهب ستيرن وزوجتـه الى شقتهما الفاخرة فى (سنترال بارك وست) •

وفي اليوم التالى كان يجب على أن أزور ادارة التحقيقات الجنائية • واذا ما حدث هذا لكنتتحاشيت بؤسا شديدا هوأشد مالاقيت فى طولحياتى•

الباب الخامس

المليونير الشيوعى

فى اليوم التالى حضر (ستيرن) ليتناول طعام الافطار معى فى مطعم (شيرى نذرلاند) وقال أنه كان سعيد الحظ كثيرا وأخذ يكرر بحرارة أنه يأمل أن يتحسن في الاعمال الموسيقية وبهذه الوسيلة يقوم بخدمة الشيوعية الدولية خدمة جليلة ٠

بعد الافطار أخذنى الى مكتبه فى رقم (٣٠ روكفلر بلازا) وكان له مستخدم واحد فيه هو سكرتيره وقد قال لى أنه فيحاجة الى من يقوم بأعمال مكتبه ٠ ثم أشار لى بطريقة صبيانية على محل اليافطة على زجاج الباب ــ الذى سيكتب عليها (شركة بوريس موروس الموسيقية، نيويورك وهوليوود) واقترح أن أكون أنا مديرا للشركة وهو وكيلا لها ٠

عندما افترقنا توجهت الى مكتب محامى وطلبت اليه أن يحرر لى عقدا بالاتفاق ٠ وعندما سمع انى عثرت على ممول شغوف بأن يقدم لى ١٣٠ر٠٠٠ دولارا لشركتى التى رأس مالها ٦٠٠٠ دولارا فقط على أن يحصل على ٢٥ فى المائة فقط من الارباح قال لى أنى مخمور أو مجنون ٠

قلت له : اكتب ٠

وافق ولكنه قال أنه من الخطأ أن يقاضينى ثمنا لما سيكتبه وقال (هذا الجلف ضحك عليك وعندما يأتى وقت التوقيع على الاوراق فسوف يحرن)٠

فشرحت له (أن ألفرد ك ٠ ستيرن رجل مليونير ٠ قد يكون مجنونا ولكنه مليونير على أى حال) ٠

فقال (اذن لن يكون مليونيرا بعد ذلك اذا كرر مثل هذه العمليات) ٠

بقيت في نيويورك مدة أسبوع أو نحوه فقد كنت في مساومات يومية مع (ستيرن وزوبيلين) وقد تحدثا في ابتهاج عن اجتمـاع ستالين وروزفلت وتشرشل الاخير في طهران •

وقال زوبيلين (سيتفق روزفلت وتشرشل الآن على الميدان الثاني وبعد أن جعلونا نستنزف دماءنا ها هما يودان أن نستمر في القتال ثم يطالبان بكل ما يمكن بعد ذلك) •

واتم الحديث ستيرن فقال (كالعادة) :

ـ لم استمع الىحديثهما بكليتي ، فكلما ضاقت الحلقة وازفالوقت أخذت أفكر في جميع الاحتمالات ، فهل يكون ستيرن غبيا حقا فيوقع العقد ؟

في ليلة رأس السنة كانت الاوراق معدة ولما أفدت المحـامي بأن ستيرن سيوقعها في نفس الليلة قال (اني أعجب لهذا العصفور النادر الذىيبيض لك ذهبا ، يا بوريس • أنت تعرف اني أسكن في الضواحي وأفضل في هذه الليلة وهي أكثر ليالي العام ضوضاء أن أبقى في الضواحي عن أن أكون في المدينة وهكذا لن اتمكن من مشاهدة عملية النصب التي تحيكها على المستر (ستيرن) البنكير •

أتى (زوبيلين مع ستيرن) الى حجرتي في الفندق في ليلة رأس السنة ليشهد توقيع الاوراق • وبعد عدة كاسات من الفودكا بدأ فازيا يغني المارش الروسي (سنذهب باكر الى الحرب To-morrow We Go to War ولكنه قطع الاغنية عندما لاحظ أنستيرن ينتزع صورة من العقد ، وصرخ (لاتقرأه يا أحمق يا غبي ـ وقع فقط) •

وبعد أن تنهد (ستيرن) بعمق أخرج القلم ووقع •

* * *

من أول يوم كان الفرد راغبا في معرفة تفاصيل العمليـة • وقد اقترح فاسيا مرارا أنه لا بد أن يعرف هذه التفاصيل أسرع كثيرا اذا أمضى ستة أشهر من العام معي في كاليفورنيا ، ولكن مارتا عارضت هذا الاقتراح حيث قالت أنها كرهت كل شيء في هوليوود •

في الحال أدركت أن ظروف الحرب قد احدثت ثورة في صناعة الموسيقى الشعبية • فأصبح مثلا من المحـال الحصول على ربح من بيع النوتات فقط وأصبحت أكثر المبيعات من اسطوانات المطربين المعروفين • وعلى ذلك رأيت أنه ما دام من الضرورى لتسجيل هـذه الاغـانى من آلات التسـجيل عـلى اسطوانات بدأت بشركة اسطوانات •

وقد خلقت الحـرب ملايين من الزبائن الجـدد • فقـد كان أفراد القوات المسلحة والعمال المحليين فى اشتياق دائم الى الموسيقى والترفيه وكان فى يدهم المال للحصول على هذه المتعة • الا أن الحرب فى الوقت ذاته تسببت فى نقص المواد الخام التى كنا فى أشد الحاجة اليها • فالجملكة (الطبخ) مثلا كانت غير موجودة كلية وكذلك النيكل الذى بدونه يصبح من المستحيل عمل الاسطوانات الممتازة •

استمر هذا الجهد طويلا ولم نبدأ فى العملية قبل صيف ١٩٤٤ • وكان عملى فى هذا الاستوديو هو عمل رئيس مهندسين ثم اتفقت مع مدير مبيعات نشيط فى (شيلى يورك) وكان على علاقات طيبة مع جميع مديرى مصانع الجراموفون وعـلى ذلك حصـلت على عقـود من فرنسيس لانجفورد ، بوب كروسبى ، هوجى كارميكاييل ، فيل هاريس •

وفى النصف الاول من عام ١٩٤٤ تقدمت أنا وستيرن فى العمل كثيرا ولو أنه لم يعرف شيئا عن شئون الموسيقى أو عن الموسيقى نفسها واضطررت أن أشرح له ما هـو السلم الموسيقى والقرار (المذهب) الموسـيقى وكيف تكتب الاغانى ثم تسجل ثم تنشر واننا فى الحقيقة لا نعرف الاغنية الناجحة قبل أن يعلن الجمهور نفسه عنها • ولكنه كان يدعنى أوالى عملى فى هوليود كما أتركه ليوالى عمله ـ اذا كان هناك داعى وذلك عندما كنا فى نيويورك •

وأخيرا فى مارس ١٩٤٤ طلبنى (سـتيرن) بالتليفون وقال لى (انتظر لحظة ، هنا صديق عزيز جدا يريد أن يتحدث اليك) وقد ميزت الصوت فهو صوت سيدة وقد سلم السـماعة الى مدام زوبيلين التى اخبرتنى أن زوجها مشتاق جدا لرؤيتى وأضافت (نحن مسافران الى المدينة حالا) •

أدركت أن هناك أمرا جللا قد حدث فسافرت الى نيويورك بعد ذلك بيومين وقابلنى (زوبيلين) فى مكان لاجورديا وأخبرنى أنه وزوجته سيسافران الى روسيا حيث سيرقى الى رتبة جنرال (للخدمات الجليلة التى أداها هنا)

وقـد كانت الدموع على خدى (ستيرن) عنـدما قال (لا أعرف أين سنجد قائدا آخر يأخذ بيدنا من بعده) ٠

كان سلوك ستيرن أمامي عجيبا محيرا فقد كانت العاطفة التى أظهرها كل من (زوبيلين) وزوجة ستيرن في قبلاتهما فى كل مقابلة تجعلنى اعتقد تمام الاعتقاد ـ كما يعتقـد كل واحد آخر ـ أنهما عاشقان ٠ وأن الطريقة التى يتحدث بها كل منهما الى الآخر عن الايام الماضية فى برلين تجعلنى أعتقد أيضا أنهما كانا عاشقين وقت ان كان والدها سفيرا فيها ٠

ولم أفهم السبب في أن المليونير لم يسمح فقط لزوجته الجميلة بالتدله في عواطفها مع هـذا الفلاح الروسى الوحشى بل أنه الآن حزين جـدا لان الرجل الذى جعل منه (قوادا) سوف يترك البلد قريبا ٠

والجواب بالطبع هو فى خلق شريكي الجديد ٠ فستيرن رجل ضعيف سهل الانقياد وكان يعبد في زوجته كما كان في زوبيلين القوة التى هو نفسه فى حاجة اليها ، وقد سيطرا عليه كلية ٠

والسبب فيهذا أنه لم يعترض بشدة عندما وضع زوبيلين يديه العريضتين حول أرداف مارتا بل لم يجرؤ على مجرد الاعتراض البسطيء ٠ فهذا الرجل الذى لم يحتج يوما أن يفكر لنفسه أو يقف على قدميه سمح لمارتا أن تقوده من أنفه ٠ كان دائم الافتخار باحوالها وذكائها وجمالها ومركزها فى عالم الادب كمؤلفة ومركزها فى الهيئة الاجتماعية والدبلوماسية كابنة السفير السابق (وليام أ ٠ ضوض) ٠ فلا بد أن (مثالية الاتحاد السوفيتى !) قد طورت هذا الرجل العاطفى لانها تمثل القوة والعزيمة فى ذلك العالم بديناميت الثورة ٠

حدثنى زوبيلين تليفونيا فى الفندق لتوقيت موعد على ناصية برودواى بالقرب من ميدان كالمبس ٠ وفى هذه المرة أيضـا بدلا عن أن يظهر نفسه أرسل زوجته بدلا عنه لتقابلنى وسارت بى الى ميدان كولمبس حيث وجدنا (فاسيا) منتظرا قريبا من محل (الشرق الاقصى Far East) الذى صار أخيرا مطعما صينيا مشهورا ، وكان فى الدور الثانى ٠ وكلما درجنا على السلم قال لزوجته (قولى هنا لبوريس وداعا فلن تريه بعد ذلك) فأطعناه وكنت أنا و (ليزا) نودع بعضنا الآخر ٠

كان المطعم مضاءا ضوءا خافتا ولم يكن به زبائن على غير طاولتين أو ثلاثة ٠ قادنى (زوبلين) الى ركن فى نهاية الصالة حيث كان أحد الاشخاص يجلس وحده وقال (هذا خلفى ٠ « جاك سوبل Jack Soble » ومن الآن فصاعدا فهو رئيسكم هنا ـ ياستيرن ـ دعه الآن فستراه بعدئذ) ٠

والامر الثاني الذي تحدث عنه زوبلين في هذا اليوم في مطعم الشرق الاقصى قد جعلني ارتجف فقد أشار الى وقال (ان صديقنا هنـا مؤمن جدا بوطننا الام وهو أحد عملائنا الموثوق بهم والموالين لنا) ولكن الحقيقة أنه أخبر سوبل كلاما آخر عني في تلك الليلة وما بعدها بما اقنع سوبل بأني سوف لا أكون مواليا موثوقا في أغراضه والافضل اذن مراقبتي واستنتجت أخيرا أن (جاك سـوبل) كان أكثر ذكاءا والطف من الغبى (سـتيرن أو زوبيلين) الفلاح الروسى الجهمة ٠

واذا فرض أني أردت اليـوم أن أحلل حركات (جاك سوبر) المعقـدة وراقبت عقليته المتقلبة ثم وازنت وفهمت مقدار اخلاصه وهي أمور لمستها بنفسي في ضلالة وشذوذ ، لامكنني أن أضيف الى معلومات العالم الحر كيف يناوئون شيوعيا آخر ٠ ولـكنى لست طبيبا نفسـانيا ، وأنا لا أعرف عن (سوبل) أكثر مما رأيته بعيني عنه أما خلاف ذلك فلا أعرف شيئا مثلا عن تاريخ حياته ، خدمته الاولى في الجاسوسية ، تعقيد شخصيته فكان على أن أبحث عن هذا بعد أن أحلل الالف أكذوبة واكذوبة التي يذكرها لي واقواله النصف صادقة والمتناقضات التي يقولها لى ٠ ولكن أمرا واحدا أنا متأكد منه : اذا كان هناك رجل مثل (سوبل) مفيدا لسادته في موسكو فهو أيضا خطر دائم عليهم ٠ ولكن ليس لهم أمر الخيار فكان لا بد لهم من استخدام مثل هذا الشخص ، ومن هم مثله لا يهم اذا وضعوا في (مفرمته) الفسيولوجية السوفيتية ثم صاروا رجالا بعد ذلك أو هم ككل واحد آخر وكجميع الناس في كل مكان لهم غرورهم وافتخارهم وضعفهم وقوتهم ٠

و (سوبل) ليتواني وكانت رتبته كولونل وقد سمح له بأن يتجول في أوروبا ككولونل روسى ـ على الاقل ـ وأخبرني بعد ذلك أنه كان معه في يوم ما ملايين الدولارات عندما كان يعمل في الخدمة السرية في البلقان وأسبانيا في أثناء الحرب الاهلية الاسبانية ٠ وعمل أيضا كمحرر صحفي في المانيا الهتلرية عندما كان يقوم بتجنيداته وحركاته السرية في شرطة هذه الدولة ٠

وفي المدة التى تقابلنا فيهـا لم يشرح (سوبل) لموسـكو سببا لعـدم الثقة بي ٠

والنتيجة التي أدت الى النهاية الغريبة لجاك سوبل كان سببها حبه العميق لابنه (لارى) وزوجته (ميرا) ٠ ويعبر هذا التعلق الشـديد في دولة غير شيوعية أنه أمر طبيعي ، اما في العالم السوفيتي فيعتبر أنه خرافة ٠ فاذا دعا رجل حبه لعائلته وأهله ليعطل واجباته نحو الدولة ، يرى الكرملين اذن أن هذا الرجل أصبح غير مفيد له ٠

تزوج (جاك من ميرا) منذ عشرين عاما من يوم أن قابلته أول مرة أما ابنهما (لارى) وسمى باسم (لافرنتى بيريا) فكان فى الرابعة و (سوبل) نفسه كان فى الاربعين من عمره · وزنه بين ١٧٠ و ١٨٠ رطلا وطوله أطول من ست أقدام وهو بخلاف (فاسيا) كان نحيفا · وكان شعره الاسودخفيفا، واذا ما طلب منى أن (أخمن) ما صناعته لقلت أنه ترزى وقد لبس أحسن ملابسه لفسحة يوم الاحد ·

عندما جلسنا الى طاولتنا فى المطعم كنا فى وضع نرى فيه كل من يدخل المطعم · وقد وضع أحد الناس عشرات من قطع النيكل فى صندوق الاسطوانات وقد اختار أعلا الاغانى صوتا وعلى ذلك لم يتمكن القلائل من الزبائن من التحدث الى بعضهم أو يستمعون الى أحد ·

ولو أن (سوبل) قد أخذ موضع القيادة بدلا عن (زوبيلين) الا أنالاخير (فاسيا) أفهمنى أن الرئيس الجديد لن يكون فى وظيفة رئيس الشرطة السرية MKVD والمسئول عن الجاسوسية فى أمريكا بل أن عمله سوف يوزع ما بين (جاك) وآخرين · وشرح ذلك بقوله (ستكون لسوبلمسئولية الاشراف على عملك وسيبعث بتقاريره الى عما تعمل فى أى مكان فى العالم أكون موجودا فيه) ثم ألقى على بتهديده (وبالطبع لن تكون هناك متاعب ما منك يا (بوريس) ، واذا حدثت أى متاعب فأؤكد لك أنى سأضع يدى عليك ـ بواسطته) ·

هذا هو كل ما أردت أن أعرفه ، فقد انفصلت الآن عن (زوبيلين) الذى قال أنه سيغادرنا الى موسكو حالا · وقد قال أوامر أخرى هى أنه يجب أن أنسى كلية (ليه ميلامنت) حيث لن تكون لى صلة ما بهذا الصندوق البريدى الآدمى ـ وهى وظيفتها كما أعلم وعلى ذلك لم أعد أسمع عنها أو أراها منذ ذاك الحين ·

فى أثناء كل هـذا الحديث لم يقل (سوبل) شيئا تقريبـا واكتفى بأن يبتسم ويوافق على كل ما يقوله (زوبيلين) · لم يسأل أى سؤال عنالشركة حتى بعد أن ذكر (زوبيلين) أنى سأكون مسئولا عن الجانب الموسيقى من الشركة وأن (ستيرن) سيكون مسئولا عن الجانب السياسى فيها · وقد قال أن (ستيرن) سوف يقابل (سوبل) فى مقابلة أخرى وشعرت بأن (سوبل) فى تلك الليلة كان سيقابل بعض العملاء والاتصالات الاخرى · وبقيت أنا

لمدة ربع ساعة وقبل أن أغادر المكان اعطاني (سـوبل) عنوانه فى منطقة مرتفعات واشـنطن فى مانياتان وقال أن رقم تليفـونه موجـود فى الدفتر وحذرنى من أن أطلبه تليفونيا الا فى حالات الضرورة القصوى .

وقال زوبيلين (أصبحت هنا ثقيلا ولذلك فانى سعيد لرجوعى الى أرض الوطن) ـ وعلمت أخيرا أنه يغادرنا بناء عن طلب الحكومة الامريكية . وأضاف زوبيلين (وحتى أن أرسلونى الى بلاد الشرق فسوف أعرف يا (بوريس) أنك قائم بتنفيذ الخطط الاصلية التى اتفقنا عليها من عنمه . وعندما أكون فى روسيا سـوف أكافىء عائلتك بامتيازات اذا ما أطعت تعليماتى ، والا فسأترك لك تصور ما قد يصيبهم !) .

تصور مقدار الذعر الذى أصاب والدى عندما كررت له هذا الحديث بعد رجوعى من الرحلة وأنه سوف يسمع أن السوفيت قتلوا اثنين من اشقائى ـ ومن أحسنهم ! ـ وقلت لوالدى (انى لم أذكر لك شيئا عن هذا من قبل لان لا حول لك ولا قوة فلن يمكنك أن تعمل شيئا ولكنى الآن لا اتمالك أن اخفيه عنك) .

كان رأى والدى صحيحا فليس فى مقدورى عمل شىء الا اذا كنت سأتحمل مسئولية اعدام باقى أفراد العائلة . الا أنه منـذ ذاك اليوم نمت فى ذهنى فكرة الانتقام ورأيت أنه لا بد من الخروج من هذا الموقف دون تضحيات فى الآخرين وكل ما آسف عليه الآن هو أنى افتقدت الايمان والشجاعة فلم يأتيانى بأسرع مما أتيانى الآن .

قلت من قبـل أنى ومعى (ستيرن) تقدمنا سـويا فى الاشهر الاولى من شركتنا . فبعد أن بنيت ستوديو اسطوانات فى هوليود رجعت الى نيويورك وتعشيت معه ومع (مارتا) فى شقتهما الفاخرة فى (سنترال بارك وست) واقترحت عليهمـا أن يرافقانى تلك الليلة الى نادى ليلى صغير حيث تغنى مغنية أردت أن أسمعها بنفسى .

حدث فى تلك الليلة أمر عجيب عندما كنا نغادر الشقة ، فقد نادى أحد موظفى العمـارة (ستيرن) وانتحى به جانبـا وهمس فى أذنه ، فى ذلك الوقت ركبت أنا و (مارتا) التاكس الذى دعاه البواب وعندما وصل (الفرد) كان شاحبا ومهزوزا وقال (يقول هذا الشخص أن هناك رجالا حاموا حول العمارة فى تلك الليلة وسألونى عن عدة أسئلة وقـد قالوا أنهم من رجال ادارة التحقيقات الجنائية بل وأروه بطاقاتهم) .

علقت مارتا على قوله (يا ألفرد ! ها قد سكر سام مرة أخرى ٠ انهم لا يدعونه يترك البار فيظل يسكر ويسكر) ٠

نظرت اليها بتعجب ثم لاحظت أنها تغمز الفرد بركبتها وعندما وصلنا أمام النادى الليلى ـ وكانت قرية جرينتش قد أقفلت فى ذاك الوقت ـ دفع الفرد أجر التاكسى ٠

وبعد أن ذهب التاكس قال الفرد (لقد نظر الى نظرة غريبة) ٠

وردت عليه مارتا (ان سواقى هذه التاكسيات لهم آذان كبيرة) ثم نظرت الى واستمرت تقول (بل ليسوا وحدهم لهم آذان كبيرة ٠ ومع ذلك دعونا نتمتع بالفرجة وآمل أن تكون المغنية جديرة بالاهتمام بها) ٠

ظهرت المغنية وكانت عادية وتتناول ٧٥ دولارا فى الاسبوع الا أن الفرد ظن أنها مغنية عظيمة وطلب منى أن اتعاقد معها ولكنى اومأت برأسى بالرفض وقد ضايقه هذا ـ اشك فى هذا ـ ولكنه بعد هذا اليوم بقليل أخذ يشرح لى كيف يمكنه أن يقوم بأمور الموسيقى فى هذه الشركة ٠

وفى ذاك الصيف عرف عنى فى عالم الموسيقى أنى أصبحت فى يسر وغنى كبير ٠ وجاءتنى طلبات كى اشترى (موزاك) وهى الشركة التى تحتكر تقديم موسيقى الدولاب لجميع مطاعم وفنادق الدولة ٠ زرنا عضو الشيوخ السابق (وليام أ٠ بنتون) من كونكتيكات الذى أصبح بعد ذلك أحد رؤساء شركة موزاك ولكن (ستين) وهو المسئول عن دفع المال قال أن ثمن الادوات وهو ٦٠٠ر٠٠٠ دولار هو ثمن خيالى وصمم على أن لا يزيد عن ٤٠٠ر٠٠٠ دولارا ٠ وها نحن نرى اليوم أن شركة (موزاك) تساوى ملا يين من الدولارات !

وفى غضون شهر أغسطس زار (ستين) هوليود وقد اكتشفت أمرا عجيبا هو أنه أصبح ملما بالموسيقى من نواحى كثيرة سواء من الناحية الفنية أو التجارية وذلك أكثر من (بول هوايتمان) ومنى و (سترافينسكى) مجتمعين ٠

فى نفس الوقت كنت قد تغلبت على كثير من الصعوبات التى أمامنا وانتجنا الاسطوانات واحرزنا نجاحا فى هذا الشتاء فى تعاقدنا مع جوقة

موسيقى (جوريشمان) فى أغنية (Nobody's Home on the Range)
وهى أغنية مناهضة لاغنية (Home on the Range)التى حازت شهرة
شعبية لانها كانت أغنية محببة للرئيس روزفلت ٠

ولكن (ستيرن) لم يوافق على أغلب الامور التى كنا نقوم بها ، وقد كره
موظفى مكتبى ومنهم مدير مبيعاتى وأراد رفته واقترح تحويل أعمــاله الى
مكتبه هــو ٠ وفوق كل شىء أراد تركيز العمليــة فى أغانى أكثر ثقافة ٠
فمثلا لم يوافق على عنوان (Chattanooga Choo Choo) وقال أنه لن
يكون مألوفا ٠ ثم سأل ملايين الاسئلة مثــل (لماذا لا توقع العقد مع (بنج
كروسبى) بدلا من أخيه بوب ؟ وهكذا أصبح من المضجر أن نتذكر مثــل
هذه السخافات التى كانت تدور فى رأسه ٠

هذا هو الشخص الذى كان على أن ألقنه السلم الموسيقى منذ أشهر وما
هى وقفاتها ، الرجل الذى كان يسأل السؤال المفيد ولكنه سخيف (ما الذى
يثبت أولا كلمات الاغنية أم موسيقاها) ؟

وطوال هذا الشتاء كان (ستيرن) يمطرنى بخطاباته اليومية وكل خطاب
من نحو ثمانى صحائف٠ وعندما علم أننا فى حاجة الى جهازكبس اسطوانات
أسرع واشترى أجهزة مستعملة بمبلغ ١٧٫٠٠٠ دولارا وكانت قديمة الطراز
لا يمكن استخدامها اليوم ٠

أخشى أن أكون قد فقدت صبرى مع وكيلى هذا ، ففى ذلك الوقت أخرجنا
ثلاث دفعات من مصنعنا الصغير وكان الانتاج نحو ٣٠٠٠ قطعة فى اليوم
ــ وهذا أمر ضرورى بالطبع ، وكان أهم الجميع أغنية (Nobody's ...
Range) ٠

بعد بدء الشركة بقليل بدأ كل من (ستيرن) و (سوبل) يضغطان على
كى أفتح فرعا فى مدينــة مكسيكو ، ولا يزالان حتى اليوم يلحان ولو أنى
عارضت هذا كثيرا بحجة أننا قبل أن نبدأ فى مثل هذا العمل يجب علينا أن
نكون قد وزعنا الكثير كى نملأ الكتالوج الذى سيقدم للناس ٠

ازددت حنقا كل يوم بخطابات (ستيرن) السخيفة المملوءة بالانتقادات،
وأصبح اليوم يعارض ليس فقط فى الاغانى بل فى الادارة أيضا ٠

وفي نهاية العام صممت رأيي على أن الحياة قصيرة فلا يصح أن أقضيها في مشاغبات مع هذا الرجل الممول واخبرت (سوبل) بهذا • ولكن حتى مارس ١٩٤٥ لم يكن (جاك) قد قرر أن يخطو خطوة في تهدئة الاحوال بيننا • حضر مع (ستين) الى كاليفورنيا لتسوية الخلافات بيننا فوصلا في نهاية الشهر وزارا المصنع •

" قلت لسوبل (انه جاهل بأمور الموسيقى بجميع ضروبها ومن المستحيل أن أستمر معه أكثر من هذا ، والحل الوحيد هو فض هذه الشركة المضحكة ".

فهمهم جاك سوبل قائلا (مزاج فني !) حضرا في اليوم التالي الى المصنع، وعندما بدأت اصخب اقترح (سوبل) أن نذهب جميعا الى منزلي في (بيفرلي هيلز) وأظنه خشي أن يستمع العمال الى هذه المشاحنة • بقي الضيوف في منزلي أسبوعا وحاول (سوبل) أن يكون حمامة سلام وأخذ يكرر أن (المبدأ) هو الامر الوحيد الذي يجب أن نعطيه اعتبارنا وليس غضبي البسيط أو غضب (الفرد) ويجب اذن أن تستمر الحالة كما كانت •

لم أكن في يوم ما رجلا أحمق عصبيا ولكني في هذا الاسبوع الصاخب نعت (ستين) بأسوأ شتائم عرفتها في كل اللغات المعروفة في العالم • أما ستين (وهو متخرج من جامعة هارفارد) فقد جلس وقابل كل هذا بنظرة الطفل المتألم •

وعندما انتهى الاسبوع دون حل المشكلة قال (سوبل) أنه يجب أن يرجع الى نيويورك ولكنه كان متأكدا من أنه سوف يجد حلا لتسوية خلافاتنا فطلب مني أن أصحبه في رحلتهما شرقا حتى نجد الفرصة في التحدث سويا أثناء السفر • أخذت غرفة متصلة بالصالون الذي اقتسماه •

وفي الطريق قدم (سوبل) اقتراحه الذي ظن أنه يخمد نار الغضب وأنه الحل الصحيح فقال أني اذا وافقت على استمراري في الشركة مع (ستين) فسيقدم الاخير ١٠٠ر٠٠٠ دولارا أخرى الى الشركة •

رفضت هذا قائلا (لا أريد منه مالا أكثر من هذا ؛ اني لا أريد منه مالا آخر بل سأكون سعيدا جدا لو أني اشتريت نصيب الخمسة والعشرين في المائة في العملية بنفس المبلغ الذي دفعه فيه •

ولكن سوبل قال (ولكن هذا سيغضب (فاسيا زوبيلين) جدا وأخشى أن يكون فى هذا خطر كبير على عائلتك فى روسيا ـ ما لم تتفقا) ٠

فذكرته (بأنك قلت أنك ستحقق الامر كله ولكنك لم تكن محايدا فان ما أريده هو أمر بسيط ٠ أن أترك وحدى لعمليتى لا يتدخل معى جاهل ٠

وعندما وصلنا نيويورك عقدنا آخـر اجتماع فى مطعم (تافيرن اون ذى جرين) وعند انتهائه كنا على أشد اختلاف مما كنا ٠

وبعـد ليلتين زارتنى (مارتا ضوض ستيرن) فى حجرة فندقى وكانت فى أحلى وأجمل ما تكون وقد عاتبت نفسها لاهمالهـا أخذ نصيب لهـا فى العملية من أول الامر وقالت (اذا كنت اشتركت معكم فى العمل يا بوريس لما حدث مثل هذا السوء تفاهم بينكما وأنتما شيوعيان مخلصان) ثم أخذت تكرر الجملة التى قالها (سوبل) أن الانتصار للحزب هو فوق كل اعتبار٠

قلت لها (آسف يا مارتا ـ عزيزتى ـ أنك رقيقة وجميلة ومفكرة وكلك أنوثة ولكن هناك أمور سخيفة كثيرة قد حدثت وأقوال سخيفة أيضا قيلت)٠

بدأ محامى فى تجهيز أوراق فض الشركة فى ابريل ٠ ودفعت لستيرن ١٠٠ر٠٠٠ دولارا من أجل ربع الفائدة وهى نصيبه فى شركة بوريس موروس ومصنعها الخاص بالاسطوانات ٠

قدم حسابا عن الـ ٣٠ر٠٠٠ دولارا التى صرفها وقد عجبت اذ وجدت أن (زوبيلين) أخذ ٥٠٠٠ دولارا نقدا من حساب الشركة كذلك أخذ على حساب الشركة بعض الادوات منها مشترى صندوق تشـغيل اسطوانات ودستتين من كرات التنس ، كل هذا لزوبيلين وكذلك أجر سفره الى هوليود ومعه سوبل ٠

ولكنى على كل حال فرحت فقد تخلصت منه وكنت أظن بهذا أنى سأتخلص أيضا من حلقة الجاسوسية التى يديرها (سوبل) ولكنى كنت متفائلا أكثر من اللازم ٠

كنت مستعدا لدفع أى أجر عال فى نيل امتياز الفرادى بالعمل ٠ ولكى يمكننى أن أدفع الـ ١٠٠ر٠٠٠ دولارا لستيرن أجبرت على بيع نصيبى فى أحد الافلام ٠ الا أنهم كانوا لا يزالون يريدون منى أن أشارك (ألفرد ك ٠ ستيرن) فى صفقة أخرى ٠

كرر (سوبل) زيارته لى وقال (ماذا أعمل يا بوريس ؟ فقد وضعتنى فى مركز حرج وسأضطر الى أن أكتب تقريرا عنك الى موسكو · انى اؤخر هذا التقرير وانى اخشى أن (زوبيلين) سوف لا يتمكن من التحكم على نفسه عندما يسمع أنك انفصلت عن (الفرد) · انى أكره أن أكون مسئولا عن اعدام أهلك فى روسيا · ألا ترى ذلك ؟) ·

وعندما أرجع بذاكرتى الآن عن العامين التاليين لذاك اليوم وقد كنت أجتمع من وقت لآخر (بجاك سوبل) واستمع منه أنه سوف يرتد عن الشيوعية حقا أرى ذلك لم يبد لى صدقا ·

والتفسير الوحيد لهذا هو أنى كنت مستجدا على الاعمال السرية التى يقوم بها عميل جاسوس، وبما أنى لم تتح لى فرصة دراسة أخلاق الآخرين عن كثب فقد ظننت أنهم جميعا كانوا مثل (جاك) · ومن ناحية أخرى اظننى قد أدركت الحقيقة بأنه انما أراد أن يتخلص من أن يكون جاسوسا ومجندا لعملاء من أجل روسيا ، وأنه كان مدفوعا من ناحيتين فقد آمن بكل قلبه (بالشيوعية المثالية) وفى نفس الوقت أراد أن يأخذ زوجته وابنه بعيدا عن الخطر الحالى الدائم بسبب عمله كعميل سرى فى دولة أجنبية · فكلا الحلمين دارا فى رأسه وجذباه فى اتجاهين مضادين ·

بعد ذلك بعدة أشهرقابلته وقد بدأ (جاك) يشكو استبداد الشرطة السرية الروسية وأوامرها التى فرضتها عليه بأن يدير محل بقالة وقد أشار أحيانا اليها أنها (قهوة) فى ضواحى نيويورك · وعلمت بعد ذلك بسنوات من مصدر آخر أن عمله كان فعلا ادارة مقهى فى مقاطعات الغرب ـ مانهاتان ·

كان جاك فخورا بأن (لافرنتى باريا) الرئيس الاعلى للشرطة السرية الروسية قد دعاه بذاته من المانيا الى الكرملين فى ١٩٤٠ ليقول له أنه نقل الى الولايات المتحدة · لام جاك ـ (زوبيلين) للامر الصارم الذى أصدره له ليدير محل بقالة ولكن فى الحال اشترى المحل بأموال روسية ·

كان يعتبر هذا العمل ظلما وشكا لى عشرات المرات قائلا (على أن اصحو لافتح المحل فى الخامسة صباحا وابقى فيه الى وقت متأخر من الليل · ولكن عندما أقفل المحل ستصرف لى مواعيد ساعات العمل المطلوبة ، وأحيانا كانت تصدر لى فتضطرنى لقفل المحل فى منتصف النهار · ما هذا الشغل؟ وما هذه الحياة لرجل مثلى ؟)

ويظهر أن زوبيلين قـد رأى بأنه بينمـا جاك منتظرا صـدور أوراقه كمواطن أمريكى سيكون حتمـا فى كل يوم مختلطا مع زبائنـه الامريكيين العاديين وبذلك يمكنه أن يستمع الى آرائهم ونظرياتهم السـياسية • واذا ما تفاهم معهم وأدرك آراءهم وما يرومون من الحياة ثم عرف مقدار روحهم المعنوية والاكثرية من أحوالهم الفعلية فسيكون قادرا وموفقا فى تحويلهم الى الشيوعية •

ولكن (جاك) بالطبع لم ير هذا الرأى ثم تضجر من نزوله الى هذا الدرك وقد كان يوما صحفيا لعدة سنوات فى المانيا وتحت يده مبلغ ٣ر٥٠٠ر٠٠٠ دولارا يوزعها على الموالين الاسبان والعاطفين على الشيوعية فى دول البلقان وقد كان يقول أحيانا بحسرة (لم يطلب منى أحد يوما تقديم الحساب ولكن الآن •• يطلبـون منى أن أكون بقـالا ويحاسبونى على أتفـه المبـالغ التى يرسلونها الى، مثلى كمثل بائعى الكتب القدامى الذين يشكون فى اخلاصهم) •

تذكرت حرص (زوبيلين) الزائد عندما يدخل غرفة الفندق فهو حرص مبالغ فيه جدا ومع ذلك فهو لا يقارن بالاضطراب الذى يصيب (سوبل) فى كل مرة ليؤمن نفسه • فهو لم يتحدث الى فى الفندق قبل أن يتم تفتيشه الدقيق الملح ، وكان يجرى نفس العملية فى كل مرة فهو يخلع كل فيشة كهرباء فى الحجرة ويضع أصبعه فى الفيشة بل ويرفع كل كرسى وكل قطعة من قطع الاثاث ويفتش الدفاية من الامام والخلف ثم من أسفلها ويحرك كل قطعة اذا أمكن تحريكها ثم يطفى النور ويوقده خمس مرات متتالية •

واذا لم توقد احـدى اللمبات ينزعج ويضطرب فيرفع الاباجورة ويخلع اللمبة بل ويبعدها كلية حتى الكبس نفسه • ويتتبع كل سلك فى الحجرة ليرى من أين أتى ثم ينظر الى بدايته ويهز الستائر ويمضى فى تفتيشه هذا وقتا طويلا جدا •

كنت أسأله فى أول الامر (ما الذى تفعله يا جاك ؟) فيشير اليه باصبعه على شفتيه ان اسكت •

أما فى الحمام فهو يشد السيفون ويعبث فى كل شىء وقد يركع على ركبته ليرى الاماكن التى تبدأ منها مواسير المياه فى الحمام ثم يدق الحائط وقد فتش كل المـلابس ونظر فى أسـفل السرير ، ثم يدخـل المطبخ ويفتش فى كل الاوانى • ويقلب الصور المعلقة على الحائط ليرى ما بخلفها وخلف المرايا •

وكان يهتم بالتليفون اهتماما خاصا فيفك السماعة والبوق ويصغي الى الازيز ويمر باصابعه على حبل التليفون ٠

وبعد كل هذا يحذرني بأن اخفض من صوتي عندما نبدأ الحديث بعد ذلك يتحدث في جمل مدغمة من عدة لغات ، كلمة فرنسية ثم أخرى انجليزية ثم أخرى في لغة شرقية ، واذا كان هناك راديو في الحجرة فهو يطفئه زيادة في الحرص ٠

كنت في لهفة الى قطع علاقتي به ولكني لم أجرؤ على هذا خوف تهديدات (زوبيلين) فكنت آمل أن يملا من كثرة الالحاح على في خلق مشروع يخفي عملاءهم فيتركاني ولهذا السبب رأيت أن أصوب اجراء اتخذه حتى يحدث هذا الملل هو أن أقابل (جاك) كلما زرت نيويورك ٠

ظللت آمل أن أكون أسعد حظا اذا تمثلت نفسي كشاب حكيم (في قصة معروفة) وقد قدم رجال حكماء آخرين في المملكة الى قصر الحاكم ٠

وقد صمم هذا الشاه العجوز أنه اذا ادعى الرجال الحكماء أنهم أذكياء كما ادعوا فعليهم أن يعلموا حماره في الاسطبل الكلام والحديث !

وقد قال أكبرهم مقاما (بل هذا مستحيل يا صاحب الجلالة) الا أن الشاه ثار وهدد بقطع رءوسهم ان لم يعدوا بأن يعلموا حماره العزيز كيف يتكلم ٠ فنظر كل من الحكماء الى وجوه الآخرين في فزع ٠ وعندما شرع الشاه في تنفيذ وعيده ونادى الجلاد ، تكلم أصغر الحكماء سنا وقال (يا صاحب الجلالة٠ يمكنني أن انفذ رغبتك وسأمكن الحمار من أن يتكلم) ٠

فقال الشاه (ايمكنك هذا ؟ فلنحضر الحيوان اذن ٠٠٠)

ــ (ليس اليوم يا صاحب الجلالة ٠ وكما قال اخواني ، ان الامر ليس في غاية من السطولة ٠ فسيأخذ منا وقتا ــ سأجعله يتكلم بعد عامين ٠

استهجن الشاه كلامه ولكنه قال (ولكن تذكر ٠ اذا لم يتكلم الحمار بعد عامين سأقطع رءوسكم جميعا) ٠

وبعد أن انحنوا أمام صاحب الجلالة خرجوا وقد وجه أحد الحكماء القدامى حديثه الى الفيلسوف الصغير (ما هذا التخريف ٠ لن يمكنك أن تعلم الحمار الكلام في عامين ــ ولا في مايتي عام) ٠

فرد الشاب (بالطبع لن يمكن ولكن سوف تحدث أمور عجيبة فى بحر العامين فتنقذ رءوسنا جميعا) ٠

ـ مثل ماذا ؟

ـ ان الحمار كبير السن والشاه أيضا ليس صغيرا ٠ فمن يدرى ؟ فاذا لم يمت الشاه فى بحر العامين فقد يموت الحمار !

هذه هى الوسيلة التى استخدمها مع هؤلاء الروس ٠ وكلما مضى الوقت بدا لى (سوبل) أنه أصبح ودودا لى أكثر من الاول ٠

كانت زوجته مجنونة بالسينما ، وقد شعرت أنهما أخذا يفكران فى كاحد أعلام هوليوود ٠

وهكذا جرت الامور على هذا المنوال فى طول العام ٠ وفى ديسمبر زارنى جاك واسر الى بأمر جعلنى آمل بأنه سيبعد عنى حالاوالى الابد ٠ فقد كان على وشك الحصول على أوراق تسجيل بأنه مواطن وكان قد طلبها بعد وصوله فى هذه الدولة عام ١٩٤٠ وقال أن هــذه الاوراق ستسمح له باستخراج جواز سفر أمريكى ، ليستخدمه فى سفرية قريبة الى باريس ٠

ولم اكتشف أهمية هذا الجواز الامريكى له فى أعماله السرية الا أخيرا ٠

وفى يونيه ١٩٤٧ عندما تسلم أوراقه سافر الى أوروبا على سفينة روسية وكان فى هذا قصير النظر ، فهذا أمر يثير اهتمام المخبرين الامريكيين اذاكان (سوبل) مراقبا منهم ٠

فالغريب أن هذا الرجل الذى تعود أن يفتش حجرة الفندق بدقة وكان شديد الحرص ، ارتكب اليوم هذا الامر الذى يدل على رعونة وقد قال أنه مسافر فى صحبة شخصية هامة ولكنه لم يفسر كنه هذه الشخصية ٠

وقال (جاك) فى آخر مقابلة لنا قبل سفره (فى موسكو سأرى الرؤساء ـ الرؤساء الكبار ولكن سأحول الحديث بسرعة عندما يسألوننى عنك فهم يرون أنى فشلت معك تماما وآمل أن تقدر هذا٠وكما قلت لك فانى صديقك وسأبذل كل جهــدى من أجلك ، ومع ذلك فانى فى غاية الحــاجة الى عملك كستار لى وقد يساعدنى هذا فى نيل عفوهم عنى) ٠

وبالطبع هدم هذا التصريح منه كل أمل فى أن رجال الجاسوسية الروسية سوف يملونى أو ينبذون فكرة استخدامى . وكما أدركت أخيرا ، انهم لا يتعبون أبدا . أن معهم وقت العالم كله وهم يعرفون هذا ويمكنهم أن ينتظروا أعواما وسوف ينتظرون فعلا ـ ما دام ذلك كان ضروريا حتى يمكنهم أن يصيدوك فى الشبكة فى النهاية .

بعد هذا الحديث مع (جاك) ضغطت على نفسى كى أواجه الحقيقة وهى أنه (مفيش فايدة) وأنه لا بد من وجود أحدهم أمام عينى دائما فكنت شبه مريض بالخوف . وكنت أقاسى من حوادث مزعجة كثيرة كل منها هامة وثبت لى أن الروس لم يكونوا هم وحدهم الذين يوالون مراقبتى .

فقد قمت مرة بزيارة الى شيكاجو حيث اشتريت جهاز راديو ذى موجة قصيرة الى ابنى وكان مجهزا ليستقبل ويرسل الرسائل من والى الخارج ، ولكنه اختفى فى ظروف غامضة . وحدث هذا أثناء عزومة لرجال الصحافة كنت اقمتها لهم فى فندق بسمرك لتقديم (ملك الفالز) . وكانت الحفلة لخمسين مدعوا بما فى ذلك هيئة المحتفى بهم . والعجيب أنى عرفت أخيرا أن الذى اختطف الراديو وخرج به كان رجلا غير معروف وغير مدعو مع الآخرين . وقد ثارت شكوكى وعصبيتى ضد عملاء الجاسوسية الروسية الذين أخذوا يختبروننى بالحاح مرارا وكثيرا ولفترات قصيرة بين المرة والاخرى وتذكرت الآن أيضا انى فى المرة الثانية لتناولى غذائى مع (فاسيلى زوبيلين) فى برينو لاحظت شابا يقظا فى الطاولة المجاورة وظاهر جدا أنه كان يستمع الى المناقشة بيننا باللغة الروسية وعندما لاحظ أنى انظر اليه غمز الى وتعمد أن يعرفنى بأنه فى هذا المكان لينصت الينا . فعندما فكرت فى هذا مع أمور أخرى بدا عندى شعور بالخوف .

وأخيرا ذهبت الى النوادى الليلية والمطاعم والتياترات وهكذا كنت كلما ذهبت اليها وتركت مكتبى فى كل يوم كنت أشعر بأنى مراقب فى كل ناحية .

وزيادة عن هذا شكا بعض أفراد عائلتى الى من أن اناسا غرباء كانوا يراقبونهم . وفى صباح أحد الايام عندما ترك ابنى (ديك Dick) المنزل لاحظ عربة تقف فى عرض الشارع وكان فيها شابان من المؤكد أنهما يراقبان الباب العمومى لمنزلنا . وهذان الشابان لم يسبق لابنى أن رآهما من قبل .

ركب (ديك) عربة وسار بها وبعد مسافة قصيرة اكتشف أن العربة تتبعه • رجع فرجعت العربة خلفه ، ثم حاول مرة أخرى فتبعته أيضا وعندما أسرع بعربته أسرعت الاخرى خلفه وعندما ابطأ ابطأت • عند ذلك زعج ابنى فوقف أمام صيدلية وحدثنى تليفونيا فقلت له (لا تعبأ بهذا ، وانسى كل شيء) فانى لم أرد أن يزعج ابنى وهوفارس حرب وكفى أن يكون فى عائلتنا رجل محارب واحد •

كان من الصواب بعد هذا الحادث أن أذهب الى (ادارة المباحث الجنائية F. B. I.) فحتى هذا اليوم كما ترى كنت أعيش فى المؤامرة كحيوان فى مصيدته • واسوأ ما فى هذا أنى كنت احتبس فى صدرى باسرارى التى تحطمنى لى وحدى وحتى عن زوجتى (كاترينا) • فقد تزوجنا منذ ١٩٢٤ قبل اليوم بثلاثة وعشرين عاما ، فلو أني اعترفت لها فلن تفهم تماما كل ما أقول ، واني للآن غير متأكد من أنها أدركت كل ما حدث لى أو لماذا حدث كل هذا ، فان كاترين موروس لها ذكريات مؤلمة • اليوم ودائما منذ أن رأت بعض اشقائها وقد أعدمهم ثوار الشيوعيين رميا بالرصاص ، وقد أخذ الحمير يجرون أشقاء كاترين الواحد بعد الآخر وأمروهم بالوقوف الى حائط منزل أبيهم فى روستوف ثم اعدموهم •

ذكرت لى هذه القصة آلاف المرات وذكرتها لكل روسى قابلته وكانت تنتهى فى كل مرة ببعض الفاظ السب (البلشفيك الخنازير ، انهم حتى لم يعصبوا أعين اخوتى قبل رميهم بالرصاص كأنهم كلاب) •

* * *

أخذت أسبوعا متتاليا أقص قصتى على رجال أ م ج وقد رتبت ذاكرتى لاستجمع كل التفاصيل • وعندما تكلمت كان كل من الرجلين يكتب مذكراته مستقلا عن الآخر •

وكانا يقاطعانى أحيانا كى يسألانى سؤالا أو اثنين ، ولكنى اتذكر أنى قاطعت نفسى كثيرا لاسأل نفسى الشيء (انكما تتبعانى جيدا أليس كذلك ؟)

لم يغضبا أبدا ولكنهما كانا يردان نفس الرد (سنسألك أسئلتنا يا بوريس اذا لم يكن عندك مانع) •

وهما لم ينكرا انهما تتبعا كل ما أقول ولكنهما لم يسلموا بتصديقه كله وعندما قلت كل شيء سألانى سؤالا فسرته على أنه عفو عنى وشاهد على ثقتهم فى · وكان السؤال :

ـ هل تحب أن تتعاون معنا ؟

ـ متى أبدأ ؟

ـ الآن · اليوم · يمكننا أن نعطيك تعليماتنا الآن ـ الا اذا أردت أن تشاور نفسك يوما أو يومين ·

ـ لا أحب أن أفكر فى شيء ما ·

ـ اذا كنت تظن أن حياتك كانت صعبة ومعقدة قبل اليوم فلن تصبح معقدة بعد اليوم ما دمت ستعمل معنا ذلك لانك ستتظاهر بأنك تلعب الكرة معهم دائما وستتذكر آلاف التفصيلات التى لن تكتبها بل ويمكنك أن تنقلها الينا شفاها ·

اومأت اليهم بالقبول ·

وقال أصغرهما سنا (ومن المناسب أن أقول لك أن هذه العملية خطيرة بل وخطيرة جدا) ·

لست رجلا شجاعا وأنا أعلم هذا دائما ولكنى شعرت الآن بأنى شجاع وسألتهما (ما هى تعليماتكم ؟)

وكان أول أمر اثارنى كان ضرورة عدم اعترافى بهذا لاى أحد ولا حتى أفراد عائلتى بأنى أصبحت من رجال مقاومة الجاسوسية مع الامريكيين ·

وكان أول أمر أقوم به هو أن ابدو كأنى أوافق وتدريجيا وبدون تردد (لسوبل) على مشروعه الذى سيستتر خلفه والذى قال لى من قبل أنه فى حاجة اليه من أجل عملاء حلقة الجاسوسية وأخبرانى (اذا أوقفت اعتراضك فجأة فسيثير الشك فيك لتغيير رأيك بسرعة) ·

افادانى أيضا أن احتفظ بسجل لكل مناقشة أو حديث تليفونى أو أى رسالة أخرى استلمها من العملاء السريين الشيوعيين ·

سألتهما :

ـ ما رأيكما فى تعيين أحد رجالكم كى يعمل معى ؟

انى سأعينــه فى شركة أفلامى (الافلام الاتحادية) كسكرتير خاص بى وستكون كل الامور تحت بصره · وافقا وعينا أحد صغار عمــلائهم ، وقد أخبرت مستخدمى شركتى أن هذا الرجل واسمه (بوب بورتون B.Burton هو من أبناء عم Bob O. Donnell أحد كبار أصحاب دور عرض السينما فى تكساس وقد أرسله لى كى أعلمه ·

تعلم جيدا وكان مفيدا فى مكاتب الاستوديو حتى أن شركائى امتدحوا حسن اختيارى لهذا السكرتير · كان يأخذ ٥٠ دولارا فى الاسبوع منىوكان أيضا يأخذ من أ م ج مرتبه من أجل اصغائه الى كل مكالمة تليفونية منى أو الى وسافر معى لكل جهة لحمايته حياتى التى رأت أ م ج أنها أصبحت فجأة هامة لهم بالنسبة للمركز الذى أخذته لنفسى فجــأة بعــد تحولى عن خدمة الروس ·

كتبت فى مذكراتى عن يوم ذهابى الى أ م ج (·· لم أخف شيئا عنهم · انى احترمهم جدا واذا احترمونى نصف احترامى لكان ذلك كافيا · فماذا أبغى أكثر من هذا ؟ انه كان يوما غسلت فيه وعيى وضميرى وكان لا بد لى من ذلك) ·

الباب السادس

كيف بدأت اصيد صائدى

عندما كنت مع (جاك) فى أوروبا كانت أسهل طريقة لحفظ الاتصال معه هى بواسطة زوجته . فطلبتها تليفونيا من لوس انجليس قبل كل رحلةقمت بها الى نيويورك فى الاشهر التالية وذلك قبل السفر ببضعة أيام قليلة ، ودعوتها للعشاء معى فى فندقى نحو ثلاث مرات كما دعوت ابنها بعد ظهر أحد الايام الى صالة الموسيقى .

اعترفت لى أنها كانت خائفة من أنى فى ضيق ، وكان (جاك) يحاول أن يهيىء كل أمر لى الا أنها لم تكن متفائلة كثيرا لنجاحه فى هذا .

اخبرتنى أن (ستيرن) وزوجته قد دعواها وابنها لزيارتهما فى الريف ولكنها رفضت لان بعض مشايعى وست بروك بجلر Westbrook Peglar كانوا ينقدون ميولهما السياسية . وقد ظنت أن آمن شىء هو الابتعاد عنهما بقدر الامكان حتى يتضح ما اذا كان بجلر ومشايعوه قد نبهوا السلطات الامريكية اليهما من عدمه .

كنت فى هذه الليالى مع (ميرا) وقد لاح لى أمر سيساعدنى فى عملى الجديد كمقاوم للجاسوسية ، فقد لاحظت كيف أن (جاك سوبل) قد انفعل عندما وجدنى أعيش فى فنادق مترفه ولانى كنت دائما ادفع حساب العشاء، وأدركت من حديث (ميرا) أنى أصبحت فى نظره محل اعجابه لانى رجل أعمال ناجح وقد شاركته هذا الاعجاب وخاصة لانى كنت فى وظيفة مرموقة فأعجبتها أكثر من أى شىء آخر فى العالم .

وفى الواقع أن (ميرا) لم تقرأ شيئا عدا أخبار هوليود ومجلات السينما وكانت كل من (لويلا بارسونز وهيدا هوبار الهة فى المعلومات بالنسبة الى (ميرا) . هذا كل ما كنا نتحدث به عندما اجتمعنا .

قد وضع مكتب المباحث الجنايئة مرة جهاز راديو حـول وسطى فكانوا بواسطته يستمعون الى كل كلمة تتفوه بها ميرا سوبل عندما تتقابل فى احدى الليالى ولم اسأل رجال الاتصال التابعين لهذا المكتب عن سبب عدم عمل هذه التجربة فى مرة أخرى مع ميرا وظنى أنهم استمعوا الى الكفاية فى تلك الليلة عن ما تحدثت عنه كل من (هيدا ولولى بارسونز وشيلا جراهام وخلافهم) فى اجتماعاتهم عن العروض السينمائية العجيبة والعظيمة التى شاهدتها (ميرا) أخيرا ٠

كانت (ميرا) وهى لثوانية كزوجها تبدو دموية الوجه حادة الطبع وانى موقن أنها اذا اقتنعت بأنه من الضرورى أن تخون زوجها فى سبيل المبدأ الذى تدين به لماترددت فى ارتكاب هذه الخطيئة وستعتبر هذا تضحيةمنها٠ كانت تحب (جاك) من كل قلبها رغما عن أن تعليمات الكرملين بأن الحب بين الاثنين يجب ألا يكون داعيا لمناقضة مبادىء الحزب ٠ وكانت أيضا تعين العائلة على مصاريفها وذلك بقيامها بالعمل فى بعض المكاتب أحيانا أو بالخياطة فى أحيان أخرى ٠

انها عملية عجيبة ـ ان أجلس مع هذه السيدة لاصغى الى وصفها الفنى الى نظرات (جريجورى بيك) عنـدما يحتضن (انجـريد بريجمان) والى تأملاتها فى هـل سيصبح (كلارك جيبل) سـعيدا مرة أخرى بعد أن فقد (كارول لمبارد) فى حادث الطائرة المشئوم ٠

وكانت تذهب الى السينما فى كل ليلة ولم تنقطع اسئلتها المختلفة كلية٠

ومن أسئلتها (ماذا تظن صنف الزوجة التى يقنع بها كلارك ؟ وهل هناك امرأة تأمل أن تفوز بهذا الرجـل العظيم دون جميع النساء المفتتنات به فى العالم ؟ وهل فازت به المرحومة (كارول لمبارد) بالنسبة لجمالها وشهرتها العالمية وملاءمتها له ؟ وهل كانت (جانيت جينور) تعسة عندما تقاعدت ؟ وهل كذلك كانت (نورما شيراز) ؟ وهل ستترك كل منهما هـذا السحر وصبابه ملايين الرجال والفتنة وكتابة الاسماء بالاضواء من طرفى الارض من تاكوما الى تمبكتو ؟) ٠

لم تكن (ميرا) متأثرة بسحر السينما فقط بل أن اهتمامها ومشـاكلها اليومية كانت هى نفس المشاكل التى شغلت زوجات الطبقة الوسطى من الناس الذين كانت تعيش بينهم ٠ واقصد أن أقول أن هناك بعض الافكار قد دارت فى رأسها مثل (هل ستتمكن من أن ترسل ابنها الى معسكرات الصيف فى هذا العام ؟) ٠

ومتى يكون لنا شقة لها فسحة من الحجر وأهم من هذه وأروح منها ؟ وهل من الصواب أن يستمر الطفل ـ وقد كبر الآن ـ في نومه معنا في غرفتنا ؟ كيف سنعرف أنه صحا بعد أن نام هذا الخبيث ؟ وكيف نعرف أنه يستمع الينا أو يرقبنا دون أن نشعر ؟)

عندما أقول أن (جاك سوبل) أذكى من (ميرا) فلن أنسى أنها قبل أن تشك في انضمامي الى حركةمقاومة الجاسوسية بزمن طويل قد أنذرته بي . فقد كانت تتمتع بنعمة الحس بالعدو وهي حاسة خاصة بالنساء وبسرعة وعادة تكون حاسة صحيحة ودقيقة .

وسواء كانت أقل ذكاء ام أكثر فقد كانت أقوم خلقا رغما عما كتبت قبل هذه الاسطر ، فقد كانت أشد اخلاصا للمبدأ .

وكانت أيضا أعمق ولاء للشيوعية . وأشعر الآن أن كل هـذا لم يكن واضحا لى في مبدأ الامر ولكنى أعلم أنى بدأت أشعر أولا بفروق الولاء في (جاك) والى درجة أقل في (ميرا) وانى استفدت أخيرا من هذا التفـاني وذلك في كشف أسرارهما .

ومن وقت لآخر كنت أحصل على بعض المعلومات من (ميرا) بأن (جاك) راجع الى الوطن فقد كان في موسكو ثم وارسو وأنه أرسل لها تلغرافا أنه في حاجة الى آلة كاتبة لترسل اليه . كنت على علاقة غير طيبة مع موسكو ولكن (جاك) ظن أن في امكانه انقاذى ولكن هذا لم يكن حقيقيا فلم يبد منه ما يستاهل أن اعترف به .

عندما رجع (جاك) من أوروبا في نوفمبر ١٩٤٧ وجدته فخورا بنجاحه في رحلته هذه وقال أنه أنقذ حياتي ولكنه قبل أن يبدى التفصيلات عن كل هذا تحدث طويلا عن عمله الخاص ـ مصنع شعر الفرش الذى كان يديره في (فيربرى اواز) وهي قرية تبعد ساعتين بالسيارة من باريس . وكان هذا المصنع لوالده منذ سنوات مضت وأصبح له نصيب كما لاخيه وزوج أخته فترة ما ، ولـكنه يقول أنه اشـترى نصيبهما . ومن مشروعاته الاخـرى التى يواليها كانت مشروعا جديدا جدا وهو تبييض الشـعر الذى ينتجه ، ويعتقد أن هذا المشروع سيدر عليه ثروة كبيرة ولذلك باع القهوة (كفتريا) ليتفرغ له .

وزيادة عن ذلك مارس عمليات فى السوق السوداء فى باريس درت عليه ثروة وافرة · والامر الوحيد الذى كرهه فى هذه العملية هو اضطراره للافتراق عن (ميرا) وابنهما لعدة أشهر في كل مرة · وسيضطره هذا العمل الى نقل رسالات من شعر الخنزير وهو أغلى نوع واصعب صنف يمكن الحصول عليه ، الى تجار السوق السوداء فى باريس ثم ارسال الثمن الى (ميرا) فى نيويورك (وكل هذا بالدولار الامريكى) · وكان لهما اصطلاح كودى سرى فى التلغرافات ، وقد قال : (فمثلا لو أن (ميرا) أرادت أن تفيدنى بأنها شحنت بما قيمته خمسة آلاف دولار فسيكون تلغرافها ـ اشتريت من هنا خمسة فساتين) ·

قلت له ان هذا اجتهاد بارع ، لكنى كنت شواقا الى أن اسمع بطبيعةالحال كم كان حريصا على انقاذ حياتى ·

فقال : (زوبيلين كان يتمنى أن يضربك بالرصاص · انه كان مغتاظاجدا منك وقد تعبت كثيرا حتى هدأته من جانبك فقد كان على أن ابرئك والقى كل التهم على ستيرن) ثم أنذرنى (سوبل) ونصحنى بأن ابتعد عن آل ستيرن الى الابد ، وقد كان غاضبا منهما بقدر ما كان (زوبيلين) غاضبا منى ، فقد كانا أصل كل بلاء هذا الى أنهما طالما اعترضاه · تضايقت جدا (مارتا ستيرن) من مقاطعتى لزوجها حتى أنها أرسلت تقريرا الى موسكو تشكونى وتشى بى ، ولم يدر سوبل بهذا الامر حتى سافر الى (الوطن) كما كانوا يسمون الكرملين ، فهى لم تره هذا التقرير قبل ارساله وقد اتصلت بالسفارة رغم صدور الاوامر من السلطات العليا بأن تمر جميع الامور عليه (جاك سوبل) ·

ويقول أنه رغما عنها فانه هو (وفاسيا) قد حصلا على ترقية ، فأصبح الآن فاسيا رئيس القسم الاجنبى من NKVD (اينوستراني Inostranni) ومعنى هذا أنه مشرف على جميع أعمال الجاسوسية فى كل أوروبا وأمريكا·

لم يبخس (سوبل) قيمة مجهوده وأهمية الذى قام به لصالحى فقد أكد أن (زوبيلين) ضغط عليه ليكتب تقريرا مستقلا على جميع الاعمال ، وفى هذه التقارير برأنى من كل أمر سوء · كذلك أرغمه زوبيلين (الآن الجنرال زوبيلين) على أن يأمر عملاءه الموجودين فى الولايات المتحدة كى يحسنوا مظهرهم فقد كان يلبس الكثيرون منهم الجاكتة الطويلة والبنطلون القصير فكان يبدو عليهم أنهم أجانب دون شك كما أن بعضهم لا يجيد التحدث باللغة الانجليزية ·

وكان أول رجل أرسل الى الولايات المتحدة ليقوم بعمله ، وقد ذكره الى جاك قد أثبت عدم كفايته ، وكان اسمه (ستودنكو Studenko) واستدعى مباشرة بسبب تفاهة أحواله وعندما وصل (ستودنكو) الى الولايات المتحدة تشاحن مع (الفرد ك ستيرن) واساء اليه وطالبه بتفاصيل كاملة عن حالته المالية . فاشتكى "ل ستيرن الى موسكو ، وربما كان ذلك عن طريق اتصالات (مارتا) فى واشنطون .

ابدت (مارتا) نشاطا فى تجنيد متطوعين جدد من أجل المذهب وكانت موفقة على الاخص فى تقديم نساء من اللاتى فى مراكز حساسة الى الخدمة السرية للشيوعية . أما عمل (الفرد) فكان فى الناحية المالية . وكانت أمواله دائما تحت أمر حلقة الجاسوسية ، الا أن موسكو كانت ترد اليه بسرعة كل ما قدم من أمواله .

وافادنى جاك أن أهم شيء عنى فى تقرير موسكو هو الحكم النهائى لصالحى تستخدم شحن طرود البنسلين الى موسكو ستارا لعملياته الجاسوسية هو و(مارتا) الا أن العملية انهارت لان الاطباء المسئولين فيها ثاروا على (ستيرن) وطالبوا بنصيب قدره ثمانين فى المائة من الـ ١٢ر٠٠٠ دولارا كارباح لهم فى هذه الصفقة . وقد علمت أن الاطباء لم تكن عندهم أى فكرة عن السبب الاصلى لشحن البنسلين وأنه كان ستارا لاعمال (ستيرن) السرية .

وأفادنى جاك أن أهم شيء عنى فى تقرير موسكو هو الحكم النهائى لصالحى فقد دفعت اليهم النقود مبلغ ١٠٠ر٠٠٠ دولارا التى اشتركت بها الكرملين فى شركة الموسيقى (عن يد عميلهم ستيرن) . هذا كان حدثا .

قال لى جاك أن ذلك حدث غريب فى التاريخ المالى للجاسوسية الروسية وقال وهو يضحك (بل أنه حدث فى كل تاريخ الجاسوسية) .

وقد أعلن جاك أن الرجال الذين يديرون الجاسوسكة الروسية فى العالم قد يهدم كيانهم بهذا الحادث ، حادث ارجاعى نقود (ستيرن) ولا بد اذن من مضى وقت طويل قبل أن يستعيدوا ثقتهم بى .

وفى نفس الوقت وبدون بذل مجهود كبير بدأوا فى اختبارى أولا باعطائى واجبات غير ذات أهمية ثم بالتدريج فى أخريات أكثر أهمية ولم يكن اختيارى لهذه الاختبارات صعبا على فقد كان عندى وفرة من المحصول قد يتطلبها أى

فرد وكانت هناك بعض من الرءوس الذكية جدا فى أ٠م٠ج ترشـدنى فى خطواتى وتزور الروايات مقدما لمحاولة معرفة كل خطوة للشرطة السرية الروسية ٠

كذلك كانت لى ميزة أخرى فقد كان (سوبل) رجلا ذا ولاءين متناقضين كما أعتقد ٠ فكان حائرا باعجابه بى كرجل أعمال ناجح ، وهى صفة تتمنى (ميرا) أن يكونها وكذلك كان يميل الى الشك بى فى ذهنه ٠

قلما امتنع (جاك) عن التحدث الى طويلا عن مخاطراته فى أعماله وخاصة عمليـات شـعر الخنـازير (وكان مصنعـه يسمى مؤسسـة العمـال Establissements Labor) ٠ وقد أكد لى أنه لم يختر هذا الاسم بل ارغم عليه بسبب حبه واحترامه للعمال المكدين وقد فسر L فى كلمة Labor بمعنى Le الفرنسية أى ال ثم a بدلا من Alfred ثم bor بدلا من Boris وهو أحد اشقائه ٠

ولكن الامر الذى لم يفسره لى (سوبل) فى هذه المرة بل ولا فى أى مرة أخرى هو أن موسكو قد اشترت المصنع له وذلك بشراء انصبة فيه باسم أفراد عائلته ٠ وكانت الفكرة هى أن وجود مواطن أمريكى كصاحب عمل فى فرنسا سيكون ستارا حقيقيا لعملية جاسوسية ولن تكون ادارة الامن العام الفرنسية فى شك من أمر هذا الامريكى ٠

كان (سوبل) فخورا جدا لذلك بمؤسسته كستار جيد للعمال الذين يعملون معه٠وكانت النكتة هى فى أن معظم هؤلاء الرجال قد أخذوا يمتصون أموال موسـكو المخصصة للجاسوسـية ويسرفون فيهـا أكثر مما اهتموا بالمشروع السوفيتى كمشروع يدر ربحا ما ، هذا مالاحظته بنفسى بل وقد لاحظت هذا بالتدريج فى سوبل نفسه ٠

عندما نقل (سوبل) رئاسته الى باريس سألتنى آ م ج هل يمكننى أن أمضى بعض الوقت فيها ٠ وقد رتبت هذا الامر دون صعوبة ما فوجهت عملية اخراج الافـلام الى أوروبا بسبب غـلاء أسعار الانتـاج فى هوليود ثم لان الشركات عندما تخرج الافلام فى الخارج يمكنها استخدام المبالغ الكبيرة التى كانت تستحقها كأجور لافلامها بدلا من أن كانت تجمد فى الدول المختلفة ٠

وقد قلت (لن يبد ذلك قانونيا شكلا بل أنها بالفعل عملية قانونيـة) وسيرافقنى فى سفريتى (بوب بورتون)وهو سكرتيرى الخاص الذى قدمته

باعتباره محامي هوليود وذلك لاستشارته في أموري · كذلك أخذت نسخا من كثير من أفلامي وأهم من كل شيء كنت أعرض في الخارج (Carnegie Hall) صالة كارنيجي ·

ابحرت الى أوروبا وفي صحبتي (بوب بورتون) في منتصف ابريل ١٩٤٨ وقبل أن نبحر ببضعة أيام طلبت مني (ميرا) أن أحمل معي بعض الطرود التي طلب منها (جاك) أن ترسلها اليه في باريس فهو في حاجة اليها · وعندما قالت أنها ستقوم بشرائها بعدئذ ظننت أن ذلك أمرا هاما وستمنح فرصة (لبوب) كي يحصل على معلومات منها اذا قام بمساعدتها في مشتراها · وهكذا قام بمساعدتها في مشتراها بل وفي ربطها وكانت هذه المشتريات هي آلة كاتبة ودستة من أقلام باركر ٥١ وكمية من الاحبار لها وكمية كبيرة من السجق · ولا أعرف مدى المعلومات التي حصل عليها منها عندما رتبا أمر السجق وعلب الطعام المحفوظ والآلة الكاتبة وأقلام الباركر ٥١ في طرود الهدايا المرسلة الى (جاك) ولكنها أخبرتني أنه ساعدها كثيرا جدا وأنه شاب لطيف وقالت أنها سوف تسافر الى أوروبا في يونيه وتأمل أن ترانا الاثنين هناك ·

وبعد هذا بمدة قصيرة أخذت الطرود الى (سوبل) في باريس وأخبرني أنه سوف يعمل في باريس الآن بسبب ظهور صديق قديم له وهو (Peter Vassilievich Fedotov ـ بيتر فاسيليفيش فيدوتور) وهو رجل اريب ناعم الحديث كان يوما من الحرس الخاص لستالين في بوتسدام ويالتا · وكان (فيدوتوف) أيضا في اللجنة المركزية وعضوا في المجلس الاعلا للقوميسيريات الشعبية المسئول عن الحديد الخام وكان على اتصال بمصلحة العمليات الخارجية للشرطة السرية ·

وكان على صلة وثيقة مع (بريا Beria) وهو رئيس شبكة الجاسوسية السوفييتية العامة ولكنه لم يكن يجتمع به دائما حيث أن الاول معرض لاجتماعه بستالين في أي وقت فهو اذن مشغول عنه ·

بعد أن وصلت الى باريس بمدة قصيرة قام (سوبل) بسفرية الى وارسو لمدة عشرة أيام وعند رجوعه ذكر لي كيف سافر الى موسكو مع (فيدوتوف) واعتقد أن الطريقة التي قابل بها صديقه القديم ورئيسه الجديد كانت شيقه فقد كانت وارسو في ذاك الوقت خلف السور الحديدي تماما · فقابل رجلا في ناحية شارع معين وسأله عن عنوان محل بيع أدوات موسيقية معين وقد

دقا قبعتيهما معا وعند ذلك عرف أن ذاك الرجل هو (فيدوتوف) وهذه الطريقة هي ما يسميها (ميعاد محدد) وقد رتب له من قبل ·

أما بالنسبة الى فقد أفادني (سوبل) بأن (زوبيلين) قد سقط أخيرا من عليائه بسبب ادمانه على الشرب فاحيل على التقاعد ليقضى باقى حياته فى سيبيريا والمفهوم أنه ان لم يختف تماما فقد زال عنه العطف على الاقل ·

قال (سوبل) ان (فيدوتوف) تواق جدا لمقابلتي ولكن بما أنه كان معروفا جدا فى غرب أوروبا فهو يفضل أن تكون المقابلة خلف السور الحديدى واذا لم تسمح أحوال العمل بالقيام بهذه السفرية فسوف يرسل (فيدوتوف) نائبا عنه الى سويسرا لمقابلتى · وبعد أن تلقيت تعليماتى من (محامى هوليود) قلت لسوبل (ان أعمالى الكثيرة سوف تؤخرنى فى غرب أوروبا مدة طويلة) ·

هز (سوبل) رأسه بكآبة وقال (الافضل أن أحاول احضار (فيدوتوف) الينا هنا فانى لا أود لك أن تذهب فتواجه (الكسندر ميخايلوفتش كروتوف (Alexander Mikhialovich Korotkov

سألته : ومن هذا ؟

فقال : كرونوف هو الذى دعاه (فيدوتوف) بالنائب الدائم والمسئول عن أمريكا وأوروبا بدلا عن (زوبيلين) · وهو معجب جدا (بستين وزوجته) بل لا شك أنه مجنون بهما وأفضل أن لا يراك (فيدوتوف) نفسه فى سويسرا ·

نقلت الى أ م ج كل هذا وأردت أن أعرف ماذا أعمل ·

فقالوا لى : (نفضل أن تقابل كروتوف) ·

فقلت : (لا أعرف لماذا يزعجنى) ·

فقال رجال أ م ج (نترك الامر لك) والسبب الذى من أجله رفضت مقابلة كروتوف فى أرض سوفيتية هو أن رجال أ م ج لن يمكنهم مرافقتى وانما يمكنهم الذهاب الى سويسرا فقط ·

ثم قلت لهم وأنا أحاول الترفيه عن نفسى بنكتة (موعدنا فى سويسرا يا جدعان · وآمل أن تكونوا قريبين منى جدا عندما أقابل كروتوف لتلحقونى بسرعة عندما أرسل فجأة صرختي الاليمة) وضحكنا جميعا ·

ولكنى كنت خائفا من فكرة مقابلة كروتوف وربما كان ذلك لانه أعلى رجل رسمي في جهاز الجاسوسية بموسكو وسأقابله وجها لوجه في أوروبا. وأظن أني قد أكون أقل خوفا اذا قابلته في الولايات المتحدة • كنت فيرعب حقا ـ لا أغش نفسى •

قضيت معظم شهر يونيه ١٩٤٨ أجوب فى أسبانيا ضيفا على (جوس ايتموربى José Iturbi) وعندما رجعت الى باريس كانت (ميرا) وابنها قد لحقا بجاك في باريس ، واخبرنى (سوبل) أن (فيدوتوف) كانمشغولا خلف الستار الحديدى محاولا أن يسوى بعض المشاكل بين موسكو و(تيتو)•

ولكن (سوبل) أكد لى أن (فيدوتوف) لم ينسانى ، وهو خبر مزعج ! فرئيسنا له خطط عجيبة للمستقبل وقد صمم على أن أدخله هو و (جاك سوبل) فى شركة الافلام معي ولكنى فى الحال اعتذرت بأن شريكى (وليام لى بارون William Le Baron) لا بد أن يبدى رأيه فى هذا وانى متأكد أن (بيل Bill) سوف يبدى كثيرا من الاسئلة المعقدة فى هذا الاجراء •

ومن جهة أخرى ، محاولة منى فى تنفيذ أوامر أ م ج بأن اندمج كلية مع (سوبل) اقترحت أن نبدأ فى شركة تليفزيون وكان (سوبل) متحمسا جدا لهذا الاقتراح ويريد أن نتفق بسرعة دون أن نضيع وقتا فى بدء العمل ووعد بأنه سيحصل على مبلغ ٢٥٠٫٠٠٠ دولارا من موسكو ، ولو أنه لم يتمكن من تحديد الوقت الذى سيحصل فيه على هذا المبلغ •

واشترط (سوبل) على أمرا واحدا هو أن (جاكوب البام Jacop Albam) وهو الرجل الذى عين ليحل محله فى أمريكا يجب أن يشترك فى هذه الشركة ، وكان (البام) قد قام ببعض أعمال فنية فى السينما فى موسكو • واخبرنى (جاك) أيضا أنه يعرف الكثير عن التصوير • وقدمنى فى أحد الليالى الى (البام) فى مطعم دومينيك فى باريس • وقد اثبت (خلف سوبل) أنه رجل ناعم الحديث وهو ذو شعر أشيب رمادى وذو مظهر ممتاز • وقال (سوبل) أخيرا :

(لا يوجد جواز سفر أو أىوثيقة فى العالم يستعصىعلى البام اخراجها)• وهذا الشاب الخام الذى اختير ليخلف (سوبل) له خلق عظيم فهو بخلاف (ستودنكو Studenko) لن يتجاوز سلطانه وسوف يقوم بأن جهد يطلب منه فى سبيل المبدأ الذى يدين به •

في هذا اليوم رتبنا موعدا للمقابلة مع كروتوف ·

نقلت الى أ م ج كل ما دار بيني وبين (سوبل) ، وعرفت اليوم أن كل هذه التفاصيل قد أدرجت في ملفاتهم الخاصة ·

ولم أعرف الا أخيرا أني أصبحت هاما عندما اتيت اليهم بالمحادثة الهامة وبالتفاصيل العجيبة التى جمعوا منها كل شيء عن استراتيجية الجاسوسية السوفيتية في العالم ·

ومن أخطر الامور التي قمت بها هي رحلتي الى جنيف مع جاك في العربة ومعنا زوجته وزوجتي في ٢٢ أغسطس فقـد نزلنا في فندق بو ريفاج ثم ذهبت الزوجتان الى السوق وركبت العربة ومعي جاك ومررنا على الكوبرى الى البر الآخر من البحيرة وقد ضايقني جاك بكثرة تعليماته واعطاني اسما كوديا هو (ديجون Djon) وعلى ألا أشعر (كروتوف) اني أعرف شخصيته أو اعلمه بأن جاك أخبرني بأن (جيك البام Jake Albam) سوف يخلفه كرئيس لحلقة الجاسـوسية الامريكية · وعلى العموم لا يجب أن اتحدث عن أي شيء أخبرني عنه (سوبل) ·

قابلنا (كروتوف) في الحديقة الجميـلة في مطعم اوفيفزعلى الشـاطئ البعيد من البحيرة ، وكان كروتوف مثل زميلي هذا طوله أكثر من ست أقدام وكلاهما أطول مني ، وللرجل خلقة عبوسة ، أكتافه عريضة أكثر من (جاك) ولكنه نحيف ·

بدأ (كروتوف) حديثه بأن نقل الى تحيات (زوبيلين) والذى أخبرني عنه أنه على غير ما يرام فهو ليس سعيدا باحالته الى التقاعد ثم قال أنه يبحث عن وظيفة جديدة ليسعد بهـا صديقي في موسـكو ! وبهذه المقـدمات بدأ يسألني اسئلة ملحة عن سبب عدم امكاني التعاون مع (ستيرن وزوجته) ·

عندما بدأت أشرح له هز رأسه وقال (هـذا أمر خطير ، يجب أن نذكر اعتبارا واحدا هو الضرر الذى اسببه للغاية التي نعمل اليها) ·

أكد لي (جاك) أنه بعد أن ألح عليه (ستيرن) وزوجته في أن يرسـل التقرير الخطير عني ، كان مع ذلك في جانبي وعمل لصالحي ·

ورجاني أيضا ألا أذكر شيئا عن صداقته لى أو عن تقديمى الى (البام) دون أخذ التصريح أولا من موسكو ولكنى لم أعرف الى أى مدى سيواصل دفاعه عنى ٠

وبعد أن تداولنا طويلا فى مسألة (ستيرن) ابدى (كروتوف) نقطة هامة هى أن عدم تعاونى مع (ستيرن) يعنى عدم تعاونى مع الحكومة السوفيتية نفسها ثم قال أن انفصالى عنهما كان اهانة (لمارتا) ٠ كان (كروتوف) كبقية الروس الذين قابلتهم يشعرون أنها شيء هام جدا لهم (مارتا) وللمبدأ والغاية التى يعملون من أجلها٠ لقد كانوا على حق فعلا فليس لهم اعلان أحسن وأفضل منها من حيث أنها من أعلا وسط دبلوماسى ، وفسر هذا بقوله (هذه المستجدة الصغيرة عظيمة ولو كان لدينا ألفا منها لكسبنا المعركة) ٠ وقد اعترضت بلباقة قائلا (هذا عظيم جدا يا رفيقى ولكنها ليست المسز (ستيرن) هى التى كنت أعاملها ولكنه كان زوجها ذى الرأس الناعمة)٠

وقال كروتوف أن (ستيرن) قد لا يكون بالفعل رجل أعمال عظيم بل ولا مخلوق عادى ٠ ثم أخذ يهمهم ويعترض نفس الاعتراض القديم (نحن متوقعون من كل شخص أن يكون أنانيا ولكن المبدأ ـ الغاية ! جهادنا من أجل البشرية وانتشالها من الرأسماليين هى أهم أمر فى هذه الملحمة !)

وعندما ركبت رأسى ذكرنى بشقيقى الكسندر وايزاك وبأنهما فى بؤس وكذلك احدى شقيقاتى ٠

وهكذا عيرنى بعار شقيقى الغير مواليين فادركت أنهما لا بد ميتين ٠ ثم ماذا عن اختى ؟ ماذا بها ؟

كنت لا أزال أجهل هل هى حية أو ميتة فى ذاك اليوم المشئوم الذى احتدت المناقشة فيه بيننا ٠

عندما كنت اتحدث معهما فى هذا الجانب البعيد من البحيرة كانت زوجتى و (ميرا سوبل) فى السوق وتتناولان الغذاء فى البوريفاج ٠ تحدثت مرة أخرى (كاترينا) عن منظر أخواتها وهم غير معصوبى العين وملتصقين بالحائط ثم اطلق عليهم الرصاص ٠ وطالما طلبت اليها أن تنسى هذه المأساة ، ولكنها فى كل مرة قابلت فيها روسيا كانت تلقائيا تتحدث عن هذه الحادثة وتسترجع المنظر أمام أعينها من جديد ثم تأخذ فى البكاء ٠

كانت (ميرا) شيوعية ، وأخيرا وجدت أن (ميرا) تشجع زوجتى عند ما بدأت هذه تقص القصة ثم دعت الجناة (قتلة ! خنازير ! بهائم !) ٠

الباب السابع

(الحب والمقت بين الشيوعيين)

اطاعت (ميرا سوبل) المبادىء الغير انسانية التى كان يصدرها الكرملين طاعة عمياء دون سؤال · وكانت تعتقد الآن والى الابد أن الحزب والغاية هما قبل كل شيء · وبعـد ذلك وأخيرا بدأت تدرك أن جاك وابنهما يأتيـان فى الاعتبار الاول أو يصيبها الجنون ، ولكن التغير التدريجى فى تفكيرها كان لا يزال بعيدا سنوات أخرى ·

بعد التخفيف ·عن زوجتى فى ذاك اليوم ، أسرعت (ميرا) الى غرفتها فى الفندق وكتبت تقريرا مطولا ذكرت فيـه كلمات (كاترينا) باختصار كما نقلت هذا الكلام الى (كروتوف) وهى تعرف أنه بعـد قراءته سيحوله الى رئيس (جاك) الآخر ذى المركز الخطير (فيدوتوف) ·

رتبت مع جاك موعدا لمقابلة أخرى مع (كروتوف) فىاليوم التالى لمناقشة مشروع التلفزيون ولكنا عندما قابلنا هذا الرجل كان فى حالة غضب فسألنا (أى جنس من الشيوعيين انتم ؟ اذا كان عنـدكم ذرة من الدم لم لم تعلموا هاتين الزوجتين السخيفتين ؟)

لم أدر بم أجيب الاجابة الصحيحة مثلى كمثل أى شخص آخر فى مثل هذا المأزق · سكت حتى انتهى من ثورته ثم سأله (هلا يكون هذا من الحكمة يا رفيق ؟)

تعجب كما تعجب (سوبل) من كلامى ثم سألنى :

(ما هذا الـكلام الفارغ الذى تقوله الآن ؟) وقد لوح باصبعـه التخين للامام والخلف أمام أنفى ·

سألته (هل لى زوجة أفضل من تلك التى تعلن رأيها ضد الرفقاء وضد المبدأ وباستمرار ؟)

استمر في اعتراضه ولكن بأخف حدة • وقد كانت الفكرة التى اعطيتها اياه جديدة ولكنه لم يمكنه أن يستوعبها بسرعة فان المرونة فى التفكير هىآخر شيء يطلبه الكرملين من أفراده • وعلى ذلك مهما كان الشيوعى مجتهدا ــ وقد كان كل من (كوتوف وجاك سوبل) مجتهدين جدا ــ فقد دربوا على التفكير في الامور على خط مستقيم دون مرونة وكثيرا ما يمكنك أن تضحك عليهم اذا قلت أمرا لم يتوقعوه • وفى الحالة التى نحن بها قد فزت بتأجيل هذا الموضوع مرة أخرى •

ثم طالبنى بعــد ذلك أن أثبت براءتى ــ اذا أمكن ــ على بعض اتهــامات وجهها الى أحد الملحقين السوفييت فى سفارة واشنطون ، وكان تقرير هــذا الشخص الى موسكو يؤكد أنى قطعت كل صلتى مع وطنى الاول وقد فكرت في نفسى كأمريكى صميم حتى أنى نسيت التحدث باللغة الروسية ثم كلاما آخر أشد خطورة من هذا •

ولكن (جاك) تدخل من أجلى وقال بلهفة (يارفيقى كروتوف ان هذه التهم لا أساس لها من الصحة كما اخبرتك) •

ووافق كروتوف على رأيه قائلا (انى أدرك هذا بنفسى • انه يتحدث الى الآن بروسية صحيحة) •

ثم أرفق جاك قوله بقول آخر (اذا كان الملحق قد كذب فى هذه النقطة فهو كاذب فى باقى اتهاماته ايضا) •

وتقهقر رئيس عصــابة الجواسيس تدريجيا ثم أخــذ يناقش في مسألة شركة التلفزيون عدة ساعات• ولو أنى كنت لاأزال ثائرا فى عصبيةوبالكاد أمسكت بنفسى ، الا أنى لم يمكننى أن أنكر اعجابى (بجاك سوبل) الذى كان يمثل كمخرجي هوليود ، فقد ادعى أن فكرة شركة التلفزيون كلها من عندياته منذ اللحظة التى رأى فيها رئيسه قد اعجب بهذه الفــكرة • وبعد مناقشات طويلة اتفقنا على عقد اجتماع آخر ــ على الاقل •

وللفكاهة ، بعد أن تركنا كروتوف فى ذاك اليوم سألت (جاك) اليس من العجب أن الاهتمام بمشروعه جرى سريعا فى رأس كروتوف، ولكن حتى

عندما كنا منفردين أنا و (سوبل) لم يتنحى عن ادعائه بأن الفكرة فكرته بل ونمت الفكرة حتى المرحلة الثانية وقد اعتقد تماما أنه صاحب الاقتراح الاصلى ٠

قلت له (فلنتحدث حديثا آخر ٠ فبالله كيف أن (ميرا) ـ وهى مثلك تماما تزعمان أننا أصدقاء ثم تكتب هذا التقرير الخطير عن (كاترينا) زوجتى ؟ قد كان من الممكن أن يكون هذا سببا فى طردى ٠

(وماذا كان يمكنها أن تعمعل غير هذا ؟ انها كتبت هذا لمصلحتك) ٠٠٠ وهذا مثل للطريقة التى تجرى به الصداقة بين الشيوعيين ـ ٠

عندما ابلغت عن كل هذا الى رجال أ م ج كان هو مهتما بأمر آخر ذكرته من قبل : هو أن جاك بدأ ينتقد سلوك (زوبيلين) ليس فقط فى غبائه فى شئون الموسيقى بل وسخافته وعربدته فى السكر ٠ وقد قال أن (فاسيا) عندما كان رئيسه سرق ٨٠٫٠٠٠ دولارا وكانت الشرطة السرية الروسية تنتظر منه أن يردها أو يفسر وجهة صرفها ٠

وقد قلت لرجل أ م ج معتذرا (ان كل ما قاله عن هذا الموضوع أن (زوبيلين) كان مفروضا أن يسلم هذا المبلغ الى استاذ (بروفيسور) معين واني عندما ضغطت عليه ليفسر أكثر من هذا قال (انك تسأل أسئلة كثيرة وتتكلم كثيرا ـ غلباوى) ٠

فقيل لى (ان موضوع الـ ٨٠٫٠٠٠ دولارا أقل أهمية الآن من مسألة أن (سوبل) قد بدأ يضع ثقته فيك ٠ فسوف ينزلق لسانه بنقد الاعضاء الآخرين فى حلقة الجاسوسية ، فكل تفصيلات يذكرها لك ستساعدنا فى التعرف على شخصياتهم) ٠

ساق عربتنا من جنيف الى لوزان سائق من الروس البيض الى حيث سنلقى مع كروتوف فى موعد آخر ٠ وعند ما عرف (سوبل) ان هذا الرجل سبق أن هرب الى فرنسا أثناء الثورة الروسية صمم على النزول من عربته فى قلب لوزان ثم ركبنا تاكسيا الى فندق بوريفاج حيث نزلنا وسرنا باقى الطريق الى مكان المقابلة الذى حدده (جاك وكروتوف) من قبل ٠

ازداد حماس الجنرال (كروتوف) على مشروع شركة التلفزيون منذ أن افترقنا فى المرة السابقة ، واقترح الآن أن تشترك موسكو بمبلغ ٣٥٠٫٠٠٠ دولارا أو بأكثر من هذا بمبلغ ١٠٠٫٠٠٠ دولارا آخر لتمويل الشركة الجديدة ٠

وقد أعلن بكل رزانة (المال لا يساوى شيئا • فعندما ننشيء مشروعاتنا القانونية فاننا نصرف الاموال بدون حساب) ـ وقد منح هذا القول رجل اتصال أ م ج كما منحني فرصة للضحك على اختلاف تفسير الشيوعيين لكلمة القانونية (أو الشرعية Legitimate) وتفسيرنا نحن لها •

ثم أطال في خطابته عن طرق الحساب التي ستستخدم في الشركة الجديدة• وكان معنى زيادة الميزانية طبعا هو تمكيننا من النجاح بدون شركاء آخرين أو ممولين خارجيين ، فستوضع الميزانية (كحساب للعمليات) ويوقع عليها هو فقط بينما اذا كانت وضعت (كحساب للشركة) فسيكون (بريا Beria) هو المسئول عنها • وهذا هو ما وصل اليه النظام الاستبدادى السوفيتي في مدى ثلاثين عاما نحو تكييف الروتين مثل ذلك مثل القيود التي قيدت ادارات الحكومات الفرنسية مدى ماية وتسعة وستين عاما بعد ثورة فرنسا •

بعد أن ذكر (كروتوف) أمامي مبلغ الـ ٣٥٠٫٠٠٠ دولارا رجع فذكر لي بعدم رضاء موسكو عني وقال في هذه المرة أن ملف خدمتي خال وكان المنتظر مني كجميع العملاء الشيوعيين العاملين والمجدين ـ أن أبعث بمعلوماتي بانتظام عن كل أمر أرى أنه سوف يهم الرسميين هناك معرفته ، وليس المفروض أن انتظر تكليفا بل أرسلها من تلقاء نفسي • ولهـذا أشار الى أن عنـده طلبا واحدا فقط ولكني انفث منه •

فقلت له (هذا صحيح فقد طلب مني (سوبل) أن أحصل على معلومات عن المسز (لوكيوس كلاى Lucius Cly) وهي زوجة رجل حكومي أمريكي في ألمانيا ، ويمكنني القيام بهذا بكل سهولة • ويمكنني أن أؤدى أى خدمة ترضيك ولكني بهذا لا أكون قد قدمت الا بعض الاكاذيب ، ذلك لامر واحد هو أن (كلاى) وزوجته سيكون من السهل جدا عليهما أن يكذبا كل شيء) •

فقال كروتوف بهدوء (طيب • هذا طلب آخر لا يمكنك أن تجد أسبابا تدعوك الى رفض القيام به) •

وقد دهشت عندما قال أن على أن ابلغ عن اخـلاق كل من Thomas E. Dewey حاكم نيـويورك و Earl Warren حاكم كاليفورنيا وهمـا المرشحان الجمهوريان لمنصبي رئيس ونائب رئيس الولايات المتحدة •

أراد الشيوعيون أن يشيعوا الاشاعات على المسز كلاى لان زوجها الجنرال كلاى كان المنتظر أن يصبح اداريا عظيما في ألمانيا حتى أن الالمان قد سموا الشوارع باسمه• ولما لم يجدوا أى مساوىء لهذا الجندى الممتاز (وهو منأهل جورجيا) ظنوا أن تلطيخ سمعة زوجته يمكنهم من طلب تغييره من مركزه •

وبالطبع لم يمكنهم أن يجدوا أى طريقة ليلصقوا الفضيحة به غير هذا •

كذلك Dewey ، Warren كان من المستحيل تلطيخ أسمائهما بمثل هذه الدناءة • ومع ذلك قلت له أنى سأحاول جهدى عن هذين الحاكمين •

رد كروتوف (لا يمكنك أن تدعى أنك لا تعرف ديوى) •

ابتسمت له ابتسامة معناها انى اعرف ــ ولو انى فى الحقيقة لم أعرف شيئا ولم يسبق أن قابلت الحاكم ديوى كلية ، وأخيرا عند ما فكرت فى الامر أدركت كيف جاءت هذه الفكرة الى كروتوف •

عندما كنا نخرج رواية (صالة كارنيجى Carnegie Hall) كان الحاكم (ديوى) الذى كان يوما ما مغنيا ، مهتما بتتبع هذه الرواية وقد حضر يوما وشاهد العمــل • كنت فى ذاك الوقت مشغولا فى بعض الحــان الرواية مع (ارثر روبنستاين) ولم أذهب للاستوديو فى ذاك اليوم ولذلك لم أقابل ديوى • ولم تهمــل ادارة النشر ذكر زيارة الحاكم ، فعنــدما قرأ (سوبل) فى الصحف هذا الخبر استنتج انى (وديوى) صديقان ، ونقل هذا الاستنتاج العظيم ! الى رئاسة الشرطة السرية فى موسكو كما نقل اليهم كل ما عرفه عنى •

ويتضح من ذلك أن كروتوف كان متأكدا هــو وأعضاء نادى الاتحاد فى نيويورك وكبار الجمهوريين أن عام ١٩٤٨ هو عام الجمهوريين وأن (ترومان Trumau) عدو الســوفيت سيهزم • كان كروتوف يريد مادة ينشرها ضد الحاكمين الجمهوريين المطالبين برئاسة الجمهورية ونيابة الرئاسة• كذلك أراد اجابات عن الاسئلة :

ــ من هو المسيطر على البيت الابيض ؟

ــ من هم الذين يعضدون ديوى ووارن ؟

كذلك يطلب أســماء كبار المشتركين فى الصرف على المعركة فى حــزب الجمهوريين •

وطلب أيضا تاريخ حياة كل من (جون فوستر دالاس John Foster Dulles) الذى سوف يصبح علما ظاهرا فى الحكومة والذى يقود الشئون الخارجية فى الدولة .

وقال سوبل (انه بالطبع شارع وول Wall Street) . أى حيث الصحافة .

تهـكم (كروتوف) وقال أنه يريد معلومات جديدة . وقبـل أن نفترق طلب منى وعدا بأن أعمل قصارى جهدى فى امداده بالمعلومات الجديدة .

رجاه (سوبل) بأن يكون اتصـاله فى أوروبا مع شـخصية كبيرة فأمر (كروتوف) بأن يكون اتصاله مع السفير السوفيتى فى سويسرا فهو اليق شخصية ، ففرح (سوبل) بهذا وصار يفاخرني به مفسرا لى بأن اختيارهم شخصية عظيمة لتكون حلقة الاتصال معه معناه كسب أدبى له فى (وطنه) وسيتقابل هو و (كروتوف) مع السفير فى المحلات العامة والمطاعم بل وفى الشارع دون الحديث كلية بل فى مقابلات خاطفة .

وفى مقابلتنا الاخيرة اعرب (كروتوف) عن أنه مكث فى سويسرا وقتا أطول مما كان يعتزم ، ولو أن (كروتوف) ذكرنا بأنه لا بد لنا من انتظار موافقة أخيرة من موسكو (عن مشروع التلفزيون) ان أن (سوبل) اقترح رأيا يظن أنه أريبا هو أنه ما دامت التفصيلات الابتدائية واضحة ومعـدة فلا مانع من البدء مباشرة واعداد الرئاسة فى الولايات المتحدة .

وافق كروتوف بأن هـذا الاقتراح سيسهل كل شىء وانتظار الموافقـة النهائية من موسكو ، ومن رأيه أن تكون الرئاسة فى نيويورك وهذا أفضل من هوليود .

كانت آخر كلماته لى (قدم جاك الى دوائر العمل العليا دون تأخير) .

* * *

حدثت حادثة عظيمة أخرى أثناء سفرية أخرى قمت بها الى سويسرا فى ذاك الصيف وفى هذه المرة كان (جاك وميرا) قد أخذانى فى صحبتهما الى فرع جنيف لبنك سويسرا حيث حول مبلغ ١٫٥٠٠ دولارا لحساب جاسوس فى بونس ايريس ولم اقترب منه كثيرا فارى أو أسمع اسم هذا الرجل ولكن رجل أ م ج الذى يحرسنى قال أن فى هذا الاجراء شاهد على أن (سوبل) قد بدأ يتخلى عن شكوكه فى .

استعجلني (سوبل) مرارا ومرارا في الا اضيع الوقت في تنظيم الشركة وذلك عندما رجعت الى الولايات المتحدة في اكتوبر ١٩٤٨ .

وقد أرسل (كروتوف) الموجود الآن في موسكو اليه يقول أنه لم يحن الوقت بعد لمناقشة موضوع التلفزيون مع (بريا Beria) ليحصل على موافقته الا أن (جاك) ظهر بمظهر المتأكد من أن الموافقة أصبحت في يده . وقبل أن يبحر مباشرة انذرني (سوبل) في أن (آخذ بالي) عندما أصل أمريكا ، قاصدا بذلك ضرورة الحصول على ماضي وخصوصيات (ديوي ووارن) وكانت موسكو لا تزال تعتقد بما تؤكده مجلة (Time) ومعظم الصحف الامريكية من أن انتخاب هذين الحاكمين مؤكد .

اعددت تقريرا مطولا من أربع صحائف مكتوبا بالآلة الكاتبة وكله من ملاحظات اعدتها أ م ج وكانت عبارة عن تاريخ حياة غير ضارة بالطبع من التي يجدها الروس في الصحف الامريكية أو صحيفة لندنية عنهما .

وبعد وصولي الى نيويورك مباشرة خطوت الخطوة الاولى في رفع مستوى الحياة الاجتماعية لآل سوبل كما طلب مني (كروتوف) فبحثت لهما عن شقة وأخذت (ميرا) الى بعض المناطق بعد أن راجعت كشف الشقق الذي تعده أ م ج ، وقد ابدت رأيها في بعضها ولكنها أخيرا وجدت شقة بنفسها غير هؤلاء .

واذا كان اختيارها وقع على احدى الشقق التي اعدتها أم ج لوجدت بالطبع رجال أ م ج يعملون كبوابين وشيالين وعمال المصعد في نفس العمارة ويخدمون (صبيانا) في المحلات التي سيتعاملان معها .

ثم أخذت مكتبا في الدور العلوي بأجر ٥٠٠ دولارا في الشهر لشركة التلفزيون المزعومة . وعندما رجع (جاك) نهائيا من أوروبا في فبراير ١٩٤٩ أسف لانه لم يجد شيئا من الـ ٣٥٠٫٠٠٠ دولارا التي سيدعم بها الشركة ، وكانت له عدة انتقادات في اختياري شقة للمكتب فقد كرهها لانها كانت في الدور العلوي وهو مزدوج (من أكثر من شقة) وأبوابها غير مستقلة عن الدور الاسفل كما كانت مكاتب منتجي التلفزيون الامريكي (هاودي دودي).

كانت له مخاوف أخرى أشد من هذه فان (جاكوب البام) مزيف جوازات السفر الذي كان سيحل محله في رئاسة حلقة الجاسوسية هنا قد أنزل من

مظلة فى فرنسا ثم زور جواز سفره الى الولايات المتحدة ، وما كان يطلبه الان هو الحصول على الجنسية الامريكية • وكانت القاعدة فى ذاك الوقت هى أن الاجنبى اذا ما تزوج بأمريكية اكتسب مباشرة الجنسية الامريكية فى بحر ثلاث سنوات بدلا من خمسة •

وقد قال (جاك) : (انى قد وطنت جاكوب) فى القطاع الفرنسى • ولكن (ميرا) وجدت له العروسة ، انها مشاكل ! والفتاة جامعية ممرضة وتصلح فى أى جو محترم • وقد امتدحونى كثيرا فى موسكو من أجل العمل الذى أوجدته (لالبام) وما يشغلنى هو أنه يظهر أنهم توقعوا أن أجد عروسات لكل الرجال الذين يرسلونهم الى هنا • الا أن ايجاد عروسة لرجل رقيق محترم (كالبام) أمر سهل ولكن من ذا الذى يجد فتيات ليتزوجن من رجال عجول خشنين كالذين يرسلونهم الى •

وأخيرا عندما توطدت صداقتى مع (البام) سألته (هل فعلا أمرتك موسكو أن تتزوج من زوجتك ؟ وهل المسز سوبل هى التى اختارتها لك ؟)

وافق ببساطة الا أنه أضاف قائلا (نعم • ولكنى أنا الذى قمت بجميع اجراءات الزواج) •

وفى ذاك اليوم بعد أن رأى (سوبل) المكان الذى أخذته ليكون مكتبا قال لكروتوف أنه رغما عنه سينقضى مقته لكل ماهو أمريكى فى وقت قريب•

كان كزوتوف يدرس خرائط الولايات المتحدة ويدرس اللغة الانجليزية• واعرب (جاك) عن أمله فى أن نتم مشروع شركة التليفزيون قبل أن يرجع الينا كروتوف •

لم أقدر على اخفاء ملاحظتى له (بل أن الافضل لو أنه حصل على الـ ٣٥٠٫٠٠٠ دولارا التى نتحدث عنها دائما وتصبح حقيقة واقعية فى البنك بدلا عنها مجرد أحاديث) •

تنهد ثم قال (مع ذلك فعندى حلول أخرى • كنت قد حصلت على مبلغ ٢٥٫٠٠٠ دولارا لاشترى (لالبام) نصيبا فى أرض مراعى من أقاربه الذين يعملون هنا • ولكن (البام) ولو أنه حفار ناجح وقد زاول التزوير الا أنه رجل أعمال غير موفق ، أرى أنه من الافيد اقتصاديا لى أن أدفع له مصاريف معيشته دون شراء الارض حتى يمكننا استخدامه فى شركة التلفزيون) •

يحاول دائما رؤساء حلقات الجاسوسية الشيوعية عندما يهتمون بايجاد وظائف لجواسيسهم ويؤسسون الاعمال لهم فى جميع أطراف العالم ، أن يراعوا أنها تخفى حقيقة العميل وفى الوقت ذاته تعينه على معيشته ٠

فى أثناء تعاونى مع (سوبل) وجدت أنه يتبرم باستمرار بالعملاء الشيوعيين ، فكان يقول لى أن هذا الرجل مجنون بالنساء أو هذا مهووس يحب المال ، كما أن (زوبيلين) قد فضح المجموعة كلها بادمانه على الخمر ولصوصيته ٠ واعترف (سوبل) أنه لم يفهم لم لم يعاقب الكرملين (فاسيا) لاعب التنس الكبير على شر أفعاله ٠

وكان العميل السوفيتى الوحيد فى الولايات المتحدة الذى أمن (جاك) بكليته عليه هو (شاليابين Chaliapin) وهو رجل عمل فى سان فرنسسكو فى هيئة الامم المتحدة ٠

وأهم ما أخبرنى (جاك) عنه بخصوص هذا الرجل الذى وثق فيه هو علاقته مع ضابط سابق فى جيش الولايات المتحدة وقد ادعى (جاك) أنه كان قائدا لبعض الوحدات البيطرية ٠ وفى أول الامر قال (جاك) عن هذا الرجل الثانى أنه ارلندى ثم نسى هذا بعد ذلك وقال أنه بلجيكى ٠ وأخيرا قال عن نفس هذا الضابط السابق أنه سورى ٠ ومهما تكن جنسيته فقد ظهر أن هذا الرجل لاعب بوكر (حريف) وكان سىء الحظ فخسر فى كل مرة جلس فيها للعب ٠

وكان (شاليابين) يرى الا دخل له اذا كان الرجل (سواء كان ارلنديا ام بلجيكيا ام سوريا) قد خسر هذه الخسارات من أجل موسكو ٠ وأخيرا شكا (شاليابين) من أن الرؤساء فى الشرطةالسرية الروسية كانوايتساءلون لم لم يكسبهذا الرجل فى كل هذه الالعاب٠ كان عندئذ يصرخهذا الضابط السابق فى اشمئزاز (الا يرى هؤلاء الروس المغفلون أنى اذا كنت اربح ممن ألاعبهم فلن تكون نفسياتهم مما تساعدنى على استراق المعلومات منهم ؟ انهم ان أخذوا مالى فستنطق شفاههم ، فالمال يلين السنتهم) !

وفى أوائل مارس رأيت (جاك) فى نيويورك وطلب منى أن أكون فى جنيف فى ٤ ابريل و ١٤ مايو فقد صدق على صرف مبلغ الـ ٣٥٠ر٠٠٠ دولارا لمشروع شركة التلفزيون ٠

حجزنا تذاكرنا أنا و (جاك) للسفر بحرا فى مايو • وقبل أن نسافر ببضع ليالى دعانى (سوبل) وزوجته وشقيق جاك للعشاء فى شقتهما • وقد أنذر (جاك) من شقيقه للعدول عن سفره الى موسكو ولكن هذا قابل الانذار بضحكاته قائلا (لا تخشى على • اننى محبوب جدا فى روسيا) •

ومع ذلك فقد كانت تلك الليلة كابوسا على (جاك وميرا) لان أحدالمدعوين وهو ابن صاحب أحد أحسن قهاوى باريس لم يحضر للدعوة • ويفسر غياب أحد العملاء بدون سبب معناه فى عالم الجواسيس أنه نكبة ـ أو لا شىء •

وكما هو دائما عند حدوث مثل هذه الامور ينصتون فى اضطراب وعصبية عند سماع أى صوت اقدام على السلم أو أى دقة على الباب ويتوقعون منها شرا •

ومما زاد الطين بلة فزادت من شكوكهم وخوفهم أن الصحافة أخذت منذ أيام تأتى فى صحائفها الاولى عن قصص القبض على (جوديت كوبلون Judith Coplon) الموظفة الجميلة فى وازرة العدل الامريكية وصديقها (فالنتين أ جوبيشيف Valentin A. Gubichev) وهو عضو فى الوفد السوفيتى فى هيئة الامم المتحدة • واتهمت الفتاة الامريكية بأنها تجمع له المعلومات •

كان (سوبل) حزينا ونال من موسكو فى حديثه بخصوص تصرفها فى هذه المغامرة المشئومة • قال أن هؤلاء الناس فى روسيا جلسوا الى خرائطهم يقررون ما يجرى وما لا يجرى فى مدينة ما وكيف تنفذ قراراتهم ولو أنهم أنفسهم لم يروا الولايات المتحدة يوما ما • وهذه الخرائط فى نفس الوقت مملوءة بتفاصيل أكثر بكثير من الخرائط التى فى أيدينا •

وأضاف : (ومع هذا لايمكننا الانحراف عن تفاصيل الخطط التى يضعونها فى روسيا بدون اذن منهم) • وقال أنه سيحاول جهده فى تغيير هذه السياسة فنتخذ نحن القرارات التى نراها حتى لا نضطر الى التصديق على كل حركة لنا من موسكو •

وقال : (لا بد أن يعرفوا من هذه المرة أن الطوارىء تحدث حتى فى لعب الداما ولا يراها الانسان ، فهل كانوا فى الكرملين قادرين على أن يتوقعوا ما هى خطة (مارشال) أو ما هى السمعة التى ستحرزها الولايات المتحدة بفك حصار المانيا ؟

وهل تظن أنهم تعلموا من هذه المفاجئات · أبدا !)

وافقته ، ودائما كنت أوافق (جاك) دون أن أقع في محظور ، وهكذا كان داهية وموسوسا ولم يلاحظ نفسه في هذا · وهو كأغلب الناس سواء أمام أو خلف السور الحديدى ، لم يكتسب شيئا غير صديق يصغى اليه باحترام فوافقه على طول الخط ·

وفى ١٣ مايو ١٩٤٩ ابحرت أنا و (سوبل) الى أوروبا على السفينة (كوين اليزابث) وكنت أركب فى الدرجة الاولى وهو فى الثانية ولكنى اتفقت مع أمين حسابات السفينة أن يمكن (جاك) من زيارتى كيفما أراد · وكان على السفينة أيضا رجل أ م ج بصفة مستشار هوليود وقد اسفت لسفرى على نفس السفينة مع (جاك) فقد أخذ يصدر لى الاوامر التى يصدرها الجنرال الى أحد جنوده و دعانى الى مؤتمرات سرية مرتين فى اليوم فى الساعة الحادية عشرة صباحا والثالثة بعد الظهر ·

لم أشعر بالضيق يوما أكثر مما شعرت فى هذه الرحلة · ظللت سنوات أحس بمتعتى الخاصة فى لعبة البردج (بالورق) ولم أتمكن من تهيئة الفرص للعبها الا عندما أسافر فى البحر · وفى هذه السفرية بالذات عثرت على ثلاث لاعبين ماهرين ليشاركونى اللعبة وهكذا فى الحال اجتمعنا فى قمرتى (حجرتى) عازمين على قضاء أطول ما يمكن من الوقت فى لعب الورق ·

ولكن (جاك) كان (يطب) علينا ويطلب الى أن اترك الطاولة فى الحال وعندما حاولت تقديمه الى زملائى أدار ظهره · وحالما نكون منفردين الح فى أن أمليه معلوماتى عنهم ·· فقلت له أخيرا (داهية فيك وفى مؤتمريك كل يوم · انى سأقابلك فقط فى الفجر أو منتصف الليل ولكنى لن أقطع لعبى البردج من أجلك) ·

ولم يدر (جاك) بأن أحد زملائى فى اللعب هو مدير احدى الشركات العالمية لاسلحة الحلاقة قبل أن سرنا فى البحر ثلاثة أيام فقال وهو مبتهج (كنت أود لو أنك قدمتنى اليه فقد نتفق على توزيع بضاعته مع فرش الحلاقة التى أصنعها من شعر الخنزير الذى انتجه وذلك فى علبة واحدة مشتركة) ·

فقلت له (آسف يا جاك · لا يمكنني أن أمهد الى هذا التقديم) ·

ـ لم ؟
ـ ان تاجر أسلحة الحلاقة رجل غريب الاطوار ·
ـ ما علاقة هذا بذاك ؟
ـ انه يعتقد أن أى فرد لا يلعب البردج عديم الذوق · فهو يرفض أن يشارك فى العمل أى شخص لا يعرف هذه اللعبة · وهكذا فما لم يجيد اللعبة ···) ·

وهكذا انتهى المؤتمر ولكن (جاك) لم يضع وقته فى هذه السفرية سدى· ففى أحد الايام قدمنى الى مسافرة فينيسية جميلة فى أواخر سنيها العشرين وكانت حائزة لكل فتنة وجمال نساء هذه المدينة واخبرنى بعد ذلك أنه فى أثناء السفرية القصيرة قد هتك عرض هذه الفتاة الرقيقة ـ وقد اكتسبت حديثا الجنسية الامريكية طبيعيا وسياسيا ·

ان (سوبل) مثل (زوبيلين) خلط المتعة الجنسية مع عمله فى الحزب كل ما أمكن · انه راقص بارع ويمكنه أن يتودد ويداعب راقصته وقد عرف ما يرضى النساء بايماءة · **وبما أنه شيوعى لم يسمح للاعتبارات الادبية أو احتمال ايلام قلب زوجته فتحاول أن تتدخل فى واجباته واكتشفت أن معظم النساء فى حلقة الجاسوسية سواء كن متزوجات أوغير متزوجات كن جميعا متسلطات عليه · وقال لى مرة (انها أحسن وسيلة للتأكد من ولائهن للغاية التى نعمل لها) ·**

وكانت سياسة الحزب هى أن معظم قادة حلقات الجاسوسية رجالا ونساءا يجب أن يستخدموا العواطف الجنسية كلما أمكن فى ضم الاعضاء الجدد ·

قبل أن نصل الى ميناء الهافر مباشرة قال جاك (سنفترق من السفينة فرادى) وقد حجزت محلات فى فندق رافاييل فى باريس وعندما وصل (جاك) الى الفندق وقبل أن يتفوه بكلمة بدأ يجرى تفتيشاته المعتادة فى حجرتى عن أى سماعات أكون قد اخفيتها كما قام باختبار للتليفون بطريقة جديدة ، فبعد أن فتش على الاسلاك وتوصيلاتها وضع السماعة على أذنه ليختبر فتاة تحويلة التليفون وهل تقوم بالرد بدقة وطلب منها أن تطلب حجرته ليتأكد من أن التليفون يدق كما يجب · وبعد كل هذا فتش علىدورة المياه وفتش تحت السرير وهكذا ··

وقد اكتشفت فى هذه الزيارة أن (سوبل) له أكثر من شخص من أقربائه فى شعب الجواسيس الروسية · فمثلا ، فى كل مرة زارنى فى

فندق رافاييل كان يصطحب شابا يدعى (ميشيل Michel) وقدمه لى باعتبـاره ذراعه الايمن فى مصنع شـعر الخنـازير وكان ينتظره في خارج الفندق • ولم يذكر (سوبل قط أن (ميشيل) كان ابن أخته أو أنه كلفه بالانتظار فى خارج الفندق لحراسته من الشرطة السرية ، ولـكنها الصدفة وحدها التي عرفت بها أن (ميشيل) هو ابن أخت (جاك) •

وفي احدى الليالى حضر (جاك) الى فندق رافاييل وقال أن معه سيدتين (حبوبتين) في بهو الفندق وطلب منى أن أدعوهما الى العشاء • وكان قبل ذلك الحين أخبرني أنه سوف يقدمنى الى احدى أهم عملائه قائلا (انها بديعة جدا ـ انها فتاة أمريكية) •

وعندما وصف العمل الذى قامت به أدركت لماذا يقدره هذا التقدير من وجهة نظره هو • فقد عاشت هذه (البديعة جدا) في الشرق الاقصى وعملت هناك من أجل المذهب الشيوعى واحضرت كمية هائلة من المعلومات التى على أساسها وضع الروس خطاباتهم عن مسألة اندونيسيا •

وجمعت هـذه المعلومات فى السنوات التى عاشـتها في الهند الشرقية الهولندية مع زوجها الاول كان ضـابطا في وزارة الخارجية الهولنـدية • وقال (جاك) انها جندت فى خدمة الجاسوسية عام ١٩٣٨ بواسطة (مارتا ضوض ستيرن) التى حولتها الى (زوبيلين) وهذا بدوره سلمها اليه عند ما حل محل (زوبيلين) فى رئاسة الجواسيس فى الولايات المتحدة •

كانت في الانتظار مع امرأة أخرى في الردهة ـ سألنى جاك هل يمكن أن يصعدا الى ؟ وقد وافقت ، فصعدتا وسلما على ـ (جين فوستر Jane Foster المرأة البديعة جدا وصديقتها وهى امرأة فرنسية •)

(جين) رسامة لا بأس بهـا وهى من كاليفورنيا •وكانت هي وزوجها الثاني (جورج زلانوفسكى George Zlatovski) وهو ملازم سابق فى الجيش الامريكى قد انضما الى ادارة المخابرات ثم اندمجا معى فى مقاومة الجاسوسية منذ سنوات ولو أنى لم أكن أعلم هذا حتى هذه اللحظة •

فى هذا الوقت كانت جين فى الاربعين من عمرها تقريبا شقراء ووجهها جذاب• أما زميلتها المرأة الفرنسية فكانت أكبر سنا وأقصروأعرض منهانوعا وكانت تعمل فى وزارة الخارجية الفرنسية •

شربا قليلا ثم أخذنا (ميشيل) الذى كان فى خارج الفندق فى العربة وذهبنا الى بتروغراد وهو مطعم روسى • كانت العربة الصغيرة مزدحمة بنا وجلست (جين فوستر) على حجر (سوبل) ودخلا المطعم كعاشقين مراهقين•

تمتعنا بوقتنا طوال الليلة وكان (سوبل) مهوســا من الفرح حتى أننا عندما قاربنا الانتهاء من العشاء قام الى التليفون ودعا زوجين لينضما الينا ويشاركانا البراندى والقهوة • حضر الزوجان وقــد اصطحبا صديقة لهما ودعانا جميعا الى شقتيهما لقضاء ليلة عربدة فكانت الليلة بديعة حقا (من وجهة نظرى !)

كانت السـفارة الامريكية فى باريس تعـلم من زمن مضى أن الجواسيس الروس يعلمون بالضبط صحة المواعيد التى يحددها سفيرنا (دافيدبروس)• وقد أدركوا الطريق الذى كان الروس يحصلون به على معلوماتهم بعد أن عرفوا بأسماء الزوجين الصغيرين اللذين دعاهما (سوبل) ليقضوا السهرة معنا، فقد كان سائق السفير الخاص أحد أقارب الزوجة• غير السائق فى الحال، وبذلك قصرت الشرطة السرية الروسية عن الحصول على معلومات دقيقة عن السفير وعن حركاته اليومية •

أفضل ما كان (سوبل) يعجبه عنى ، كما قلت ، هو أنه يمكنه دائما أن يعتمد على فى تلقى الصدمات • ثم أنه كأى تاجر قومسيونجى (رحال) للملابس الداخلية للنساء! كان يضيف حساب العشاء على ثمن البضاعة• وبهذه الطريقة قام بكل شىء أراده ، فقد اشترك فى الاستضافة للعبث والمجون • ثم استطاب بأكلة شهية وأخيرا اجبرنى على دفع الحساب وبهذا استفاد أكثر من صاحب المطعم والسفرجى معا • وبعد كل هذا كان على صاحب المطعم أن يدفع شيئا عمولة عن الطعام والنبيذ •

كان (جاك وميرا) يصيبهم القلق فى كل مرة نتجه الى مطعم من الدرجة الاولى وكنت أقدمهــا الى أشخاص مثــل (أرتور روبنستاين) وموسيقيين عالميين آخرين هذا خلاف النجوم والاطبــاء والمنتجين الذين كانا يعتبرانهم أساطير حية •

وكل هذا كما سترى كان سببا هاما للنجاح الذى نلته كعميل فى مقاومة الجاسوسية للـ أ م ج ، فهؤلاء الناس (الروس) كانوا أقل حذقا فى اكتشاف ذلك لانى كنت طفلهم المدلل الذى يسرف فى المال ويحيى معهم هذه الحياة الماجنة •

فأنا أعتقد أن هذا هو السبب الوحيد فى أنهم لم يضبطونى وأنا أبلغ عنهم أ م ج أولا بأول ٠

كان القبض على (جوبيشيف Gubichev) فى الولايات المتحدة قد سلب عقل (جاك) حيث كان يتحدث عنه مرارا ويحلل السبب عما دعا الى هذا وعما هو الخطأ الذى حصل ولم يقف الحاحه على عن حاجته الى تأمين نفسه وسلامتها ، وكان ينــدرنى (أنا الرجل الذى تطوع بأن ينقل الى أ م ج كل أقواله وأفعاله) ٠

كان الموعد التالى مع أحد رؤسائنا قد تحدد فى ٤ يونيه فى جنيف الا أن مكان المقابلة تغير الى فينا وأجل الى آخر الشهر ٠ وعندما أخبرنى (سوبل) عن هذه التغييرات قال أنه قد يطلب منى أن أحمل تقاريرى مع تقارير أخرى الى فينا بنفسى ٠

احتججت بأن التقارير عن (ديوى ووارن) بعد أن فشلا فى الانتخاب منذ أشهر أصبحت قيمتها معدومة لروسيا ، ولــكنه لم يأبه بكلامى قائلا (على الاقل ، هى شىء يوضع لك فى ملفك ولصالحك) ٠

وقال أنه سيذهب الىفينا مباشرة أما أنا فيجب أنأقوم اليها ليس متأخرا عن ١٩ يونيه ٠ وفى الليلة السابقة لسفره أعطانى تقارير المرأتين ٠ كانت معى لذلك عشرة شنط وقد رآنى بنفسه وأنا أضع التقارير فى ظرف كبير ثم وضعت الظرف فى الشنطة العليا ٠ هز رأسه أسفا على اهمالى وغبائى وصمم على أن تكون الشنطة التى بها التقــارير فى أسفل جميع الشــنط الاخرى ٠ وقد شعرت بخيبــة الامل ونحن نقلب الشنط بأكملها ثم نرتبها ثانية ٠ وفى أثناء هذه العملية لاحظت أن أحد رجال أ م ج الذين كنت أعمل معهم يسير ذهابا وجيئة أمام مبنى اليونسكو على الجانب الآخر من الشارع من فندق رافاييل ٠ وكنت اشــكر الظروف لانى قبلت الســكن فى حجرة بالدور الاول بدلا من أخرى فى الادوار العليا فقد خدمتنى ادارة الفندق فى هذا ، وبذلك تأكدت أن رجل أ م ج كان يراقبنا ٠

وفى اللحظة التى تركنى فيها (سوبل) أسرعت فى زحزحة الشنط من جديد لاخرج الشنطة الاخيرة ثانية وفى الوقت الذى أخرجت فيه الظرف كان رجل أ م ج يمر أمام نافذة حجرتى فناولته التقارير بسهولة ٠

أسرع رجل أ م ج بأخذ التقارير الى حجرته فصورها ٠

وفى بحر نصف ساعة أرجعها الى ثانية• وكان على عندئذ أن أنقل الشنط بأجمعها مرة أخـرى لاضع التقارير فى الشنطة السـفلى ، خشية أن يرجع (سوبل) فى رأيه فيرجع ويطلب منى التقارير •

هذه هي (دقة المعلم) الحقيقية الاولى التى قمت بها كأحد رجال مقاومة الجاسوسية • كان أحد التقارير بيانا فياضا كتبته (جين فوستر) عن عملها فى اندونيسيا مدة سنوات والآخـر اشتمل على معـلومات سرية كتبتهـا صديقتها الفرنسية وهو مستخرج من المراسـلات المتداولة بين السـلطات الامريكية ووزارة الخارجية الفرنسية •

وأخيرا شعرت بأنى قمت بعمل شيء هام •

الباب الثامن

اسير فى ظل الكرملين

أخذت اكسبريس الشرق من باريس الى فينا ولم أجد صعوبة في عبور الحدود ومعى تقارير (سوبل) ولكن من السهل أن يفهم الانسان لم كان الخوف من تهريبها عبر الحـدود ، فالنمسا لا تزال محتلة بواسطة الولايات المتحدة وروسيا السوفيتية وفرنسا وبريطانيا معا ، وقد تناول ممثلو هذه الدول كلها متاعى كله بالتفتيش الصورى •

قابلنى (جاك سوبل) على المحطة ولم يكن أحد أسعد منه برؤيتى ، ولم يقدر على حبس أنفاسه حتى يركب التاكسى الى فندق كراتز امبسادور فى المنطقة الدولية ليتأكد من وجود الظرف والتقارير معى فقد كان فى لهفة •

انى أعرف لهفته جيدا ، فقد كان تقرير (جين فوستر) وحده عبارة عن ديناميت فقد ذكرت فيه سر أربع سنوات من نشاطها كجاسوسة ومندوبة لتجنيد الجواسيس للسوفيت ، وظلت مدة طويلة تعمل فى جمع المعلومات من رجال (ادارة المخابرات العامة (CIA=Central Intelligence Agency فى سالزيبورج وفينا وبرتشسجادن بعد أن شربت وضاجعت الكثيرين من هؤلاء الضباط • وأخيرا اخبرنى (سـوبل) أن (جين) قدمت له كثيرا من المعلومات القيمة عن حياة الجنس والمسائل الخاصة والشئون المالية لكثيرين من الضبـاط الامريكيين والموظفين الحـكوميين هناك ، وتضمن تقريرها كل أسرار موظفى الاحتلال فى أثناء الاربع سنوات التى اشتملها التقرير •

وفى اليوم التالى عنـدما اتى جاك من أجـل هذين التقريرين كان متخما بالاخبار ، فقد تقابل مع وسيطه الجديد فى فينا وقد أحبه (هؤلاء الوسطاء كانوا يتغيرون من وقت لآخر كما لاحظت ، فلم تكن ادارة الشرطة السرية تثق حتى فى رجالها مدة طويلة ولم تعتقد أن من الحـكمة أو الامن أن تبقى

عميلا سريا مدة طويلة في مدينة واحدة) كان (جاك) ذاهبا لمقابلة وسيطة الجديد في تلك الليلة ، وعندما دعوت نفسي للذهاب معه اعتذر بأنه ليس من حقه أن يصطحبني اليه ٠

كذلك أعلن (جاك) أنه سوف يذهب الى موسكو قريبا جدا وأنه سوف يقوم من مطار في المنطقة الروسية حيث لا تكون هنـاك قوات غربية وعزم على أن يبرق استعلاما عن استلام الـ ٣٥٠٫٠٠٠ دولارا ومع ذلك فها هو ذاهب الى الوطن (دوما Doma باللغة الروسية) فستكون لديه الفرصة لبحث الامر شخصيا ٠

وأخذ يضحك ويتذكر كم أنذره أخوه وزوجة أخيه عن سفرياته الكثيرة الى موسكو ٠ وأهم ما عجبت له أنه مع تسخيفه لمخاوفهم فقـد كان بالفعل يتخذ احتياطات ضد جميع الاحتمالات لاى (حادث) اغتيال ـ وهي احتياطات تكاد تكون خرافية لو أننا كنا ذاهبين الى أى جهة خلاف روسيا ٠ وقال لى (بعد أيام قليلة سأكون قد وصلت الى روسيا ولكنى طلبت من (ميرا) أن تبرق اليك فيحالة ما اذا احتاجت الى أمر ـ أمر غيابي مثلاهناك مدة طويلة)
وقال أنه اذا وجد سببا للاتصال بي فستكون الرسالة المرسلة منه مميزة بأنه هو مرسلها بالثلاث كلمات وهي في ثلاث لغات مختلفة سيهمس بهـا شخص في أذني (Dritter .. Romeo .. Wagram) ولكن هذه الكلمات السرية تستخدم فقط عندما يكون مسافرا ويجب أن أنساها بعد رجوعه ٠

كذلك ذكر لى (سوبل) أنه اذا رجع الى الولايات المتحدة فسوف يستخدم جواز سفره الامريكى الحقيقي وقد شعر أنه هام جدا ليأخذه الى روسيا حيث يمكنهم أخذه ومصادرته (للانتفاع به) ٠

ووجدت أخيرا أن هذه هي عادة جواسيس الـكرملين الذى كان لهم حظ الحصول على جواز أمريكى صحيح ٠

وقد توقع (سوبل) أنه سوف يغيب في روسيا نحو أربعـة أيام فقط وأنه اذا لم يرجع بعد أسبوع فالمحتمل ألا اسمع عنه مرة أخرى ٠ ولكن لم تصلني برقية ما من (ميرا) في نيويورك كما لم يصلني شخص ليهمس في أذني بالثلاث كلمات ٠٠٠ Romeo ٠٠٠

بعد عشرة أيام ظهر (جاك) مرة أخرى ٠ كنا في ليلة نمشي معا في شوارع فينا ولم يذكر شيئا خلاف افتخاره واعجابه بنفسه فقد ذكرلى كيف خصصت

له حجرة فى فنادق لطيفة وكيف عومل كشخص له اعتبار محترم • وكانت أهم أخباره الى أنه قال أن تقرير (كروتوف) عن مشروع التلفزيون وعنى كرفيق يوثق به قد صدق عليه بواسطة كبار رجال الشرطة السرية ، وأن (كروتوف) نفسه لامتنانه منى أرسل لى معه صندوق سجاير مصنوع من حجر جبل أورال الجميل •

وقال أن ماعطل وصول مبلغ الـ ٣٥٠٫٠٠٠ دولارا هو البحث عن طريقة أمينة الى نيويورك • وقال أن هذه المسألة تشغل البال كثيرا هناك لارسال هذا المبلغ الكبير •

وقد ظن أن رجال أ م ج وادارة المخابرات العامة يعلمون بسرعة بأمر هذه المبالغ الكبيرة عندما تصل الى البنوك فى أى جهة فى العالم •

عندما سلمنى (جاك) الصندوق المرسل لى هدية من (كروتوف) قال (سيكون منظره جميلا عند وضعه على طاولة القهوة فى صالون منزلك بكاليفورنيا) ثم ضحك واضاف قوله (ولكن لاتقل لاحد أصدقائك المسعورين أعداء الشيوعية فى هوليود عن كيف ومن أين وصلك الصندوق •)

وقال أن تقريرى عن (ديوى ووارين) فرحوا بهما • وبعد ذلك عندما وصلت الى موسكو بنفسى واصغيت الى التقريظات عنها أدركت السبب الذى من أجله قال لى (سوبل) هذا •

كان لايزال مغتاظا كثيرا من مسألة القبض على (جيوبيشيف) وعاتب للمرة الثانية تصميم رؤساء الشرطة السرية فى موسكو على تعيين مواعيد مقابلة للعملاء السريين من مكانهم عن بعد آلاف الاميال بحيث لا يمكن تغييرها بدون اذن منهم ، وقال (جاك) أيضا الذى قام بتجنيد جيوديت كوبلون قد أوقع نفسه فى خطر فقد قابل (جيوبيشيف) مرارا ويخشى أن يكون قد عرف رجال أ م ج اسمه وعنوانه من (جيوبيشيف) •

فى أوائل يولية أخذنى (جاك) الى موعد مع وسيطه الجديد وقدمه الى باسمه الاول فقط (فيتالى Vitaly) ولم أعرف باقى اسمه الا أخيرا وهو (تشرنيافسكى Tcherniavsky) وكانت المقابلة تحت قنطرة فى الملاهى ثم فى القطاع الروسى بفينا • ومدينة الملاهى كباقى فينا قد سقطت فى أيام محنتها فى الحرب • وكانت يوما ما ملعبا للامبراطور فرانز جوزيف ومجلس

بلاطه وسيدات العائلة الامبراطورية ثم أخيرا أصبح مركز الترفيه عن الشعب يدور فيه الناس فى نزهتهم وتعزف فيه الموسيقات فالزستراوس وبه أماكن يطعم فيهــا الناس ويركب النــاس فيها الخيــل كما نرى فى جزيرة كونى بروسيا الا أن النواعير أصبحت اليوم مصدأة متفككة تزوم وتزيق كرجل الموسيقى الهرم ·

و (فيتالى) رجل ضخم فى الثلاثين من عمره أسود الشعر طويل مهذب ونظيف الملبس · قدمنى (سوبل) اليه باسم (ديجون) وأظهر (فيتالى) سروره لمقابلتى · ولكنهما أهملانى كلية فى أثناء حديثهما سويا · تحدثا بالالمانية والروسية ، وكانت لكنة فيتالى تشعرنى بأنه رومانى وقد تحدث باللغتين بسهولة جدا ·

عندما انتهيا من حديثهما سلم الى (سوبل) مظروفا لاحظت أنه يحتوى على أوراق بمبالغ عشرين وخمسين ومائة دولار ·

اتفقنا على أن يكون موعدنا التالى مع (فيتالى) فى نفس المكان ، وقد توقع أن يأتينى بمعلومات عن ماليــة مشروع التلفزيون وكانت كلمــة السر هى Riabov ريابوف ·

كنا مسافرين فى اليوم التالى الى زيورخ فحضر (سوبل) الى حجرتى فى فندق كراتز اميسادور ليطلب منى جميلا · أراد منى أن انقــل له رصيده الامريكى الى زيورخ وكان فى ذلك مخالفة للقانون وهو أن أنقل أموالا أمريكية من الدولة أكثر مما أحضرت اليها ، ولكن لسبب من الاسباب لم يهتم رجال الجمرك بالاموال التى أحملها معى عندما وصلت ·

وضع (جاك) معظم أمواله فى بنك الكريدى السويسرى ، وقال لى أنه يجب أن يدفع ١١٠٠دولارا ثم يرسل معظم الباقى الى (جين فوستر) كمرتب لها ولمصاريفها · وكان مرتبها وهو كمرتب زوجها (جورج زيلاتوفسكى) الضابط السابق ١٥٠ دولارا فى الشهر لكل منهما نظير خدماتهما للشرطة السرية الروسية NKVD أما (البام) فكان مرتبه ٥٠٠ دولارا فى الشهر ·

وفى هذا العام ١٩٤٩ أصبحت (ابونيه) دوليا أسافر كثيرا لاعمالى مابين باريس وفينا ونيويورك وهوليود مع سفريات أخرى الى سويسرا وايطاليا · ولكن معظم عملى كعميل فى مقاومة الجاسوسية ــ كان فى هذا المكان ــ فيينا فهى المجال الاول للفالز ثم للمسائل النفسانية ·

وفي أثناء فترات وجودى فى نيويورك رأيت (ميرا سوبل) فى أربع ليال مختلفة ، وكانت لا تزال تنعى الدنيا لان (كلارك جيبل ومارلين دى تريتش) لا يزالان على قيد الحياة ثم أخذت تطالبنى بأن أؤكد أو أنكر الشائعات الغرامية فى هوليوودالا أنها تحدثت مصـدقة على خبر (جورج زلاتوفسكى) التى قابلته أخيرا عدة مرات وقـد وصفته بأنه عميل مجتهد فى جماعة (جاك) وأنه سوف يلحق بزوجته فى أوروبا قريبا ٠

قلت لها بأدب أن هذا أمر يسرنى جدا فان زوجتى ستصحبنى أيضا عند سفريتى التالية الى الخـارج ٠ ولكنى لم أظن أن هنـاك أمرا أسوأ من القاء زوجتى (كاترين) فى احدى جماعتى (سوبل) أو (زوتوفسكى) ٠ لم أجد طريقة لمنع (كاترين) من التشهير بالشيوعيين ولم اتمكن من أخبارها انى أعمل معهم وبعلم أ م ج لانى وعدت هذه الادارة ألا أفصح عن أنى جاسوس مزدوج لاى مخلوق كلية الا بعد أن يأذنوا لى ٠

علمت أن (ميرا) كانت أيضا ستعين للعمل فى الهيئة التنفيذية فىمشروع التلفزيون ٠ كانت ذكية وشخصية ذات حيوية فلم أعارض فى أن تعاوننا ٠

الا أن الاسابيع والاشهر ولت دون أى اجراء يتخذ بخصوص الوعد بمبلغ الـ ٣٥٠٫٠٠٠ دولارا ولم يجدى احتجاج (سوبل) ، وكان أكثر قلقا منى للحصول على المال من احبابه فى الكرملين ٠

وأخيرا فى يوم أن كنا فى باريس ، أعلن أنه فكر فى طريقة لنقل النقود دون تنبيه أى تطفل عن (منظمات الثلاث أحرف The three - Letter Organizations) وهو يقصـد بذلك طبعـا CIA و FBI (ادارة المخابرات العامة و أ م ج ٠

وقد قال لى بابتهـاج (يمكنك أن تبيع حقوق الروس الى كثـير من دور أفلام السينما بمبلغ ٣٥٠٫٠٠٠ دولارا) ٠

هززت رأسى وقلت (درت هذه الحقوق الروسية فى الماضى ربحا قليلاجدا بل لم يتجـاوز ٢٠٫٠٠٠ عن كل رواية ولـو فى أحسـن وأعظم شركات هوليود) ٠

فقال (سوبل) وهو يلزني بكوعه (بل ستدر الكثير في هذه المرةوعندما تعلن عن تكاليف اخـراج روايتي (صـالة كرنيجي وقصص من مانهاتان) Tales of Manhattan ، Carnegie Hall وغيرها في الصحف التجارية (يا بوريس) ستكون أكبر مالي في عصرك · ولا أحد حتى تشابلن وبرنارد شو يمكنهما أن يستفيدا مثلك من جهة روسيا) ·

فكر (سوبل) في كل شيء ـ هكذا يعتقد في نفسه وقال لي (وأول مرحلة ستكون عرض رواية أو أكثر لرجال السفارة هنا) ·

وبعد يومين رجع الى وقال (رتبت كل شيء والآن يمكنك أن تحدث السفير (بوجومولوف Bogomolov) أو سكرتيره في التليفون دون تباطؤ ، وكل ما عليك أن تقول له (هنا أفلام فدرال ـ هوليود ـ كاليفورنيا ـ نحن في انتظارك بين العاشرة والحادية عشرة صباح باكر) ·

وعندما تلفنت الى السفارة وعرفتهم بنفسي تحدثت معي السكرتيرة في الحال وتأسفت لان سيادة السفير غير موجود ولكنها أضافت بأنها حددت ميعادا لي في اليوم التالي وكان ذلك في الساعة السادسة من ٢٣ سبتمبر عام ١٩٤٩ ·

وعند وصولي الى السفارة (٧٩ شارع جرينيل) تولى أمرى حرس حتى مكتب (بوجومولوف) وقدمت اليه هو و (نيكولاى ناجورنوف Nikolai Nagornov) الملحق الثقافي · وهناك رجل ثالث قدموني اليه وكان هذا الشاب يتبعني كلما دخلت السفارة في ذاك اليوم أو في زياراتي التالية ·

في ذاك المساء تحدث الى السفير فامتدح الروايات التي تنتجها هوليود وقال أن المستر (ناجورنوف) سيرتب قريبا أمر عرضي لهم وبعض الموظفين هذه الروايات ·

في هذه المرة كنت مشتركا مع (ساشاجترى Sacha Guitry) في انتاج (المعجزة The Miracle) · وبعد ذلك بستة أيام حدثني (ناجورنوف) تليفونيا وطلب مني عرض (قصص مانهاتان) في صالة عرض في عمارة ٤٩ شارع لي فايزندريرى · كان النظارة نحو ثلاثين منهم السفير ومدام (بوجومولوف) كما حضرت المسز (موروس) عرض رواية روسية ثم روايتي ·

وكانت آخر كلمات قالها (بوجومولوف) عندما صافحني بعد العرض (سوف نفيدك بالنتيجة) وقال (سوبل) بعد ذلك أن السفير كان مسرورا جدا ٠

أخبرته أن قلقنا الدائم بسبب مشروع التلفزيون قد أثر على أعصابي (واني أسرف في الوقت هباء عليه ٠ فلنتركه اذن نهائيا) ولكنه كان متأكدا أنه بعد أن يرى السفير روايتي صالة كارنيجي فسوف يقترح على الكرملين أن ادعى الى موسكو لاعرض رواياتي فيها ٠

وفي ٢٣ أكتوبر وثق بي (سوبل) في ايصال ٢٠٠٠ دولارا نقدا الى جنوب أمريكا لحسابه وكانت النقود كلها أوراقا من فئة عشرة وعشرين دولارا وكلفني بتسليم المبلغ الى رجل موجود في كالي باورجواي في بونس ايريس٠ ولا حاجة لي بالقول أن رجال أ م ج قد سروا عندما أعطيتهم اسم وعنوان هذا الرجل ٠ وفي اليوم التالي طلب مني (جاك) أن أرسل شيكا بمبلغ ٨٠٠٠ دولارا ليسحب على بنك سويسري باسم زوجته ٠

بعد بضعة أسابيع دعيت لاعرض كارنيجي هول أمام السفير وقد حدثت بضع أمور عجيبة في أثناء ذاك العرض ٠ احضرت رجل أ م ج الذي يرافقني وقدمته باسم مستشاري في هوليود وأظن أن هذا هو أحد المرات القلائل التي صافح فيها دبلوماسي سوفيتي يد مخبر من مخبري أ م ج ٠

وأيضا عندما سألني السفير عما كنت أعمل الآن فقلت له رواية (المعجزة The Miracle) وشرحت له ملخصها وقلت أن المؤلم في هذا العالم أن الناس لم يعودوا يعتقدون في المعجزات ، ولذلك لم يعودوا ينتظرون كنوزا ٠ ولكن منذ قرون مضت عندما كان الناس يعتقدون في المعجزات كانوا ينتظرون أن يلاقوا كنوزا ثم وجدوها (وقصتنا هي عن بلد صغيرة في كونتيناك حيث كان الناس يعتقدون في المعجزات ويجرون خلف الكنوز وقد نجحوا بسبب ايمانهم بالمعجزات) ٠

تعجب السفير وقال (الايمان بالمعجزات ! انها الماركسية !)

ولكن أهم حادث في ذاك المساء وقع عندما عرضوا رواية روسية جديدة ظهر فيها جاسوس يعمل متخفيا في مصنع شعر الخنازير ليخفي حركاته الجاسوسية ٠

ثم أتمالك ضبط نفسي حتي ظهرت الانوار ثانية فسألت السفير (كيف يمكنك توزيع مثل هذه الرواية • الم يخبرك أحد •••) فسحبني الى جانب بعيد كي استمر في حديثي فقلت له بالروسية أتدرك ماذا أنت فاعل يا سيادة السفير ؟ ألا تعرف أن السيد الذي رتب كل هذا لى هو نفس صاحب مصنع شعر الخنازير ؟)

رفع السفير حاجبيه لاعلا ثم نادى العامل على ماكينة السينما وأمره بتمزيق جميع النسخ وهكذا كان (بوجومولوف) مضطربا جدا وأكد لى أنه شخصيا سيتأكد من تمزيقها •

ان ضجر السفير كان أقل بالطبع مما أصاب (سوبل) عندما قابلته بعد أسبوع وقصصت عليه كيف أن أحد أذكياء السيناريين قد كشف سره وسر عمله الذى اتخذه ستارا لجاسوسيته •

وقلت له (وفى نهاية العرض قبض على الجاسوس • فماذا تفهم من هذا يا جاك ؟ ألا تظن أنهن قصدوا بهذه الرواية تحذيرك لتحتاط لنفسك ؟)

ارتجف ولكن قبل أن يجيبنى سألته ثانية والآن متى تنتهى مسألة هذه النقود ؟ أنا أعرف بالطبع أنه لم يحاول أحد ما أن يقصدك بالذات فى عمل هذه الرواية • انها فاشلة فشلا ذريعا ولكن اذا كانت هذه هى طريقتهم فلن نتسلم كلية مبلغ الـ ٣٥٠ر٠٠٠ دولارا) •

فرد على (أمامنا وسيلة واحدة فقط هو أن تذهب بنفسك الى موسكو مع الروايات • وأظن أن (بوجومولوف) سيوافق على هذا ، ولا صعوبة كلية فى اخراج فيزا لك) •

وفى المرة الثالثة رأيت اثنين من رجال أ م ج من الذين كانوا يعملون معى • أخذت رأيهم فى اقتراح (جاك) ، وكنا عادة نتقابل فى مطاعم باريس العامة وقد فضل أحد رجال أ م ج أن نتناول وجباتنا فى المطاعم فى منطقة لى هالز Les Halles وهو سوق باريس الكبير للاطعمة حيث كان يسميه زولا Zola (معدة باريس) •

ومن رأيه أن من المستحيل الاعتقاد بأن هذا الحى فى باريس فهو مكان طالما حلم أن يبقى فيه طوال حياته واما باريس الحقيقية فتتراءى له عندما يجلس على طاولة قديمة يحيط بها العمال فى الاسواق ثم يأكل أحسن حساء بالبصل وهى تقدم فى كل وقت ثم اتبعها بزجاجة من النبيذ العادى •

ولكنا فى هذه الليلة كنـــا نأكل فى مطعم (بوم دامور) وهو قريب من قصر شامب اليزى ، واخبرتهم أن (سوبل) كان مقتنعا أن هنـــاك طريقة لنهو المسألة المالية وهى اقتراحه بأن أذهب الى موسكو وسألتهما (والآن ما رأيكما فى هذا الاقتراح ؟)

نظر كل منهما للآخر ثم قال أحدهما (بالطبع من رأينا أن تذهب ولكن لا يمكن أن نعطيك أمرا بهذا أو تعليمات ما ٠ فالامر موكول اليك أنت) ٠

اقترحت عليهما أن يبرقا الى واشنطون أو نيويورك لاخذ الرأى ولكنهما رفضا وكان على وحدى أن اتخذ قرارى ٠ وقال أحدهما (ان فى الامر خطر ٠ ولن يمكننا حمايتك هناك حيث لا يمكننا الذهاب معك ولا توافق رئاستنا على سفرنا) ٠

ـ ماذا تريدان منى أن أرى هناك ؟

ـ صناعتك الموسيقى يابوريس اذن فلتستخدم آذانك جيدا ٠

قلت : انى سأذهب ٠

كانت هناك عقدة وهى زوجتى ـ فهى دائما كانت تحقر البلاشفة وتعلن كثيرا أنها تكره أن تتنفس الهواء الذى يتنفس منه هؤلاء الخنازير ومع ذلك صممت على أن تصحبنى وقالت (اذا كان من الضرورى أن تذهب الى موسكو لاعمالك فأنا الاخرى سأذهب أيضا) ٠

لم يكن السبب فى هذا أنها تريد أن ترى عائلتها المكونة من شقيقتين احداهما فى لينيجراد والاخرى فى موسكو ففى احدى سفرياتى الى باريس اقترحت عليها أن تدعوهما فحدثت احداهما تليفونيا وعندما ردت قالت لزوجتى (كترينه ؟ ليست لى شـــقيقات فى أوروبا ٠ لا بد أنك اخطأت ٠ ليست لى أخت يا كترينه) ٠

استاء (سوبل) جـــدا من تصميم زوجتى على السفر ومع ذلك فلم أجد صعوبة فى الحصول على الفيزا من أجلها أكثر مما وجدت لنفسى فقد وسطت (ناجورنوف) الملحق الثقافى فحصل عليها فى يومين ٠

وقفنا فى فينا ونحن متجهين الى موســـكو وقضينا ليلة رأس الســـنه مع (ويلى فورست Willy Forst) وهوساشا جتيرى لفينا وقصصت له قصة رواية المعجزة فقال ويلى (اعجبتنى جدا ولكن ألا ترى أنهـــا ستكون

معجزة حقا لو رجعت أنت وزوجتك من موسكو احياءا ؟ لان كثيرا من الابرياء مثلكما انتما الاثنين ذهبوا ولم يعودوا) ٠

كانت أول وقفة لنا بعد فينا في براج وهنـا كان لى أكثر من سبب فى تصديق نصيحة (جاك) بأن اضاعف حذرى عنـدما أكون فى أرض تحت نفوذ السوفيت ٠ بعد أن نزلنا فى فندق الـكورن ، خرجت (كاترين) الى السوق ولم تخرج من البـاب العمومى حتى دقت بابى فتـاة شقراء جذابة مائعة ٠

قابلتنى بابتسامة قائلة (أوه ٠ انك لشاب ظريف ٠ قرأت فى السجل في الدور الارضى أنك آت من هوليود ٠ انها حلم حياتى أن أرى هوليود وأن أصبح نجمة) ثم دخلت الحجرة ٠

ولا بد أن السيدة (لاك Luck) كانت ستلكزنى لانى قلت لها بدون تردد (اغربى عن وجهى ــ من أنت ؟)

عندما لم يبد عليها أنها ستخرج دفعتها خارج الحجرة وقفلت البـاب ثم رفعت سماعة التليفون وطلبت (سيلين Silin) السفير الروسى فى براج وأخبرته بما حدث وقلت له بغضب (اتظننى طفـلا ؟ اذا كانت هـذه هى طريقتكم فى معاملتى فترسلون الى بنتا مفعوصة وغانيـة جاسوسة ــ فلن أذهب الى موسكو٠ عندما أجريت الترتيبات لهذه السفرية سمعت أن البسط الحمراء ستفرش من أجـل اسـتقبالى ولا فتاة شقراء ولا سـمراء ولا حتى حمراء) ٠

كنت بالطبع أجس النبض فقط ولكنه كان أحتياطا لا بأس به فلا بد أن هذه الفتاة الجميلة قد أرسلت الى لاختبارى فتسكرنى ثم تضاجعنى اذا أمكن لترى هـل سأبوح بشىء ، فاذا كان كذلك فسـأرفت ٠ ولم ينـكر السفير (سيلين) بل لم يحاول أن ينكر التهمة التى وجهتها اليه وقال أنه سوف يرسل موظفا كبيرا (ليحمينى من الفتيات الجميلات والشقراوات وأى اخطار أخرى) ٠

بعد هذا الحـادث عوملت معـاملة ممتازة V.I.P طوال سـفريتى الى موسـكو ٠ وفى اليوم التـالى أرسل لى (سيلين) أقرب زملائه (الكيسى ميخايلوفتش كليشووينو Alexei Mikhailovich Kleschowinov) ليهتم بأمرى فاجرى ترتيب باقى السفرية بحذافيرها ٠

في وارسو قابلنا موسيقي روسي وقد أصبح موظفا حكوميا هاما وهو يلبس ملابس أنيقة وله سائق بولندى خاص • ان له مترجم بولندى مع عصا مسلحة ايرلندية تحت ابطه ثم أهداني عصا مسلحة (عصا في داخلها سلاح) ونحن متحركين الى برست ليتوفسك •

وفى برست ليتوفسك حيث وصلنا في الساعة الخامسة صباحا حيتنا فتاة من مصلحة السياحة وهي أوكرانية وجميلة جدا وساعدتنا كثيرا حتى دعنها (كاترينا) لتناول الفطار معنا ولكنها رفضت ولما الحت عليها قالت بهدوء (اني مطالبة بكتابة تقرير عن كل ما قلتموه لى أثناء استضافتي لكم وسأرسل التقرير الى روسيا ، فأنا لا أريد لكم متاعب واشكالات) •

انه شعور غريب ـ صدقني ـ أن نركب في هذه الارض التي خربت حديثا فى عربات السكة الحديد وبالدرجة الاولى القديمة لخط بولمان الدولى• فالمقاعد والظهر خشنة غير مريحة ولكن هناك ظواهر على انها أصلحت كثيرا لتصبح أحسن حالا • كانت الخدمة ممتازة وقد فوجئت بنوع الطعام الذى قدم الينا ففيه اللحوم بأنواعها وبأشكال مختلفة من الاسماك المدخنة والزبدة وافرة ، والكافيار موجود بكثرة مع أنه غالى الثمن • والمشروب الروسى المفضل متوفر وهو نصف فودكا ونصف بيرة بولندية ويقدم في أكواب البيرة ويعطى بكثرة كأنه ماء •

وحدث حادثان فى هذه السفرية أثرا فى كثيرا وكشفا لى عن مسلك بعض اناس معينين من الروس نحو الولايات المتحدة •حدث الاول فى القطار عندما لاحظت ولدا صغيرا كان يجرى فى الطرقات وفي يده لعبة مسدس يضرب على العدو (الوهمى) •

سألته : هل تضرب الهنود ؟

فقال : لا • ليس الهنود انهم الامريكان •

والحادث الآخر حدث في محطة برست ليتوفسك • كان هناك جنرال في الجيش السوفيتي يقف مع زوجته ينتظران القطار التالى الى وارسو في الاتجاه الآخر • كان كلاهما يقرآن مستخدمين نظارتيهما المدليتين الى طرف الانف• كان هو يقرأ صحيفة وهى تقرأ رواية وعندما رفعت الزوجة نظرها لاحظت انى البس معطفا من شعر الماعز فسألت :

أمريكي ؟

قلت : أنا أمريكى الآن ولكنى ولدت فى روسيا ٠

فقالت : عندما تصل الى موسكو ستجدها مدينة جميلة ٠

وافقتها قائلا : أنا متأكد من ذلك ٠

ـ ولكنك لم تر بعد طرقنا الجميلة ؟

هززت رأسى نافيا ٠

ـ انها جميلة حقا ٠ اتعلم من بناها ؟

ـ لا ٠

ـ الالمان ٠ الاسرى الالمان ٠ من سوء الحظ أننا ارجعناهم لوطنهم ٠

ـ لا بد أن شبكة الطرق لم تتم بعد ؟

اومأت برأسها وخلعت منظارها ثم قالت :

ـ لا ٠ بل لاننا قريبا جدا سيكون عندنا أسرى حرب غيرهم ٠

ـ من ؟

ـ الامريكيون ٠

تظاهر زوجها الجنرال أولا أنه لا يستمع الينا ولكنه فى هذه اللحظة خلع نظارته وقال : (أنت يامجنونة) !

ولكنها أجابت (ولكن يا عزيزى ٠ أنت الذى أخبرتنى بهذا أمس !) ٠

وصلنا موسكو وكانت الدنيا ليلا ـ فى مساء ١٥ يناير ١٩٥٠ وهنا حقا فرشت البسط الحمراء لى وقابلنى على الاقل ثلاثة من الكبراء فى محطة السكة الحديد هم (نيقولاى بتروفتش ايفانوف من وزارة السينما ، الكساندر سيمينوفتش تروسوف ممثلا مصلحة التلفزيون السوفيتية ، ايجوفى فاسيليفتش كافاليوف ممثلا مصلحة الفنون

Nikolai Petrovich Ivanov, Alexander Semenovick Trusov, Eugeny Vassilievich Kovaliov,

كانت هناك عربتان ركبنا احديهما الى فندق متروبول ومعنا ايفانوف ٠ والعربة الثانية وضع فيها العفش وعلب الافلام ٠

عرفت أن (كافاليوف) هو الشخص المنوط بترتيب اقامتنـا • الا أن (ايفانوف) كان يبدو لي أذكى الثلاثة فمظهره كمظهر الاساتذة وكان يتحدث ببعد نظر كبير عنـدما أخذني الى المسرح • ولم يبدو أنه رجـل مثقف فقط ولكنه أيضا كان ذا خبرة كبرى فى الفلسفة ومن الظرف انى عندما سألته عن زوجته واطفاله وأهله حول الحديث عنهم وعندما قلت له أنه لا يسرنى شيء أكثر من أن نتعشى معا فى منزله نظر الى منزعجا ثم فى الحال اعتذر ولم أره الا بعد يومين •

تغيرت الدنيا ودارت منذ كنت هناك قبل خمسة عشر عاما فسقوط المانيا وفشل عجلة الفاشيستية التى أراد الجيش النازى أن يسحق بها روسيا قد رفع السمعة السوفيتية فى كل العالم أكثر من أى أمر آخر • وفى أى جهة نظر الانسان الى المدينة نفسها كانت بوادر التقدم تتراءى له كذلك النمو والتصنيع والحضارة • أصبحت الطرق النظيفة الجميلة اسطورة قديمة ولكن لا توجد الكنائس العتيقة وكتل البيوت القديمة حيث افسحت كلها لشارع جوركي والطرقات الواسعة العظيمة• أصبحت نوافذ المحلات ملأى بالبضائع اللطيفة من كل نوع ولو أن أسعارها فوق طاقة الناس ما عدا فئة قليلة من المحظوظين منهم • وسواء بخاطرى أو قهرا عني فانى أقر أنى رأيت موسكو ١٩٥٠ مدينة قد صحت بعد أن نامت الف سنة •

وبعكس البلدان التى رأيناها في طريقنا قبل أن ندخل الحدود فالناس فى موسكو يلبسون الملابس الانيقة ويبدو عليهم الشبع • والحقيقة الاولى هى أنهم جميعا يلبسون ملابس تدفئهم ويلبسون أحذية نظهر لنا التطور الاقتصادى فى ضروب حياتهم منذ زيارتى الاخيرة ، ولـو أن أغلب الاحذية لوحظ أنها مرتقة (مرقعة) •

أمكننى أن أرى المظهر الامريكى فى كل مكان ذهبت اليه ، فى العربات التى تملأ الطرقات وفى بعض الفنون بل واشده كان فى المهمات الميكانيكية التى رأيتها • لم يسألنى الاوركستر الذى يعزف فى المتروبول أى أسئلة فى هذه المرة عن الجاز وقد لعبوه جيدا جدا فى هذه المرة وابتسمت لهم عندما لعبوا أدوارا خفيفة مثل (أولاد موسكو – The Moscow Boys) •

كان أهالى موسكو الذين حاولت التحـدث اليهم قد خجلوا استيحاء من التحدث مع الاغراب كما كانوا أيضا فى عام ١٩٣٥ • بل كانوا خائفين من سماع أى نقد عن النظام الشيوعى •

فهم يخشون أن يصيبهم مكروه من جراء هذا • ويظهر هذا الخوف العام من الاغراب ، وما أرادوا أن يقولوه كان على الصورة الآتية : فان احدى الموظفات في الفندق كانت تحبها (كاترين) • وفي أحد الايام طلبت منها أن تحضر لحجرتنا لتأخذ من زوجتي بعض الشكولاتة فابيض وجه المرأةخوفا ولم تدر كيف ترد • ولاحظت فى عدة أيام بعد ذلك أنها كانت تختفى عن أعيننا كلما رأتنا •

ولسبب ما لم أعرفه ، تركونا لشأننا فى الايام الاولى التى قضيناها فى موسكو • ولربما أرادت الشرطة السرية أن تشعرنى بأني حر وأعامل معاملة ممتازة ولم تتمتع (كاترينا) من هذه الفرصة النادرة لترى المدينة بعكسى أنا • وقد سألنى أغلب من قابلتهم من أهل موسكو الذين كانت لهم جرأة في التحدث الى فى الطرقات نفس السؤال : (هل رأيت وجوها باسمة كثيرة كما ترى فى عاصمتنا الجميلة ؟)

وقد أجبت بالنفى ! وبالطبع لم أقل الصدق وهو أنى لم أر وجوها كثيرة مضطربة من الخاف والرعب فى سفرياتى كما أرى هنا •

لا يزال الفلاحون يأكلون ويشربون نفس الشيء ثلاث مرات فى اليوم هى الفودكا والبيرة والخبز الاسود والسمك المدخن • نعم أنهم جميعا يشربون الفودكا والبيرة فى الافطار والغذاء والعشاء • يشرب الرجال الفودكا مخلوطة نصفها بالبيرة كما شاهدتهم أثناء سفرى • أما النساء فيشربن اما البيرة واما الفودكا ولكن لا يشربنها مخلوطة •

فى ٢٠ يناير طلبنى (كوفالينوف) تلفونيا وقال ان (كروتوف) يريد أن يرانى وحدى بعد الظهر • وفى نحو الثالثة حضر الى وأخذنى وركبنا سويا الى شقة فى شارع مشكانسكايا ، ويبعد هذا المنزل ميلين عن الفندق• والشقة فى الدور الثالث وهيمفروشة بفراش من الدرجة الاقلمن المتوسط وبنظام نيويورك ولكنها ملائمة هنا وبها راديو وفونوغراف وجهاز تلفزيون•

جلست أنا و (كوفالينوف) نتحدث عن الموسيقى حتى الساعة الخامسة حين حضر (كروتوف) • شربنا مرارا وتبادلنا الانخاب ثم بدأ (كروتوف) حديثه المصلحى •

بدأ (يقرطمنى) على تقريرى عن (ديوى) و (وارن) وقال (يمكن كتابة هذه التقارير فى صحيفة نيويورك تايمز • فى الحقيقة أشك فى أنك نقلت

هدين التقريرين من نفس هـذه الصحيفة • قد يكون ذلك مفـاجأة لك يا (ديجون) فاننا نحن أيضا مشتركون في نفس صحيفة نيويورك تايمس • اني أوافقك على أنهـا صحيفة معلوماتها غزيرة أكثر من غيرها ولو أنهـا لم تنشر شيئا مختصرا قبل ذلك عن مثل هذين الرجلين السياسيين المحافظين ولذلك كان أملنا أن تزودونا أنت بمعلومات أوفى) •

ولو أنه بدا في مظهر لطيف الا أن ما قاله اثار أعصابى قليلا ولكنه نفسه قطع هذا التوتر بقوله (انه جميل من (سوبل) أن يرسل الينا تقريرك عن الاجتماع السرى فى البيت الابيض وقد وصلنا قبل أن ينشر فى الصحف)•
لم أحاول أن أنـكر المفاجأة ولا ازال لا أعرف ما قـد أرسله (سـوبل) ليحشو به الملف الخاص بى •

بدأنا نشرب من جديد أنخـاب بعضنا وعندما جاء دورى مسكت الكوب وقلت بحماس (انى متأكد من انا جميعا راغبون من أعماق قلوبنا للسلم بين روسيا والولايات المتحدة) •

هذا هو النخب الوحيد الذى شربته وقد كان كأنى قذفت بالفودكا فى وجهى الرجلين • وبعد لحظة بدأ (كروتوف) الذى كان يكره الولايات المتحدة يقدح فى حكومتنا وطريقة شعبنا فى الحياة بصفة عامة • وقال أن واجبه هو ألا يسمح لاحد من رجاله أن يعيش فى أمريكا مدة أطول من عام واحد•وقال أن النظام الرأسمالى باسلوبه فى الحياة السهلة وقيمتها الكاذبة فاسد جدا •
وتساءل كروتوف (ألا يفضل طعامنا طعامهم؟ وكذلك عرباتنا ؟ وبيوتنا؟ وفوق كل شيء تفكيرنا ؟ الم نكسب الحرب بدون أى مسـاعدة من حلفائنـا المدعين فى الغرب حتى انتهت الحرب الحقيقية ؟)

ختم كروتوف قدحه في عفونة أمريكا بشرب نخب باسم (سوبل) وقد حذرنى من ايجاد أى علاقة اجتماعية معه قائلا (ويمكنك أن توجد علاقاتك فى التجسس فقط مع ابرام) ـ وابرام على فكرة هـو الاسم الاول الحقيقى لسوبل ولم اسمع رؤساه فى NKVD ينادونه بأى اسم آخر غير هذا) حذرنى كروتوف كي اتحاشى الاتصال مع أى من أصدقاء (سوبل) أو أهله أو أى أعضاء من حلقته •

هذه هى السياسة المطلوب اتباعها بواسطة جميع أفراد الشرطة السرية الروسية NKVD وهى سياسة خشنة لانه اذا كان العضو فردا فى حلقة

الجاسوسية فسواء ارتد أو قبض عليهفلن يعرف غير وسيطه فقطوفى حالتى أنا بالذات هو سوبل والعضو الوحيد فى الحلقة الذى له حق الاتصال بأكثر من عضو آخر هو (جاك سوبل) نفسه ·

كان كروتوف مؤكدا جدا على هذه النقطة حتى انى لاحظت أن (سوبل) رجانى فى كل مرة قابلت فيها وسيطا آخر ، الا أذكرأنه قدمنى الىجواسيس آخرين فى الحلقة أو باح لى باسرار ما عن عمليات الحلقة ·

وعندما سألت (كروتوف) عن رأس مال شركة التلفزيون قال (لا تفكر فى المال · سنعطيك أكثر مما يمكنك أن تستخدمه · وعلى كل حال أريد أن تقابل جميع كبار وزارة السينما وتقضى معهم كل ما يلزمك من الوقت وانى أضع (كافاليوف) هنا تحت أمرك · وقد قررت أن يكون صديقك القديم (زوبيلين) هنا ليؤانسك وسأحضره اذا أردت أن تتحدث اليه ولكنه الآن يزور أمه فى سيبيريا) ·

فقلت بسرعة (ليس من الضرورة مشاهدة زوبيلين) · آملا بذلك ألا يندفع فى هذا الاتجاه ·

بعد ذلك بثلاثة أيام رجعت لنفس الشقة التى كان الاجتماع فيها مع كروتوف توكيدا لمناقشاتنا · وفى أثناء الطريق اليها أوضح لى (كوفاليوف) أنى اليوم ذاهب لمقابلة (ليونيد ديمتريفيش بتروف) النائب الذى قاد عمليات الجاسوسية فى الولايات المتحدة تحت اشراف (كروتوف) ·

كذلكحذرنى (كوفاليوف) أنه من غير المفروض أن أعرف اسم (بتروف) والآنهذه ليست خدعة سخيفةكما تبدو بأن يخبر الانسان فى أثناءمحاكمته ـ وهذه كانت حالتى ـ ببعض الامور أو بعض الاسماء ثم انذاره فى الحال بالا يفضح عما قد عرفه منها لانه اذا تفوه بها فكيف يمكن وضع الثقة فيه ؟

ولكن هذا هو منطقهم · والاهم من هذا بالنسبة الى هو اكتشاف الحزازات بين أفراد الشرطة السرية ، فمثلا لم ابق طويلا مع (بتروف) فى ذاك اليوم حتى اكتشفت أنه ألد أعداء (سوبل) فى داخل هذه الهيئة ·

كان (بتروف) شخصيا تافها له ندبه مشرشرة طويلة امتدت من اذنه اليمنى حتى طرف فمه · تكلم بالانجليزية ولكنه دائما يقول : dese, dem, dose بدلا من these, them, those بدا حديثه مؤدبا جدا عندما قال

لى أنه أراد أن يوضح لى جيدا ماهو مطلوب منى ، وبعد ذلك تحول مرة واحدة الى موضوع (جاك سوبل) . ولو أنه كان كفؤا فى كل أموره الا أنه قد شعر أن (ابرام) أصبح سريع الغضب عندما أتى ذكر علاقتى به .

ثم بعد ذلك اتخذ معى مسلك الاب فى قوله (ان هذا سوف يضرنى يابنى، أكثر مما يضرك أنت) وقال أنه يريد منى أن أفهم انه لا يوجد هناك أمور شخصية كلية فى أى شىء مما سيقوله لى ثم أخذ يتسلى فى مسألة تقريرى عن (ديوى ووارن) ولكنه اتى بالعيب على (سوبل) وحده (كان تدريبه لك ضعيفا . نحن نريد دسامة أكثر فى هذه التقارير) كما قال لى هذا المسكوفى ذو الوجه المجروح (وهذا أمر خطير لاننا جميعا نريد أن نكون أحيانا خشنين وصلبين، ولكنه دربك بالدوانات ناعمة) . وفى ذات الوقت كان (كافاليوف) يسجل كل كلمة يقولها (بتروف) .

تكلم (بتروف) كثيرا عن قيمة نقد الاشخاص مشددا فى أن الرجل يجب أن يعتبر نفسه منفصلا عن الجميع فى كل وقت ويكون دائما ناقدا نفسه وحركاته . وفسر هذا بقوله (ليس عندى أمل فى أن أجعل منك ماركسيا أثناء مدة وجودك القصيرة فى موسكو ولكن يمكنك أن تبدأ ذلك بتدريب نفسك على نقد النفس ونحن جميعا نتدرب على هذا وعندنا العقيدة . هذه هى حجر الاساس فى الماركسية) .

وحذرنى كما حذرنى (كروتوف) من الصداقة الزائدة مع (سوبل) قائلا (يجب أن تبقى علاقتك معه فى الجاسوسية ولا يجب أن تنزل الى المستوى الاجتماعى) ثم حول الحديث الى موضوع أموالى وسألنى هل عندى حقيقة ملايين الدولارات ؟ فانكرت ولكنه أسف لهذه الاكذوبة وعندما طلب منى أن أخبره فى أى الدول جمدت أموالى . أمليته أرقاما وهمية فكتبها .

بعد ذلك قال (لم لا تحول جميع أموالك الى موسكو ؟)

قلت له انى سأفكر فى الامر .

فتساءل : فيم ستفكر . اما أن تكون شيوعيا صحيحا أو لا تكون أبدا . واذا ما تبعتنا فلا بد أن تكون أموالك أيضا معنا .

— انى أعتقد أنى أعمل بأكثر كفاءة من أجل المبدأ اذا كانت أموالى معى فى كل وقت .

فقال (بتروف) انه لم يسمع أبدا مثل هذا الكلام الفارغ ، وانى اذاحولت أموالى للحزب فان بامكانى الحصول على أى مقدار منها كلما احتجت اليه ٠

كانت اسئلته التالية قد كشفت عن أن (ســوبل) كتب عنى أنى كنت صديقا للكردينال (سبلمان Spellman) فكان السؤال الآتى : (ايمكنك وضع أحد جواسيس (سوبل) فى منزل الكردينال ؟ كأن يعمل سكرتيرا له مثلا ؟)

لا حاجة الى القول بأنى أعتذرت بأنه ليست عندى الشجاعة الكافيةلتنفيذ هذا الطلب ولكن مع ذلكعندما افترقنا احسست بأن (بتروف) كان راضيا جدا عن نتائج هذه المقابلة ٠

وفي اجتماعنا التالى وضح أيضا أن (بتروف) قد أوكل اليه أن يعمــل دراسة خاصة عن ماضي حياتي وعلاقاتي واخلاقي وذلك لتقرير أنسب طريقة لمعاملتي ٠ وفيهذه المرة لم يكن (كوفاليوف) وحده عندما أخذنى الىالاجتماع بل كان مع (كروتوف وبتروف) عندما حضر الى ٠ جهزت الطاولة للعشاء عندما حضرنا وامتد هذا الاجتماع سبع ساعات وتميز بكثرة الفودكا التى تعاطيناها فيه ٠

وبعد وصولنا مباشرة سألنى (كروتوف) سؤالا غريبا فقد نادى مديرة المنزل وقال لى (أنظر اليها جيدا) ثم صرفها وقال لى (أهى جذابة ياد يجون؟ أتحب أن تضاجعهــا ؟) فقلت وعلى شفتى ابتســامة دون أن أورط نفسى (انها ليست خالية من الجاذبية) ٠

وصرح (كروتوف) أن الشرطة السرية بدأت منذ سنوات تعمل دراستها عن الخصائص الجنسية بين رجال جميع الدول فى العالم وقد كلفت مئات من علماء النفس الذين وهبوا حياتهم لهذه العملية ٠ وفى الدول الاسلامية قامت بعملها بمساعدة الخصى (الطواشي) وقال (ليس هناك حكم على هذه المسألة أفضل من نداء الجنس عند النساء فى أى مكان ٠ واليوم كانت النتيجة أن أصبح عندنا أعظم مرجع للمعلومات عن أمور الجنس فى كل مكان) ٠

وقد وصف (كروتوف) أيضا مدارس الثقافة الجنسية التى يلقن فيها الطلبة فنون الحبوالجنس الظاهرة والباطنة وفىنفس الوقت يلقنونمبادىء الحزب بدقة وعناية ٠ وفى نهــاية الفرقة يطلب منهم تطبيق معلوماتهم فى شئون المخدع ٠

وقال وهو يضحك (ان الامريكيين تبهرهم هؤلاء الفتيات المدربات وخاصة بين قوات الاحتلال ، فالامريكيون جهالا حتى أن معظمهم لا يعلم أن هناك أكثر من وسيلة واحدة للاستمتاع بالامور الجنسية · وأما هؤلاء الذين سمعوا بهذا منهم فلا يصدقونه · وهؤلاء الفتيات ينقلن الينا كل مايقوله لهن افراد القوات الامريكية · والجنس يا رفيقي يساعدنا أكثر ما يساعدنا المخدر فهـذا هو ماوجدناه في هذه الناحية ·

وأخيرا أعطوني بيانا بأسماء أمريكيين عظمـاء وطلبوا مني التحرى عنهم أرادوا مني أن أصادق (ادجر هوفر J. Edgar Hoover) وأكون قريبا منه لابلغ عن كل ما يعمله وأن أحاول أن أجند لهم (هيلينجاهاجاندوجلاس) التي أصبحت عضوةالكونجرس الديموقراطية من كاليفورنيا للمبدأالشيوعي وكنت ذكرت مرة (لسوبل) أني عرفت (ميشيل فاريل Michael Farrel)

فسألوني (لم لا تعرف سوبل بفاريل ؟)

عند ذلك حاول (بتروف) أن يشبع غروري فقال (اليس ذلك عيبا أن نحاول أن نخبر رجلا ذكيا مثلك كيف يقوم بهذا العمل ؟ أني أعتقد أنك انت الذي يجب أن تخبرنا عما يمكننا أن نقوم به ، فمثلا ها هي المسز دوجلاس، وأنت تعرفها ولكنك لم تحاول أن تحضرها لتعمل معنا ؟)

لا يمكنني أن اؤكد حتى الآن ماذا كانوا يقصدون ، ففي هذا الوقت كان معارضوها السياسيون يحاولون التشنيع بها بأنها حمراء ولو أنهـا كانت معروفة أنها مجاهدة حرة ضد أى تطرف سواء من اليمين أو اليسار ·

بعد ذلك ذكروا ديموقراطيا عظيما آخر هـو عضو الشـيوخ الامريكي (وليام بنتون) من كونتيكات وهلا يمكنني أن اتصيد صديقا في مكتبه ؟ ثم ماذا عن وزارة الخارجية ؟ ألا يمكنني وضع عميل لهم فيها ؟

وللبرهنة علىإمكان ذلك اخبروني أن لهمموظفا صغيرا في سفارة الولايات المتحدة في باريس وهو مفيد جدا للمذهب الشيوعي ·

ظللت أقول نفس الشيء في كل مرة وهو اني سأفكر في الامر ويظهرأنهم اقتنعوا بوعدي هذا ، وأخيرا قالوا أنهم توقعوا مني أن أساعد (سوبل) في تحويل أمواله ونقلها ·

وفي احدى النقط هز (كروتوف) رأسه على (سوبل) فقد شك في نجاح (ابرام) في شركة شعر الخنازير وسألني ما هو رأيي في هذا ؟ فقلت لا أظن أن هذا حدث أو يمكن أن يحدث ·

وقد عجبت كيف أن الرئاسة العليا للشرطة السرية لا تثق ثقة تامة فى نفس عملياتها • قال لى (كروتوف) أن جاك سيكون وسيطى الوحيد مع استثناء واحد هو أن (كروتوف) قد يحتاج الى تقارير منى عن صديقه القديم فى بعض الاحيان فاذا كان الامر كذلك فسيرسل رجلا آخر للتحرى معى عن هل سوبل أصبح عديم النفع • وكان (البارول) لهذا الجاسوس عن الجواسيس الآخرين هو (هلا علمت أن الجنرال قو توفى فى الفجر ؟)

كنت أظن بالطبع أن (كروتوف) علم بمشروع (سوبل) فى تشغيل (البام وميرا) وربما هو نفسه فى شركة التلفزيون وعلى ذلك لم أتردد فى الحديث عن هذا •

ولكن الجنرال كروتوف فوجىء وصرخ (لا • لا • لا • ليس لهم دخل فى هذا) •

كانت مسألة نقل مبلغ ٣٥٠٫٠٠٠ دولارا هى أهم عقدة • فلم يفز (كروتوف) بعد بالتصديق من الرؤساء الكبار على أى مشروع مقترح ، وقال أن فكرة اعطائى تحويلا بمبلغ ٣٥٠٫٠٠٠ دولارا لمشترى خمسين فيلما أمريكيا ثمنها مليون دولارا لن تخفى على أحد كما أن فكرة اعطائى تبلوهات قيمتها مئات الآلاف من الدولارات بدلا من أفلامى ، أغفلت أيضا لنفس السبب •

ولكنى كنت قد بدأت البحث عن الحقيقة هنا وهناك فعلمت أن المبالغ التى أرسلت الى (سوبل) كانت ترسل مرة فى كل ثلاثة أشهر وأن مصنع شعر الخنازير كلف موسكو ٥٧٫٠٠٠ دولارا •

فى الاجتماع التالى وكان بعد ذلك بأسبوع، كان (كروتوف) منفعلا جدا لان رئيسهم الاعلا منه سيتزعم المؤتمر • ولو أن (بريا) كان رئيسا كبيرا الا أن (فيدوتوف) كان الرجل المقرب منه ومن الخاصين القلائل الذين يسمح لهم بحضور الاجتماعات السياسية •

قال كوفاليوف (لا تستخدم الاسم الاخير لاى شخص عندما نكون مع فيدوتوف • لا تقاطعه أبدا • لا تنتقد (كروتوف) أو (بتروف) مهما كان سؤاله لك عنهما • ولا تقارن بين روسيا وبين الولايات المتحدة مهما كانت الظروف) •

بعد كل هـذا توقعـت أنى سـاقابل بركانا ثائرا فى رجـل ، ولـكن (فيدوتوف) الذى وصل مع (كروتوف) وآخر من رجال الشرطة السرية اسمه (روديكنكو) كان رجلا لطيفـا جدا • قدم نفسه الى ثم سـألنى عن صحتى وسألنى هل أنا مستمتع برحلتى فى موسكو وهل هناك أى خدمة يؤديها لى • وكان مهتما بالاكثر بسماع آخر أخبار عن صديقه القديم (جاك سوبل) •

وبعد أن أخبرنى (فيدوتوف) أنه و (سوبل) كانا صـديقين حميمين لنحـو ثلاثين عاما صممت على أن آكيـد لهؤلاء (مسـاحى الجوخ) فخالفت التعليمات كلهـا التى أملاها على منذ لحظات (كوفاليوف) وتحدثت عن كل ما طاب منى • فصعق الآخرون وتضايقوا ولكن (فيدوتوف) كان راضيا مسرورا • تناقشنا فى الفنون والافلام والنجوم والترفيه ومعارضة فلسفة الشيوعية والرأسمالية والسياسات فى الدول المختلفة وسلوك الدول اليوم نحو روسيا السوفيتية • قال أن السوفيت يملكون أطنان الذهب التىتمكنهم أن يغرقوابها السوقفيبخسون قيمة الدولار ويزعزعون اقتصادياتأمريكا•

امتدح (فيدوروف) ـ شارلى تشابلن كثيرا وقال اذا كان هذا الكوميدى حضر الىروسيا لامكنه الحصول علىكل ما أراد ولكن لن تكون لهقيمة بالنسبة للشيوعية كسلاح أكثر ممـا له الآن وهو فى أمريكا (فى ذاك الوقت كان فى كاليفورنيا) •

تعجب الآخرون (بتروف وكوفاليوف وكوروتوف) من تبسطه معىوبعد ذلك نحوا نحوه فى معاملتهم لى ، ولكنهم حقيقة صعقوا عندما أرسل كبيرهم (فيدوتوف) الى سائقه بأنه يمكنه أن يذهب الى بيته وقال أنه سوف يقود العربة بنفسه ومعنى ذلك أنى سأركب معه !

قبلنى (فيدوتوف) ثلاث مرات على كل خد أمام الفندق وقال (اذا كان هناك أحد لا تحبه أو أى أحد يضايقك ولا تريده فقل لى عنه) •

وعندما ذهبت الى فراشى هنأت نفسى بأنى سلمت ورجعت اليـه • فقد كانت جولتى الشـاقة فى سويسرا ما هى الا نعنشة بالنسـبة الى الفحص الطويل الذى تعرضت له فى موسكو •

وعندما تركنا موسكو فى ٦ فبراير بعد ذلك بثلاثة أيام عوملنا بنفس الحفاوة التى حظيت بها فى سفريتى الى روسيا وودعنا فى محطة السكة الحديدية فى موسكو كل من (تروسوف وكوفاليوف وايفانوف) كما حيتنا نفس الفتاة الاوكرانيةالجميلة فى برست ليتوفسكوكذلك قوبلنا فى وارسو وبراج بنفس المودعين كما قوبلنا أولا ٠

وصلنا فينا فى ١٢ فبراير ومنذ ذاك التاريخ أخذت ستة أيام أفكر فيها فى الثلاثة أسابيع التى قضيتها فى موسكو ٠ ولكن لم يكن تفكيرى هو فقط فى الحادثات الكبرى التى حدثت بينى وبين رؤساء الشرطة السرية الروسية بل أيضا فى التسعة عشر حفلة الممتازة التى شاهدناها عندما كنا فى عاصمة العالم السوفيتى وكانت تتضمن باليهات واوبرات وحفلات موسيقية وروايات (لشيكوف) وشكسبير ثم القدح على (ترومان) ٠ كانت الانتاجات عن سعة واسراف لا يمكن لرجال العرض فى أمريكا الرأسمالية أن يباروها، فكانت احدى حفلات العرض فى موسكو مثلا فيها باليه فى عمق البحر كلفهم مبلغا خياليا كما كان الديكور فى المسارح من الدرجة الاولى والمقاعد مريحة للغاية وتجمع الديكورات الى السقوف فى كل ليلة ٠ وكان نقدى الوحيد هو أن التمثيل يميل الى التقليد القديم (غير عصرى) ٠ فقد كانوا لا يزالون يستعملون طريقة (ستالين لافسكى) فى التمثيل فى الشكل الاصلى ولا يسمح بالطرق العصرية ٠

وكان العرض الذى لا أنساه من التسعة عشر حفلة ، كانت الحفلة التى تردد حراسى فى السماح لى فى مشاهدتها وهى كانت حفلة عرائس وكانت العرائس فيها بالحجم الطبيعى ، وكان منظر الافتتاح يمثل غرفة نوم وفيها يرقد رجل وامرأة (عرائس) فى سرير عريض ٠ وكان الرجل فى هيئة (جوزيف شينيك) مدير انتاج السينما بهوليود أما المرأة فقد قدمت فى البروجرام باسم (المس لاى) وأما الحبيب فقدم باسم (المستر برفرتيتيس) ٠

وكان الفصل الثانى عبارة عن عروسة تمثل (داريل زاسوك) وظهر فى يده عصا البولو وقد أملى خمسة قطع متتابعة للاختزال وكانت له خمس عشرة سكرتيرة يكتبن على الآلات الكاتبة ٠ أخذ يصدر أوامره النارية لكل منهن لتكتب ٠

و (زنوك) ــ الدمية ــ تحرك من ســكرتيرة الى أخرى ليملى قســما من القصة للفتاة الاولى وقسما من القصة للفتاة الاولى وقسما آخر للفتاة الثانية القصة للفتاة الاولى وقسما آخر للفتاة الثانية ثم يقفز للقصة الاخرى • وقد صاح المتفرجون من أجل هذه التنبيطات الحاذقة لمهارة هوليود في العمل •

وقد عجبت من أن هؤلاء الناس قد عرفوا من هما (زنوك Zanuk وشنك Schanck) فلا بد أن المؤلفين يعرفون هوليود تماما • دخلت الـكواليس ولكنى لم أجد أحدا ممن هناك من عمال المسرح أو غيرهم من العمال الآخرين أمكنه أن يخبرونى عمن كتب القصة أو من أخرجها أو من أنتجها •

قلت (لكوفاليوف) عندما كان يودعنى على المحطة أنه يجب أن يخجل من العار هو ووزارة الفنون لتقديمهم هذا العرض • وقلت له أنها أمر يستحق الاسى أما الاعمال الاخرى فاظهرت تقدما ونجاحا فى الانتاج المسرحى التى تقدمت فيه موسكو •

وعندما كنت أقفز الى القطار قلت أيضا (كل ما عدا هــذا كان جميــلا لطيفا وانى استمتعت برحلتى ولكن بربكم لم ابقيتم رجــلا دائما على بابنا طوال اقامتنا ؟ انه تبعنا فى كل مكان ذهبنا اليه فهل كان هــذا أمرا وديا معنا ؟)

فكر فى هذا لحظة ثم قال (وديا جدا ، انه كان لحمايتكما) ولكنه لم يغير من تعبير وجهه •

وكان آخر شىء قاله (كافاليوف) هو عن تمويل مشروعى للتلفزيون وأنه سينفذ قريبا •

ابتسمنا جميعا عندما قال هذا • ومن ذا الذى لا يبتسم ؟ على كل حال شعرت بالاطمئنان للمودة التى أبداها (فيدوتوف) ولو فى هذه اللحظات على الاقل •

الباب التاسع

ملك المناجم الخطير

فوجئنا عندما كنا في فندق (كرانـدر امبسادور) في فينا وقد دق التليفون وتحدث المتحدث بالانجليزية طالبا مني أن أذهب في الحال الى قهوة (موزارت) وهي قهوة عامة تبعد عن الفندق بعمارتين فقط • وقال المتحدث أن معه لي خطابا هاما جدا • عندما وصلت الى قهوة موزارت رأيت رجلا واقفا على الناصية ويبدو عليه أنه كان ينتظرني ولـكن عندما ابتسمت واتجهت نحوه استدار واختفى في الناصية •

دخلت القهوة وجلست ، وفي الحال شعرت بيد على كتفي ثم سمعت همسا (اسرع واتبعني !) استدرت له ولكنه كان قد خرج •

انه كان (فيتالي) وسيط (سوبل) الجديد •

جعلني أتبعه في الشوارع المظلمة مسافة خمس عمارات قبل أن يجعلني الحق به • وفي كل مرة بدأت أسرع الخطى أسرع هو الآخر وفي ناصية خالية ركب تاكسي كان ينتظره وترك الباب مفتوحا لاجلي • وفي اللحظة التي دخلت فيها التاكسي وجلست بجواره أسرع سائق التاكسي مباشرة •

سألته عن السبب في هذه الاحتياطات الشديدة فضم أصبعه على شفتيه ثم أشار الى السائق • وعندما وقف التاكسي وجدت أني مقاد الى محطة السكة الحديدية في المنطقة الروسية من المدينة •

بعد أن رأينا السائق وهو يغادرنا أخبرني (فيتالي) أنه أراد أن ينذرني بسرعة لان السفارة الامريكية في براج قد بدأت باهتمام خاص نحو جميع تحركاتي ثم قال :

(الافضل أن تحترس ، فان رحلتك السريعة الى موسكو ثم رجوعك منها

أوجدت لديهم الشك يا (ديجون) واينما ذهبت ستجدهم يراقبونك • وقد أصدر (كروتوف) تعليماته بألا تتقابل مع (سوبل) بعد اليوم حتى تنقشع سحابة الشك عنك تماما • وعلى كل حال اذا وصلتنا معلومات أخرى خاصة بك فسيتصل بك (ابرام) فى باريس ــ وعلى فكرة متى ستكون فى باريس ؟)

ــ بعد بضعة أيام •

فكر (فيتالى) برهة ثم قال :

ــ اذا كنت فى باريس فى ٢٠ فبراير فسر فى شارع الاوبرا فى الساعة الرابعة عصرا ، والا ففى اليوم التالى فى نفس الوقت ، والا ففى ٢٢ منه) •

ــ وأكدت لفيتالى أنى لست تحت المراقبة • فقال :

ــ أنت مخطىء فقد كان الامريكان يراقبونك طوال اقامتك فى براج ومعنى ذلك هو أمر واحد ــ ان أحد موظفى وزارة الخارجية فى الحكومة التشيكية كان يمدهم بمعلومات عنك • فسألته :

ــ وكيف استنتجت هذا ؟

فنظر الى نظرة الحسرة وقال (ما أسرع أن لاحظوا أن السفير (سيلين) كان يضغط على الحكومة التيشكية لاستعمال تصديقهم على الفيز الخاصة بك) •

كنت مخطئا ، فالولايات المتحدة قد استخدمت فتاة فى وزارة الخارجية التشيكية ، ومن ناحية أخرى فالشرطة السرية الروسية كانت لهم فتاة فى سفارتنا فى نفس المدينة ولم أعلم ما تم من أمر الفتاة التى تعمل للروس ، اما ضبطت بسرعة أو خدعت بمعلومات خاطئة دسها الامريكيون عليها ليخدع الروس بها •

لم أصل باريس قبل ٢١ فبراير وكان (جاك) يوالى طلبى تليفونيا كما علمت فى فندق رفاييل • طلبته تليفونيا فحضر الى حجرتى متجاهلا الموعد الذى حدده فيتالى لنتقابل فى شارع الاوبرا •

وعندما سألته عن هذا الاستهتار أكد لى أن (فيتالى) مخطىء فيما قاله عن انى مراقب من الامريكيين وكان هو قائما بمتابعتى بنفسه للتأكد من أن أحدا لا يراقبنى •

وأما ما حدث بالفعل منذ سرت مع فيتالى فى محطة السكة الحديد بالقطاع الروسى هو أنى أرسلت كلمات نقلت الى سفارتنا (الامريكية) كى لا يتبعنى أحد ·

سألنى (سوبل) عن كل مرحلة فى زيارتى لموسكو وبعد أن استمع الى القصة بأكملها قال لى بعض المعلومات منها كشف أمر (كلاوس فوخس) كجاسوس روسى فى لندن وقد أصبحت قصته فى الصحائف الاولى فى هذه الايام · وعندما سألت (جاك) عن هذا الموضوع استخف بالامر وقال (عندنا اثنان (كلاوس فوخس) آخران فى لندن) ·

وقال (جاك) أيضا ان كل فرد فى أفلام أرتكينو وهى وحدة عمل الافلام التى تمت تحت اشراف الحكومة السوفيتية ، هى معنا أى أنها تعمل كالجواسيس المزدوجين عند الحاجة ·

واعترف (جاك) بشكره لمعاونة (كروتوف) فقد كانت عنده كميات كثيرة من أحسن شعور الخنازير الصينية وقد نقلها اليه فى سويسرا لتباع فى باريس مرة أخرى فى السوق السوداء وجرى هذا بتهريب شعر الخنازير عبر الحدود ضمن الحقيبة الدبلوماسية ·

قال كذلك أنهم وفقوا فى عمل ترتيبات تسليم (ميرا) للنقود فى نيويورك من تجار السوق السوداء ، الا أنها كانت آتية مع ابنهما (لارى) فى الصيف وكان يجب أن ترجع فى الشتاء حتى يمكن لابنهما أن يتم دراسته هناك وكذلك لتحويل نقود السوق السوداء اليه فى البنك ·

مهما كانت صحة هذا الموضوع أو كذبه فلا أهمية له عندى ، ولكن ماهمنى هو أن (سوبل) كان يتقرب الى فى مودة أكثر فأكثر · وطلب منى مرة أن استعجل (كروتوف) ليرسل له أكبر كمية من شعر الخنازير ·

فوعد (كروتوف) بهذا عندما حدثته فى هذا الامر ولكنه لم يف بوعده فربما نسى أو ربما علم أن هناك سببا وجيها يجب من أجله ألا يحصل هذا الصديق القديم على كميات كبيرة من الشعر ·

وعلى كل حال لم تصل لجاك كمية الشعر الكثيرة التى تمناها ، والتى كان يعتقد أن شحنها اليه ستحسن حالته المالية ·

كنت أحيانا أشعر بالاسى من أجل (جاك) وقد تخيلت أني أرقبــه وهو يغرق في اهمالاته لاذنيه وقد كانت المصيبة في حالته هذه لا بد واقعة لانه اذا لم تقبض عليه أ م ج فسيقبض عليه اخوانه وقد اشتركت في الخلاص عليه باغراقه في الملذات والفنادق والمطاعم الفاخرة والى عالم المال ، ولهـذا زاغ بصر (سوبل) في هذا العالم الجديد ٠ لقد عاش قبل الآن ثلاثين عاما جاسوسا مخمورا كان يعيش ليومه ولم يجسر على التحدث بما في رأسه ولم يأمن على نفسه من أحد غير زوجته (ميرا) ٠

لم يترفع (سوبل) عن أن يدس لي أحيانا معلومات كاذبة كثيرة فهناك قصة خرافيـــة ظن أنه خدعني بها وهي أنه يستقي معــلوماته من كولونيل أشقر في القوات الامريكية التي تحتل المانيا فهو يزوده بالاسرار الكثيرة ٠ ومع ذلك لا يمكن التكهن متى قال الصدق ومتى كذب وهو كجميع الكذابين الناجحين كان يفضل أن يدس بعض الحقائق في كل قصة كي تظهر بمظهر القصة الصحيحة الصادقة ٠

ظل الروس ثلاثة أشهر يعتقدون أن الامريكيين يراقبونني حتى تيقنوا أخيرا بخطأ هذا الظن ٠ قام بعد ذلك جاك بسفرية الى موسكو وعندما رجع الى باريس هنأني وقال أني كونت لنفسي شخصية معهم في موسكو ٠

اعطوني في فينــا (بارول) جديدة فالوسيط الذي يقابلني سيبادرني بقوله (أنا مندوب أفلام آلمي) وعلي أن أجيب عليه بقولي (أهلا ٠ أريد أن أراك) ثم علي أن انتظر حتى يتم (البارول) فيقول (المستر فيتوس من روما معه رسالة لك) ٠ وقد لاحظت ن البارول يتضمن أجزاء من أسماء (فيتالي تشرنيافيسكي وكروتوف) فالحرفان الاولان من (فيتالي) هما الحرفان الاولان من (فيتاس) وأولا اسمي (فيتالي الفرد كروتوف) A ، M هما الحرفان الاول والثالث من Almi ٠

وأخبروني بهذا كي تساعدني على تذكر الاسماء٠ وعندما حاولت الحصول على تعليمات مكتوبة بدعوى أن (البارول) معقد جدا ولا يسهل على تذكره، رفض (فيتالي) أن يسلمني اياه مكتوبا ٠

واني موقن أن أ م ج يهمها جدا أن تحصل على هذه التعليمات مكتوبة بيد الاعداء ، ولكن لم أتمكن قطعا من تسلم هذه التعليمات مكتوبة ٠

فضل العميل السرى أن أضيع الوقت مهما طال فى تكرار هذا (البارول) كله وكان يقرأه على من ورقة رثة فى مساحة بوصة ونصف مربعة • وأحيانا كررتها عشرين مرة لابرهن على أنى حفظتها ثم طوى الورقة المكتوبة فيـا التعليمات فى طيات صغيرة وحرقها بعود كبريت بل وراقبها حتى تنتهى نهائيا •

أحيانا كان كل عميل من العملاء السريين يحمل قسما من الامر أو التقرير والباقى مع آخرين ولا يمكن ادراك معنى هذا الامر أو التقرير الا بعد جمع القصاصات بأكملها • ان للجميع مخابىء سرية لمثل هذه الرسـائل كجيب سرى فى الحزام أو حافة ضيقة محفورة فى عملة فضية أو مخبأ فى غطاساعة صغيرة ، وقد أورونى كل هذا عندما كنت أكتب من هذه الورقات شيئا •

ويمكننى أن أستخدم الورقالمفضض الموجود فى علب السجاير • وأحسن حيلة هى كتابة الرسالة على الورقة فى أسفل العلبة ويمكن لبعض جواسيس الشيوعيين أن يكتبوا بيدهم خطا دقيقا جدا (ميكروسكوبى) وبذلك يمكنهم أن يخفوا رسالة طويلة تحت طابع بريد أو طابع دمغة •

كنت بعد ذلك أعد فيلما روسيا عن حقوق الغرب فى (سقوط برلين) ولكن عندما تم اعداده نهائيـا ، تنحيت عنه وقلت أنه حشى حشـوا بأمور الدعاية وسيظن العالم أنى رجل دعاية روسى اذا وزعته فى الاسواق •

واهتممت أخيرا فى أحد أحسن الافلام الروسية (طفل الدانوب A Child of the Danube)الا أن المفاوضات أوقفت فى هذا الفلم أيضا وكان السبب فى هذه المرة هو ادخال الصبغة الشيوعية بشكل قوى •

وأخيرا اتفقت مع موسكو على أن أعد لهم فلما فى وقت آخر •

لم يحدث أى أمر هام حتى ٢٣ يونيه عندما أخذت موعدا مع (فيتالى) فى فينا • وعندما تقابلنا وتحدثنا كان عندى الشعور بأنه متوقع اشارة ، فجأة أوقف حديثه وساق العربة وأنا فيها فى طـريق متعرج الى شقة فى الدور الثالث من عمارة •

عندما اسـتقر مقامى حاولت الاحتجـاج بأن تأخـير مشروع التليفزيون والسينما يقع على المندوبين الروس ، فاكفهر وجهه وقال باستخفاف (لاتهتم بهذه الامور الصغيرة ، ستقوم حرب داخليـة فى أعظم منطقة حسـاسة فى

الشرق الاقصى فى بحر يومين) • وبعد ذلك بثمانية وأربعين ساعة تصفحت الجرائد فاذا بها فى الصحائف الاولى أخبار الحرب فى كوريا • وكان (فيتالى) أيضا قادرا على التكهن بوقوع اضطرابات اندونيسيا قبل حدوثها بعامين •

لاحظت فى صيف ١٩٥٠ أن (جاك) قد بدأ يقوم بأعمال تضايق جـدا فقد ذهب الى الولايات المتحدة بضعة أسابيع ثم عندما رجع الى فرنســا فى يولية حاول تهريب بضعــة خراطيش من الســجاير الامريكية الا أن رجال الجمارك الفرنسية ضبطوا السجاير وأخذوه الى حجرة صغيرة حيث قاموا بتفتيشه •

وكان السبب الوحيد فى أنهم لم يعثروا على الرسائل التى كان يحملهـا الى موسكو هو أنه كان قد خاطها فى بطانات البالطو والبنطلون •

وقد قال لى (أرأيت كم أنا مجتهد ؟) فقلت له :

ــ كنت مجتهدا أكثر لو أنك لم تجر وراء فرص دنيئــة فتحاول تهريب بضع مئات من السجائر •

وكما هى العادة عندما نغيب عن بعضنا جملة أسابيع أو أشهر ففى أول مقابلة بعد ذلك يقص على قصصا طويلة • والآن رجع الى قصة الكولونيل الاشقر وبدلها بقصة الكرملين الذى علم منه أن القيادة العليا الامريكية قـد وضعت خططها لاحتلال روسيا ، وأن مايتى ألف من الكوريين الشماليين قد دربهم الجيش الاحمر تدريبا كاملا كما أعد ترتيباته لتدريب نصف مليون آخرين منهم ، وأن القوات الشيوعية قد وضعت خطــة للقبض على الجنرال (ماك آرثر) ولكن هذا غرر بهم فغير جدول تحركاته فى ذاك اليوم •

وكان (جاك) نفسه ينتظر (مــيرا) لتلحق به بعد أسبوع أو نحوه مع باقى تقريره قبل أن يقوم بسفرية عاجلة أخرى الى موسكو وقال أن التقرير هام جدا حتى أن (بريا) نفسه والادارة السياسية سيقرأونه •

كان عند (جاك) كلام كثير يريد أن يقوله عن (جيك البــام) خلفــه فى رئاسة حلقة الجاسوسية فى أمريكا • فأولا أرادت موسكو أن يعمل (البام) فى دكان ثابت فى مانهاتان السفلى ولكن هذا رفض هذه الوظيفة الساترة وكان فى الوقت الحالى يشتغل فى مراعى يديرها أقاربه •

وقد شكا من أنه يعمل قليلا من أجل المبدأ ولكنه اقتنع بأنها أصعب كثيرا من أى شيء أن يعمل فى الجاسوسية فى الولايات المتحدة لان المنظمات المقاومة للجاسوسية قد أصبحت فى غاية المهارة وأن أ م ج قد طردت من أمريكا عميلا وهو (الاستاذ) الذى كان عادة جريئا وماكرا • (فالاستاذ) الذى لم يأخذ المسألة جدية ولم يحترس أصبح الآن فى كندا • ولكن (جاك) كان مطمئنا بأنه غير مراقب بل وأكد لى بأنه لا بأس عليـه من أى مراقبـة واستمر فى حركاته غير آبه بشيء بل وغير حريص • ففى هذا الصيف مثـلا اقترح أن نركب السيارة الى الفيلا التى أجرها فى (فيل ريفيل) فى الشاطيء الشمالى من فرنسا كمفاجأة لزوجته وابنه (ميرا ولارى) اللذين كان يتوقع وصولهما بعد أيام قليلة •

ولكن الصدمة حدثت لى عندما أخذنى الى الفيلا ورأيت فيها (زلاتوفسكى) وزوجته ـ فقد اشترك الزوجـان فى تأجير الفيلا لمـدة الصيف مخـالفين بذلك قوانين الشرطة السرية الروسية التى تحرم الاختلاط العائلى بين العملاء السريين ففى هذا الاختلاط خطر كبير •

ولكن (جاك) قال أن موسكو لن تعلم بهـذا وقد نظر الى نظرة شك ثم اتبع قوله (ما لم تخبرهم أنت بذلك) •

كانت هـذه أول مرة أقابل فيهـا زوج (جـين فوستر) وهـو (جورج زلاتوفسكى) وقد قال أنه حصل على رتبة الملازم الشرفية فى الجيش الامريكى وكان فى فرقة المخابرات فى فبراير ١٩٤٨ • عند ذلك نادتنى (جين) الى الحجرة المجاورة وقالت أن (جورج) كان فى حاجة الى عمل بسيط ، وبدونه لن يمكنهم أن يبقوا فى فرنسا وسألتنى هل من الممكن أن أجد له أى شغلة له ؟ وعدتها بأنى سوف أبحث •

وهذا الوعد أزعجنى مدة طويلة •

حدث أمر هام فى غضون الاسبوع الاول من يوليه عندما كنت فى فينا حيث ذهبت الى موعد مع (تشرينافسكى) فى المكان العادى وهو قنطرة قرب مدخل الملاهى، ولكنى وجدت زوجته دونه وكانت فى حالة عصبية ثم همست لى بصوت يتلجلج :

(لم يتمكن « فيتالى » من الحضور فهو يقوم بعملية هامة جدا يا «ديجون» فهل يمكنك أن تراه هنا فى نفس المكان بعد باكر وفى نفس الموعد ؟)

قلت : طبعا !

وفى اليوم التالى نشرت الصحف أن أحد المواطنين اليوغوسلافيين اختفى فى ظروف غامضة من قطار السكة الحديد بينما كان فى نفق فى القطاع الروسى من النمسا • وكان هذا ثالث يوجوسلافى يختفى فى مثل هذه الظروف • عند قراءتى هذا أدركت العمل الهام الذى أخر (فيتالى) وقد كانت هذه احدى سلسلة من المحاولات لاختطاف (تيتو) وقتله فهو الآن رئيس وزراء يوجوسلافيا وهو دائم يلعب (الكيكة) مع الكرملين فى مرة ثم مع الغرب فى أخرى •

بعد يومين ذهبت الى بادجستاين وهى مصحة فى النمسا معروفة ومشهوره بحماماتها المعدنية • وفى الاسبوع الاول قطعت أجازتى للذهاب الى فينا وأردت أن أخبر (فيتالى) أنى تضايقت من انتظارى لموسكو حتى تمول مشروع التلفزيون وكنت أيضا مستعدا لنسيان كل ما حول مشروعات السينما التى كنت اتفقت عليها مع مندوبى الافلام الروسية •

رجانى أن أكون صبورا أكثر من هذا قائلا (ارجع الى حمامك وابق فيه حتى يأتيك الخبر منى فانى سأتصل فى الامر مع كروتوف) •

وقال أنه سوف يبرق الى اذا جد جديد وسيوقع البرقية باسم (تشيرنى) واذا كان الامر موفقا فسيكون مضمون الرسالة (العقد معد) واذا أراد منى أن أحضر معى (سوبل) فستكون هناك جملة اضافية مضمونها (احضر شيئا معك) •

ثم سألنى (ولكن كيف ستتصل مع ابرام) ؟

عند ذلك اخطأت خطأ ذريعا فقد قلت (ان ذلك أمر سهل) وأريته برقية كنت قد تسلمتها فى التو وكان مضمونها أن (سوبل وزيلاتوفسكى) سيلحقان بى فى بادجستاين فى بحر أسبوعين وكان التوقيع (جاك وميرا وجين وجورج) •

عندما رأى (فيتالى) هذه البرقية ثار ثورة غضب وقال أن كلا منهم لا بد أن يؤدب ويعلم (أن من الخطأ الجسيم سفرهم دفعة واحدة ولكن الخطر الاكبر هو فى توقيعهم معا أنهم حاضرون ، علما بأنهم وقعوا بأسمائهم الحقيقية) ٠

رجعت الى بادجستاين وعندما وصل الاربعة زملاء كانت فى صحبتهم فتاة جميلة هى كريمة أحد خبراء السياسة الغربيين وقد فاخر (جاك) أن (جين) قد بدأت تجند هذه الفتاة واليوم قد تولى بنفسه أمر تجنيدها وقد قال بصراحة أن الخطوة الاولى فى تقديمها ستكون هى المرحلة المعتادة ، وهى الاغواء وهتك العرض وقال أيضا أن اما (جين أوجورج زيلاتوفسكى)سوف يواصل سفره الى سلزبورج كل يوم اليه حيث يختلط مع الضباط الامريكيين المقيمين فيها والحصول منهم على معلومات هامة جديدة فى كل سفرية ٠

لم أذكر لهم ثورة (فيتالى) ضدهم — الاربعة — من أجل برقيتهم وتركت هذا الامر لموسكو فى القريب ٠

فى ٢ سبتمبر بعد شفائى مباشرة جاءت برقية (فيتالى) وكان مضمونها (العقد معد ٠ احضر شيئا معك) ٠

كان جاك عادة متلهفا على أى موعد وفى أى مكان ، ولكنه فى هذه المرة كان يلح فى التسويف محتجا بأنه متخم بالاعمال المرتبط بها فى ميونيخ بشأن تجارة شعر الخنازير وسيضطر لالغائها فى آخر لحظة ٠

فسألته (بالله ماذا تريد منى أن أرد على (فيتالى) ؟ انى أعلم أنه يريد أن يسألك اسئلة كثيرة) ٠

ـ خذ (ميرا) معك الى فينا فهى بامكانها أن ترد على كل أسئلته فان من الضرورى جدا أن أقابل (كارل جيهارد) فى ميونيخ فهو الرجل الذى سيذهب الى كندا كمندو بلى ٠ وقل (لفيتالى) انى سأكون فى فينا بعد بضعة أيام كما أرجو أن تقول له أنه لن يكون لدى أى تقرير جديد جاهز له الآن) ٠ ثم قال يجب ألا يرسل لى مع ميرا الا رسالة شفاهة فقط حيث لا يحب لها أن يقبض عليها بتقرير مرسل معها) ٠

ولكن بدلا من (ميرا) فقد صحبنى مرافقى رجل أ م ج فى القطار المسافر من باجستاين الى فينا ٠ وعند وصولى الى محل المقابلة المعتاد فى الملاهى

وجدت (بتروف) بدلا عن (فيتالى) كما لاحظت جماعتين من الرجال ـ خمسة رجال ـ يحومون حـوله كأنهم رجال حرس · اختفى ثلاثة منهم فى الحـال ولكن لاحظت أن الاثنين الآخرين تبعانا ·

تأبط (بتروف) ذراعى وسار بى كأنه يقبض على مسجون · وقال :

ـ أين ابرام ؟

فقلت : ان (سوبل) تأخر فى المانيا لاعمال خاصة · ولكن هذا الرد لم يقنعه فشرحت له أنه تطوع بارسال زوجته بدلا عنه ولكنها وجدت ان (جين فوستر) مريضـة فى باجسـتاين فاضطرت أن تبقى (مـيرا) بجـوارها لتمريضها ·

فثار قائلا (با جستاين ! أتقصد أن تقول أنكم اجتمعتم كلكم هناك ؟)

وافقت لانى موقن أن فيتالى لا بد أنه أخبره عن هذه الحقيقة وأنه انمايريد أن يمثل على ليختبرنى· أخذنى الى نفس الشقة التىتعرفت فيها مع (فيتالى) وعنـدما كنا نسير أخذ ينفخ ويفأفىء لانى اتيت الى الموعد وأنا ألبس ربطة عنق صفراء فاتحـة اللون وقال بتروف (هـذا نزق زائد (طيش) · انه جنون) ·

ثم أخذ يزبد أكثر وأكثر من أجل الجماعة التى ذهبت فى عطلة السياحة معا وقد ثار لنقطة واحدة هى (أنت تكذب فى هذا · وقد تكون غبيا عندما تتقـابل مع الآخرين ، أما (جـاك) وهو رجل مجرب فكيف يأتى بهذه المسائل الجنونية ؟)

عندما ضقت بسماعى كلهذه البذاءة أريته البرقية التى وقع عليها الاربعة بأسمائهم ، وعندما قرأها ظننت أنه سيثور غضبا ولكن الذى حدث هو أن الجرح الطويل فى وجهه احمر احمرار الدم ·

بعد برهة سمح لى (بتروف) بأن أذهب ولكن بعد أن وعدته بأن أقابله فى اليوم التالى ظهرا فى نفس المكان · وقد حدث أنه عندما تركت الشـقة اكتشفت أن رجـلا يلبس معطف مطر من البلاستك يتبعنى ، وتبعنى اينما ذهبت فتضايقت بالطبع وبدأت ألعب عليـه بعض الحيـل ، فاخرجت علبة سجائرى وأنا أدخل أحد الشوارع وارفع البالطو على آذنى وأدنى حافةالقبعة

على عيني وأنظر الى هذه الجهة ثم الى تلك ثم اتسلل فى الشارع وأغطس فى كل بوابة لعمارة وكل زقاق كأنى أحاول أن أدمر المدينة باكملهـا • ظللت هكذا حتى مللت وبعد ذلك عندما رأيته ثانية صرخت فيه (أهلا بخيال‌الظل الملازم لى) ولكنه مع ذلك لم يمل من متابعتى كظلى •

عندما وصلت الى الموعد في اليوم التالى قابلتنى زوجة (فيتالى) وعندما استدرت وجدت ذراعى تحت ابط (بتروف) •

فهمس فى أذنى (سر معها كأنك تغازلها) • أطعت وأخذت اناجيها الغرام حتى وصلنا جميعا الى رقم ١٠ شارع وان هاوسر ستراس حيث كان (فيتالى) موجودا •

أخذونى الى حجرة صغيرة وتركنى الرجلان وطلبا منى الانتظـار حتى يرجعان • كنت من وقت لآخر أسمع وقع أقدام تمر على باب الغرفة ـ اقدام نحو خمسة رجال •

وعندما رجع (فيتالى وبتروف) أخذانى الى حجرة أكبر من هذه وثانية طلبا منى الانتظار حتى يرجعان ! وقالا أنهما سيتركان المنزل وحذرانى من أن أقترب الى أى نافذة كما نصحانى الا أفتح الباب مهما كانت الظروف •

عندما خرجا نظرت فى ساعتى فكانت ١٢٤٠ ، جلست فزعا ولم أتصور ما هو جار بعد ذلك وهذا بالطبع ما كانا يرميان اليه •

مرت الدقائق والساعات ثم رجع (بتروف) وحده أولا ثم كانت الساعة الخامسة عندما وصل (فيتالى) بعد زميله بدقائق •

ثار ثانية (بتروف) على ربطة العنق الصفراء وعندما ازداد حنقه أمسك بربطة العنق الزرقاء التى كنت البسها فى هذه المرة وهزها بعنف ثم شد الربطـة حتى كادت تخنقنى ثم تركنى بعـد دقائق • وقبـل أن أتمكن من استرداد أنفاسى بدأ ينتقد باقى ملابسى التى ألبسها وقال (انها زاهية جدا، أنها تدعو للالتفات من مسافات بعيدة • الا هذه الربطة الصفراء فهى تلمع عن بعد أميال) ثم ثار ثانية على اجتماع (سوبل) مع زملائه فى باجستاين•

وقبل أن اتركهما أخذ يحاضرنى كى أقدم بنفس آرائى من أجل المذهب وقال (لك أصدقاء مشهورون ولكنك مع ذلك لا تقل لنا عنهم أى معلومات• لا يمكن أن تنتظرحتى تقع حاثات جسام‌فتخبرنا بها بل نريد منك أن‌تخبرنا

عن الامور التوافه أيضا • أنت لم تخبرنا أبدا عن الامور التى تهمنا مثـلا كيف يمكن للمواطن الامريكى أن يستخرج فيزا عادية للسفر من باريس الى فينا • ألا تعلم كم يهم بعض رجالنا أن يعرف (ايرنست هيوزرمان ؟Ernest Heusermann) أريد منك أن تعرفه به •

و (هيوزرمان) هو الضـابط الرقيب الامريكى (على الافلام) المختص بالجيش الامريكى فى فينا وكان أخيرا المسئول عن مسرح جوسيف ستادفيها • وكانت فكرة (بتروف) فى ادماجه فى الحلقة فكرة مضحكة تستدعى السخرية • فهيوزرمان رجل اذا حاول شخص أن يسيطر عليه لقذف به دون رحمة ولكن مع ذلك وعدته بالاتصال بهيوزرمان خشية أن يخنقنى ثانية برباط الرقبة •

كذلك عين لى (بتروف) عمليتين أخريتين فى ذاك اليوم ، الاولى عادية وهى أن أذهب الى بلغراد عاصمة يوجوسلافيا واكتب تقريرا عن الرأى العام فيها من ناحية الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وكما علمت أخيرا كان لهذا الاجراء علاقة بالخطة المقبلة وهى قتل الرئيس (تيتو Tito) •

فهم يحاولون وضع رأيهم النهائى عمـا اذا كانوا يتمتعون بسمعـة ومحبة بين اليوجوسـلافيين حتى لا يقعون فى مأزق اذا ما قتـلوا رئيسهم وعرف أنهم هـم قاتلوه • أو ربما أرادوا أن يعرفوا هل هنـاك أدلة كافيـة لادانة الامريكيين فيثيرون الجو ضدهم عن حادث القتل • ومن المحتمل جدا أنهم انما أرادوا أن يختبرونى فيروا هل يمكننى أن أجمع وأنقل اليهم معلومات دقيقة •

والعملية الخداعيـة لى لقيامى بهـذا المطلب هى أن أحـاول أن أبيع الى يوجوسلافيا حقوق فلم Carnegie Hall وأفلام أخرى • وقد ظن أيضا أن هذه العملية الخداعية ستمكننى من الاتصال بالناس الذين يعرفون الرأى العام حق معرفة وهم موزعو الافلام وأصحاب السينما ومديروها وربما أيضا رجال الصحف •

والمطلب الثانى يمكننى أن أقوم به فى التو وهو محادثة (ميرا) تلفونيا فى باجستاين وقد قلت (ان تجار شعر الخنازير يتلهفون على مقابلة (ابرام) فى فينا ، فاذا حضر الآن فسيطلبونه تلفونيا فى فندق الكورن بعد ساعة من وصوله وسيستعجلونه) •

طلبت (مـيرا) تلفونيا وسألتها عن جاك فردت بأنه لا يزال فى المانيـا ووعدت بأنها سترسل اليه برقية •

تقابلت مع (بتروف) بضع مرات أثناء وجوده فى فينـا ، وفى كل مرة كان ينهى حديثه بمحاضرة ـ فى مرة عن ضرورة صيرورتى (متآمر ذو ذمة أكثر من هذا) ، وفى مرة أخرى يؤنبنى مدة ثلاثين دقيقة لانى جئته متأخرا مدة عشر دقائق فيؤكد لى أن (الدقة فى المواعيد محتمة) كذلك كان يستمع الى وأنا أكرر له مرارا كلمات البارول (كلمات السر) ـ وهى (أفلام آلى ـ مات الجنرال فى الفجر ـ) وفى آخر مقـابلة معـه طلب منى أن أسافر الى باريس حيث سآخذ تعليماتى النهائية فيها ولكن هـذه المرحلة كشفت عن مناورة كى اترك فينا قبل وصول (سوبل) ٠

وكان (بتروف) يرمى الى اجراء أكبر لعبة فى حياته الجاسوسية بمساعدة (جاك) وهى الحصول على معلومات قضى الكرملين سنوات للحصول عليهـا وهى الحصول على أرقام انتاج القنابل الذرية فى الولايات المتحدة مع معلومات مختصرة أخرى عن محل تخزين هذه القنابل الذرية ٠

وكان الحصول على هذه المعلومات الحيوية جدا عملية يقوم به رجل وزوجته لم أقابلهما أنا أبدا ٠ واذا ما صدق (سوبل) الذى أخبرنى بهذا الامر فيما بعد فانهم كانوا يعملون من أجل هذا أعواما طوالا بالقرب من لوس الاموس وبعض المؤسسات الاخرى الخاصة بالطاقة الذرية ٠

وقال جاك أن الرجل كان عالما فى الطبيعة النووية وكان معه بعض الصور عن المولدات ٠ فاذا كانت الوثائق والصور فى غاية من الاهمية كما اعتقد (بتروف) فان ايصالها الى موســكو سيكون من أنجح ضربات الجاسوسية السوفيتية وسيستحق لذلك الترقية وقد يصبح الكولونل سوبل ـ الجنرال سوبل ٠ لذلك أراد (بتروف) ابعادى وابعاد جميع الجواسيس الروس من فينا فى الوقت الحاضر وبذلك يبعد رفقاءه الحســاد حتى لا يشاركونه فخر هذا المجد ٠

ولكن فى ٢٣ سبتمبر عندما قابلت (سوبل) فى باريس عاتبنى لعــدم اخلاصى حيث تركت فينـا قبل أن يصلها هــو ٠ ولـكن عندما أخبرته أن (بتروف) أمرنى بالسفر حالا الى باريس نعت زميله فى الجاسوسية الروسية بنعوت (شتائم) مختلفة بلغات مختلفة ٠

فشل (جاك) فى مقـابلة (بتروف) فى ثلاثة مواعيد متتالية فى فينـا وكان هــذا قد أحضر معه وثائق وتقارير فى غاية من الاهميـة وكان يريد تسليمها اليه ٠ وقد قال (جاك) أنها تتضمن أعمال بضعة أشهر قام بهـا

أكثر الجواسيس الروس جهدا في حلقة الجاسوسية العالمية • ولو أنه لم يثق في أن يكشف لى عنها في ذاك الوقت ، فقد عرف أخيرا أنهـا الوثائق التى أعطت الروس القصة الحقيقية بل أول صورة واضحة عن انتـاج الولايات المتحدة للقنبلة الذرية •

وقد وقف (سوبل) في ضنك شديد في الليلة الاولى تحت المطر منتظرا وصول (بتروف) ليريه الوثائق الحيوية الخطيرة • ومن غير المفروض عليه أن يطلبه تليفونيا ـ سواء (بتراوف) أو غير بتروف •

ولم يجرؤ على الرجوع الى غرفته بالفندق ومعه هذه الوثائق ، فاذا ما كان قد قبض على (بتروف) فمن المعقول جدا أن تكون الشرطة فى انتظاره فى الفندق •

وعادة يحصل فى مثل هذه المواقف أن يعدم الجاسوس هذه الاوراق وكل ما هو معه وقتذاك ولكن هـذا الموقف لم يكن عاديا فهـذه الوثائق لا يصح اعدامها أو حرقها بهذه السهولة •

فى النهاية بعد أنطال وقوفه تحت المطر تحدث تليفونيا الى (تشرنيافيسكى) الذى وصل فى الحـال وخلصه من هذا الحمل الثمين واتفق معـه على سرعة المقابلة مع هذا العضوالغائب في الليلة التالية ولكنهلم يظهر كذلك في الليلة التالية واتفق على موعد ثالث ولكنه أيضا لم يحضر فى هذا الموعد الثالث •

اعتقد (سوبل) أن (بتروف) أما أنه توفى أو أسره العدو ولكن فىأحد الايام ـ بعد ذلك بأسبوع ـ رجع (بتروف) الى فينـا وقد بدا عليه البلى والانغماس فى الملذات ، وقـد عرف بعـد ذلك أن هـذا الرجل الذى كان يتظاهر بالتمسك بأهداب الضبط والربط قد انساق فى لعبة قذرة ، فانه عندما كان فى فينا مستعدا للقاء (سوبل) سافر الى براج لزيارة صديقة له والتصق بها فى حجرتها يشرب ويشرب كالبحار المجنون ورفض أن يسمح لها بارتداء ملابسها أربعة أيام بلياليها •

وعندما رجع أخيرا جدا الى فينا وقـد غارت عيناه وبدا عليـه السقم من اسرافه الجنسى أخذه (سوبل) فى القطاع الروسى وطلب اليه أن يتحدث تليفونيا الى (فيدوتوف) ليعترف له بفجوره الذى لا يغتفر • وهـذه هى طريقة رجال الشرطة السرية فى النقد النفسى والاعتراف بالذنب • ولـكن

بالنسبة الى أنا فالبلوى هى أن هذا العميل الجاف بعد أن ابعدنى عن المدينة بمناسبة نقل هذه المعلومات الخطيرة كان هو أيضا قد ابتعد عن نفس المدينة عند وصول هذه الهدية الثمينة الخطيرة .

كان هناك سبب آخر لكراهية موسكو لسوبل ، فمهما كانت مكافأته التى يتوقعها لاحضاره هذه المعلومات السرية عن القنبلة الذرية فهو لم ينلها أبدا. كنت أعجب أحيانا عندما أنظر اليه ، وأنا أتذكر هيئته اللزرية فى ملابسه الرثة وهى نفسها التى رأيتها عليه فى أول اجتماع لنا منذ ثلاث سنوات ، مما أوضح شخصيته . ولكنه الآن أصبح شيئا آخر وعلى الاقل فى تقدير قيمة نفسه فقد أصبح المال يسيل كالماء من مصنعه وكان يعيش فى باريس عيشة الملوك وقد انتفخت هيئته كلما سار معى فى الفندق أو المطعم وقد قدمته الى بعض مشاهير نجوم هوليود وكتاب القصص البارزين أو رجال السينما العالميين . فصديقى وربما شريكى المستقبل فى العمل ، أمكنه أن (يتمسح) فى كبار الشخصيات فى عالم السينما والمسرح ولو أنه يخدم المبدأ الذى يدين به لترقية الشيوعية الدولية وقد كان هذا مما سبب اصابته بالدوار .

وكل هذا أيضا شحذ من رغبته فى فرض أهميته على أنا بالذات فقد حاول أن يقوم بهذا بتفاخره فى نجاحه فى عملية شعر الخنازير ، ولكن هذا لم يأت بنتيجة . فحاول مرة أخرى باعطائى قليلا من المعلومات عن عملياته فى مجال الجاسوسية ، وقد نجح فى هذا والسبب أن ذلك خدمنى فى أغراضى أنا بالطبع فقد تظاهرت بأنى تأثرت بذلك وانى اعتبره متعمقا فى الجاسوسية الدولية .

طلبت منى أ . م . ج الا أضيع الوقت بل لا بد من التحايل على (سوبل) لمعرفة شخصية الزوج والزوجة اللذين ذكرت عنهما فى تقاريرى (الزوج الذرى) .

واذا كنت قد نجحت فى الدخول فى هذا الموضوع مباشرة فذلك لان (جاك) لم يبطل الحديث عن فظاظة (الهلفوت الشرير بتروف) وقد أخذ يكرر أن (ليونيد) لم يكن فظا معى ومعه فقط بل ومع (ميرا ولارى الصغيرة) بل وكل شيوعى هام وربما أهمهم فى وسط أوروبا .

كنت متلهفا على سؤاله عن موضوع (الزوج الذرى) ولكنى قاومت نفسى فلن يمكن ايقاف حديثه فى عصبيته ولذلك انتظرت طويلا .

قال لى يوما (ان هذا المليونير قد رفض أن يتحدث مع (بتروف) فاتصل تليفونيا مع موسـكو ليشكو فظـاظة (بتروف) وعلى ذلك ارسلوا اليـه (تشرينافيسكى) ليتصل به ٠

وهكذا اعتـاد (جاك) أن يقربنى قليـلا قليلا من معرفة شخصية هـذا المليونير الموالى للشيوعيين ٠ وقال مرة أن هذا الرجل ولو أن عائلته من أغنى العائلات الارستقراطية في النمسا الا أنه مخلص دائما للشيوعية ٠ وفى مرة أخرى وصفه (سوبل) أنه صديق قديم له وقال أنه زامله فى جامعة ليبزج وبالنسبة لتقلبات السياسية فى الربع قرن الاخير فقد هذا الصديق المليونير ملايين من الدولارات فى مشروعات مناجم الفحم التشيكية ، ولـكنه استرد هذه الخسائر واضعافها ودخـل الآن فى مشاريع احتكارية فى جميع دول البلقان ٠ اعتقدت الآن من حديث (جاك) أن هذا الرجل المليونير له علاقة وثيقة بالزوج الذرى ٠

واخبرتنى أ م ج أنهم يطلبون منى جميع المعلومات التى يمكننى الحصول عليها عن الثلاثة أشخاص وكان هذا أكبر طلب يطلب منى حتى اليوم ، وكانت عقدة كبيرة أخذت منا وقتا طويلا حتى نحلها ٠

الباب العاشر

اصبت (بوتقة) جاك للجاسوسية

كان ملك المناجم المليونير هـو زميل (جاك سوبل) فى الـكلية ويعمل جهده فى الجاسوسية وقال لى (جاك) عند توديعى فى سفريتى الى بلجراد أن معظم الاحرار في يوجوسلافيا كانوا زملاءه فى جامعته ليبزج منذ ثلاثين عاما وذكر لى يوما أسماءهم وطلب منى أن أعلمـه بما حصل لهؤلاء الزملاء القدامى منذ أن انقطعت صـلاته بهم ، وقال أنه يهتم بصفة خاصة بكل من هاجر منهم الى الولايات المتحدة وكانوا يعملون فى السفارة اليوجوسلافية أو قنصلياتها أو الادارات الاقتصادية فيها ٠

سافرت الى بلغراد فى ١١ أكتوبر ١٩٥٠ على الاكسبريس ٠ وقد قال لى (جاك) قبـل أن يقول (مع السـلامة) مباشرة أن فكرة موسكو عنى بأنى مليونير تكلفنى كثيرا (فهذه المرة يجب أن تعمل شيئا كنت قد بدأت به منذ مدة طويلة مضت وهى أن تخبرهم فى موسكو عن كل مصاريفك فى هـذه السـفرية بل ويجب أن تقـدم فاتورة عن الخمسماية دولار وهى الايجـار الشهرى الذى تدفعه عن مكتبك فى نيويورك واذا لم يدفعوه لك سأدفعه لك أنا ولو أنى ادينهم بمبلغ ٤٨٠٠ دولارا حتى اليوم) ٠

يقضى الانسـان يومين فى القطار بين باريس وبلغراد وقـد وصلتها فى التاسعة صباحا وقد حجز لى (بوتنيك) بمكتب السياحة اليوجوسلافى محلا فى الدرجة الاولى بفندق موسكوفا ٠ وتناولت طعامى كلما شئت فى المطعم الممتاز ببلغراد ــ مطعم ماجستيك ــ ولا يوجد طعام يؤكل فى أى محل غيره، وحجز أيضا (بوتنيك) تذاكر للاوبرا والمسارح والافلام طوال الخمسة أيام التى قضيتها فى المدينة ٠ وقـد قضيت معظم وقتى مع رجال الافلام بقطع النظر عن التعليمات التى املاها على (سوبل) ٠

ولم يعجب تقريرى موسكو فالامريكيون كانوا محل محبة كل من حادثته في بلغراد ، أحبوهم واحترموهم ولم أجد أى عاطفة مماثلة نحو الروس ٠

غادرت بلغراد بطائرة يوجوسلافية الى زيوريخ ثم ركبت أخرى الى فينا ٠ وعند وجودى فى غرفة الانتظار بالمطار لهذه الطائرة الثانية عانيت كثيرا من فصد أنفي فارسلت شيالا ليحضر لى الشنطة التى كانت تحتوى على مناديلى ٠ ان هذا الحادث يصور لنا الشذوذ الذى يتصرف بها الشيوعيون المثقفون : ففى اللحظة التى حدثت فيها (فيتالى) عن مسـألة الشنطة طلب منى كل تفاصيل الحـادث ! ثم سألنى (كيف بالله تأتي بعمل كهـذا ؟ أنت تعنى أن تقول أنك رشوت الشيال فاحضر لك الشنطة من وسط العفش الذى كان معدا لطائرة فينا ؟)

أجبته : أنا لم ارش الشيال يا فيتالى بل اعطيته هبة (بقشيش) فقال :
ـ هبة أو رشوة ـ كلهما سواء ٠

وبما أنى أعرف أنه من المستحيل اقناع أى شيوعى أن هنـاك فرقا بين الهبة وبين الرشوة ، حسمت الموضوع وبدأت أدرك أن فى عالم الجاسوسية كالذى يعيش فيه (فيتالى) لا توجد هبات من الاثرياء (الرأسماليين) بل كلها رشاوى ٠ والمشاهد أن السبب فى هذا أنهم لا يثقون ببعضهم البعض فكيف يثقون بالاجانب وهم أعداؤهم ؟

ولو أنى أحببت بلغـراد الا أنى لم أحب طعـامهم الا ما ذقتـه فى مطعم ماجستيك ٠ وعند رجوعى الى فينا شعرت بعسر هضم عدة أيام ولم أشف منه حتى ٢٢ أكتوبر فامكننى عندئذ أن أقابل (فيتالى) فى سينما جوهان ستراوس فى التاسعة صباحا ، وكانت معه زوجته عندما قابلته فأخذانى الى شقتهما فى رقم ١٠ شارع دان هوسرستراس فى الشقة ١٥ ٠

ولـكن عندما بدأت اخبر (فيتـالى) عن قصتى اسـكتنى بفظاظة وقال (يجب أن تكتب هذا ، فكل من فى موسكو ينتظر أن يقرأ كل ما شاهدته فى بلجراد) ٠

اجلسنى الى طاولة صغيرة عليها قلم حبر وعشرين قلم رصاص مبريين اليوم ورزمة من الورق ، وطلب منى أن أضمن التقرير هذه المراحل :

١ ـ السفرية مع تفاصيل اجراءات الجمارك بأكملها ٠

٢ ـ الاشخاص الذين تقابلت معهم وان أمكن عنواناتهم وجنسياتهم ـ كل على حدة ٠

٣ ـ مسلك كل منهم نحـو الاجانب وخاصة سلوك اليوغوسلافيين مع الامريكيين ٠

٤ ـ عواطف أي منهم نحو موسكو وأسماء هؤلاء الافراد ٠

٥ ـ هل كنت آمنا على نفسى فى الخمسة أيام التى قضيتها فى بلغراد ؟ وهل لاحظت أى ريبة نحوى ؟ وهل كنت مراقبا ؟ وهل كنت متبوعا بأحد ؟ هل أعاود السفرية اذا طلب منى ذلك ؟

تركنى (فيتالى) ومعه زوجته بعـد أن حذرنى الا أفتح البـاب أو أدير الراديو أو أحدث أى صوت ، ثم رجعـا فى الساعة الثانية ظهر ومعهما ساندوتشات وقهوة ساخنة ثم تركانى ثانية ورجعا فى السابعة مساء ٠

كتبت سبعين صفحة كاملة ثم طلب منى فيتـالى أن أرجع اليـه فى اليوم التالى ليسألنى بضعة أسئلة بعـد أن يقرأ التقرير على أن أحضر الى الشقة مباشرة فى هذه المرة ٠

وفى اليوم التالى شكرنى (فيتالى) على التقرير ولكنه قال أنه آسف لانى اختلطت ببعض الروس البيض فى بلجراد ، وقال أن جميع الروس البيض لا يوثق بهم وهم خطرون ٠

ولم يهتم بشىء فى تقريرى أكثر من اهتمامه بحادث مطار زيوريخ فطلب منى للمرة الثانية أن أذكر كل تفاصيل الحادث ـ فهل تركنى الشيال فعلا لوحدى عندما فتحت الشنطة ؟ فشرحت له أنى طلبت منـه أن ينتظر حتى يأخذ الشنطة الى غرفة العفش المسافر ٠ ثم هل أدار الشيال ظهره عنـدما فتحت الشنطة ؟ فقلت له ان أنفى كان فاصدا فلم انتبه اليه وقتذاك ٠ عند سماعه هذا أخذ ينقنق كما تنقنق الدجاجة على كتكوتها المتخلف عن باقى الكتاكيت ٠

كذلك تعجب هذا الجاسوس الروسى من أنى قابلت بعض القسس فى أثناء الرحلة ٠ واضـطررت أن أشرح له أنهم كانوا فى طريقهم الى روما لحضـور اشهار مذهب العقيدة بمريم العذراء ٠ ثم اخطأت فذكرت أنى أعرف أحد هؤلاء القسس وهو الاب (ميكس) وهو من أقارب النجم الشهير راعى البقر (توم ميكس) ٠

أخذ يسألنى (فيتالى) نصف ساعة عن الاب (ميكس) ولو أنى أكدت له أنى لا أعرف عنه شيئا . ثم سألنى هل أظن أن صديقي الكاردينال (سبلمان) سيحضر هـذا الاجتماع الكبير في روما . فقلت له أن نيافتـه لم يعتد أن يستأذننى عندما يريد أن يسافر للخارج ! وعند استعدادى للخروج سألنى (فيتالى) عن مقدار المصاريف التى تكلفتها فى هذه السفرية .

فقلت له تكلفت السفرية ٧٨٠ دولارا فطلب منى بيانا مفصلا عنها وعندما قابلته في اليوم الثانى فى مطعم لندنكيلر تحدثنا باللغة الالمانية كطلبه والحاحه بعد أن كنا نتحدث بالروسـية فى مقابلاتنا السـابقة وقال أنه ابرق الى (فيدوتوف) بخصوص استعجال مبلغ الـ ٣٥٠٫٠٠٠ دولارا التى وعد بها لمشروعنا الخاص بالتلفزيون وأنه منتظر افادة أخيرة عن ذلك فى الايام القليلة التالية .

قدمت الى (فيتالى) بيـانا مفصلا عن المصروفات كطلبـة فقـدم لى مبلغ الـ ٧٨٠ دولارا وكانت معه وقتذاك وكان كله عبارة عن حوالات قيمة كل منها ٢٠ دولارا وملفوفة كلها فى ورقة بنية وطلب منى توقيع ايصال بالاستلام . وبهذا التوقيع عن استلام نقود منهم يمكنهم الآن أن يتساهلوا معى اعتقادا بأنهم وضعوا أيديهم على . وكان هذا الاعتقاد فى صالحى كما هو فى صالح أ . م . ج .

قبل هذا الحين كنت قد أخبرت (فيتالى) أنى سـوف أرجع الى الولايات المتحدة فى الشـتاء فطلب منى أمرين فى هـذه الرحلة : أولا أن أجد عددا يتراوح بين عشرة وعشرين من الامريكيين الموثوق بهم والمحبوبين فى الولايات المتحـدة كى يأتوا فى جمـاعة الى موسكو . وهؤلاء الامريكيون ذوو النفوذ سوف يرون بأنفسهم أن الروس يريدون السلام فعـلا . وصمم (فيتالى) على رأيه بأن الشيوعيين كانوا يريدون اجراء اتفاق على مفاوضات مع دول الغرب وقال (نحن لا نريد أن نتحدث الى التقدميين المضحكين منـكم ولكنا نريد أن نفاوض الناس الذين يمكنهم أن يذهبوا الى وطنهم فيقنعون الامريكيين ان آخر شيء يطلبه الكرملين هو اشعال حرب عالمية أخرى) . وقد استمعت الى هـذا الطلب مئـات المرات من أفواه غـيره من الشـيوعيين الرسـميين والجواسيس .

وانى مقتنع أنهم فعلا أرادوا السلام ولا يزالون يريدونه وعلى الاقل طيلة العشرين أو الثـلاثين عاما التى يحتاجون فيهـا الى اعادة بنـاء ما اكتسحته وخربته جيوش هتلر النازية من زراعاتهم ومصادرهم الاخرى ، ثم بعد ذلك

سوف تختلف القصـــة لان قادتهم لا يظهرون أى بوادر عن أنهم يتنحون عن حلمهم بغزو العالم وتدميره • ولـكن كما يقول كثيرون من محبى السلم ، يمكن حدوث أى أمر فى العالم خلاف الحرب طيلة مدة عشرين أو ثلاثين عاما•

كان الطلبالثانى الذى طلب منى هوالاتصال بقدر ما يمكننى (بالكردينال سبلمان Cardinal Spellman) وبعض الشخصيات الامريكية الاخرى ومن ضمنهم صديقى القديم (الدكتور توماس كييث جلينان Dr. Thomas Keith Glennan الذى ضمه أخيرا الرئيس ترومان الى اللجنة الثلاثية للطاقة الذرية • وبما أن هذا كان سرا فقــد عين الدكتور (جلينان) مديرا لادارة الفنون الجوية القومية وادارة الفضاء أو (مدير الفضاء) كمـا سمته الصحف Space Boss •

كان (جلينمان) مدير استديو في باراماونت في الاعوام التى كنت أدير فيها مصلحة الموسيقى فكيف عرفوا أننا كنا أصدقاء حميمين فى تلك الايام؟ ان هذا فى غاية من الغرابة وقد عجبت عندما أخرج (فيتالى) قصاصة من صحيفة نيويورك تايمس تتضمن تعيين (كييث) ثم سردت تاريخ حياته • طلب منى أن اتحرى الخطط السياسية الجديدة لرئيس لجنة (الطاقة الذرية الجديدة A E C, Atom Energy Commission) ثم حالته المالية الشخصية كذلك يجب أن اتحرى بالطبع عن فضائحه القديمة فى حيــاته وهل كان مدمنــا للخمر مثلا ؟ هــل كانت له عشيقة ؟ ومن كانت ؟ وماذا يعرف عن سكرتيرته ؟ وهل كان (كييث) أمينا ؟ وهل من الممكن ارشاؤه ؟ وأكد على (فيتالى) أن أحضر له ما يسهل التشنيع على صديقى القديم فذلك ســوف يرفع من روح سعادة رؤسائنا فىموسكو فأجبته بأن هذا طبعا مفهوم جدا •

أعطانى أيضا بعض كلمــات السر الجديدة وحذرنى من كشفها (لجــاك سوبل) لانها خاصة بى فقط• وقد خول لفيتالى أن يسلمنى ٥٠ر٠٠٠ دولارا نقدا اذا احتجت الى بعض المال لمشروع التلفزيون ولكن بعد انتهاء الحديث اتفقنا سويا على ارجاء هذا حتى يتم المبلغ بأكمله •

وقد تضايقت موسكو منهذا ، فلم تعتد الشرطة السرية أن ترفض المبالغ التى تقدمها نقدا الى عملائها السريين • فقد أرادت أ م ج أن اظهر بأنى صيد ثمين بعيد عن اغراء المال من الجبهتين • هذا هو بالضبط ما أرادته •

بعد رجوعى الى باريس الح (ســوبل) على فى أن أجــد عمــلا (لجورج زيلاتوفسكى) وقال أن (جورج) كان يقوم من آن لآخــر فى هــذه الايام

بسفريات الى بوردو وفونتنبلو لمعرفة كمية العتاد العسكرى الآتى من الولايات المتحدة لذلك كان من الامور الهامة لخدمة الشيوعية أن يحصل على الوظيفة ليحصل على أوراق العمل ٠

فكرت فى المسألة بضعة أيام ثم أخبرت (سوبل) أنه اذا اشترك (جورج) فى احدى شركات الافلام المحلية بمبلغ ٥٠٠٠ دولارا فقد يعينه رئيس الشركة مساعدا للمدير فى مسرح الشركة بباريس ٠

وقد حصل (زيلاتوفسكى) على الوظيفة ولو أنه اشترك بمبلغ ٣٩٠٠ دولارا فقط ولكن لسوء الحظ أن مدير المسرح كان رجلا جادا حازما فى حين أن (زيلاتوفسكى) كان رجلا لا يمكنه أن يمسك لسانه فكان دائما يعارض رئيسه فى آرائه وكان الاثنان فى تشاحن دائم على الامور السياسية واضطر (زيلاتوفسكى) أن يتنحى عن هذه الوظيفة بعد بضعة أشهر مع أنه حصل عليها بعد كل جهد ٠

ومما عقد الامور أكثر من هذا أن زوجته (جين) جاءتنى بعد أن ترك هو وظيفته بقليل وقالت أنها حامل ، وقالت أنه ابن (جورج) ولكنها لا تريده فقد كره أهلها فى كاليفورنيا (زيلاتوفسكى) وعارضوا فى زواجها منه بشدة وهى تخشى أن يزداد كرههم لها اذا وضعت منه طفلا ٠ و (جين) كانت مدمنة على الخمر واعترفت أن (سوبل) وعدها باجهاضها ٠

وفجأة قالت أنها تخافه خوفها من الموت فقد ضربها كثيرا وآذاها٠ وكانت صادقة فى شكواها فطالما أخبرنى (جاك) بنفس هذا الحديث وقال أنه ضربها كما ضرب غيرها من النساء من وقت لآخر ليخضعهن له وللمذهب الشيوعى!

فى أواخر ١٩٥٠ ابحرت أنا و (كاترين) الى نيويورك على السفينة (كوين مارى) وواصلنا السفر بالقطار الى هوليود ولكن بعد أكثر من شهر بقليل رجعت الى أوربا ثانية من أجل مصلحة العمل ٠ لم أقم بعد بما طلبه منى (فيتالى) وعزمت على أن أقول له بأنى سأتم ما طلب منى فى سفرية أخرى لامريكا وستكون قريبا جدا ٠

كنت فى هـذه المرة وحدى دون (كاترينا) زوجتى وبالاحـرى لم أكن متضايقا فقد فضلت هى أن تبقى فى كاليفورنيا وقد كان من الصعب جـدا آن استغفل الروس وغيرهم من أصـدقائى دون أن تلح على (كاترينا) فى السؤال عن سبب اجتماعى بهؤلاء الناس الخطرين ولذلك فضلت أن أذهب الى أى مكان بدونها ٠

وفي هذه المرة عندما كنت في هوليود وصمت بأني شيوعي حتى أن أصدقائي الاقربين قد اشمأزوا مني ومن لم يشك منهم في أني جاسوس روسي اعتقد يقينا أني على الاقل موال للروس وميال اليهم • واعتقد البعض أني لا بد ساشارك (العشرة شيوعيين في هوليود Hollywood Ten) مصيرهم ، وهم الذين أرسلوا الى السجن حديثا لانهم رفضوا الافصاح عن علاقتهم بالحزب الشيوعي• وكان من المؤلم أن أسير في المطعم فأجد أصدقائي القدامى يديرون وجوههم الى الناحية الاخرى كما كان من المؤلم أن أصدم برجل كان لي فضل عليه في العمل وأجده يرفض أن يلتفت الى يدي الممتدة اليه لتحيته • وكتب بعضهم الى أ م ج ولجنة التحقيق بمجلس الشيوخ Senate Investigating Committee عن علاقاتي المريبة مع موسكو •

كل هذا جعلني لا احفل من تركي هوليود وعلى الاقل حتى تظهر الحقيقة وكنت تواقا للوقت الذي تظهر فيه هذه الحقيقة ، فقد امتدت عملية مقاومة الجاسوسية التي أقوم بها أكثر مما كنت اتوقع •

عندما قابلت (جاك سوبل) بعد ذلك في فينا وجدته في حالة عقليةفزعة وكان عصبيا حتي أن البتور قد كست جسمه وقال لي أن كل فرد في جماعته قد انفصل أو كاد ومن هؤلاء دكتور روسي المولد يعمل طبيبا في سجن أمريكي •

وقال بنبرة حزن شديدة (ومن العجيب أن هذا الرجل يحمل وسام لنين)! كذلك ذكر شقيقين عرفهما وكلاهما أمريكيان محايدان ، أحدهما عاش في نيويورك والآخر في باريس وكان كلاهما أعضاء في شبكته الجاسوسية في أوقات مختلفة • وكان كلاهما والدكتور شيوعيين صميمين طوال حياتهم والآن يرفضون التعاون معه •

الآن نتحدث عن صعوبة ايجاد عمل (لزيلاتوفسكي) كما حاول(جورج) أن يجد له عملا مع القوات العسكرية في فرنسا ولكنه فشل وقد اعتبر (زيلاتوفيسكي) هذا ظلما حيث أنه كان ضابط شرف متقاعد •

كان غضب (سوبل) الحقيقي هو ضد رجال موسكو ، فبعد أن أمدهم بالمعلومات القيمة ــ ولم يخبرني عن شيء منها خلاف أنها مسألة أسرار الذرة الامريكية ــ أمروه أن يتنحى عن الزوج اللذين قدما هذه الاسرار وعني أنا أيضا •

ولو أن هذا لم يكن داعيا كافيا ليفقد الرجـل ايمانه ، فان الرؤساء في موسكو رغما عن وعودهم بمساعدته في أعماله ، قد باعوا ٢٠٠ر٠٠٠ كيلو من شعر الخنازير الصينية الى تاجر في استوكهولم ، وهذه الكمية لو كان قد حصل عليها لربح منها نصف مليون دولار ·

نال الغضب والحزن الشـديد كثيرا من جاك فأخذ يسترجع الذكرى عن الايام الماضية ويأسف عن أن الامور كانت في الازمان الغابرة أفضل بكثير عنها اليوم · كمـا قال لي كيف هاجر الى الولايات المتحـدة مع جمـاعة من اللتوانيين ولم يبق منهم الا واحد أو اثنـان على ولائهم للحزب الشـيوعي · وقال أنهم قاسوا الامرين عند دخولهم للولايات المتحدة وقد جاءوا عن طريق فلاديفوستوك وحجزوا في اليابان عدة أشهر وأخيرا أمكنهم أن يتموا الرحلة بمساعدة أحد أقاربه وهو وكيل قضايا مقيم في بوستون بعد أن وافق على أن يضمنهم في اقامتهم بأمريكا ·

وقال (سوبل) بسخرية (أنه أمريكي ولكنه صادق الولاء لوطنه) وبعد أن تحمـل كل هذا العنـاء وأدخلوه أمريكا أصبح مشتبها فيـه · وفي أحد الايام تحدث الينا بحماس أنه أحب وطنه الجديد ـ الولايات المتحدة الامريكية ـ وأكد أنه أحب أرض الحرية وأنه مستعد لان يخنق بيديه كل من يفكر في ايذاء أرض العم سام ·

وأخذ (جاك) يحنق قائلا (أنه مجنون) وكررها في قهقهة · استمعت لكثير من هذه الاراجيف سنوات دون أن أفتح فمي ولكني مع ذلك لم انكر اني كنت أعطف عليه بالنسبة للعقبات التي كان يعانيها في عمله مع الروس ·

ظللت أشهرا وأشـهرا أحاول أن أشترى بعض الحقوق الاجنبيـة لبعض الافلام السوفيتية ولكني كنت سيء الحظ ، وعندما بدأت أوفق في الصفقة غير فجأة المندوب الذي كنت أفاوضه ، وكان المندوب الجديد خاوي الفكرة كلية عن المرحلة التي وصلت اليها مع سلفه ومعنى هذا أنه يجب أن نبدأ من جديد على ألا تحدث عقدة جديدة أخرى ·

وفي ٢١ فبراير ١٩٥١ بدأ أخيرا (سوبل) يهمس لي بالمعلومات التي طالما كنا ننتظرها منه ، فحتى هذا الحين لم يفصح لي عن شخصية ملك المنـاجم و (الزوج الذرى) الا تلميحا مبهما · ففي احدى الامسيات وكنت اتعشى معه في أحد مطاعم فينا مع أحد رجال الافلام الذي كان (جاك) يحاول جهده

أن يؤثر عليه، وفى محاولته هذه ذكر له أنه ضم أخيرا للحزب زوجا وصفهما بأنهما ألطف وأغنى من فى فينا • وفى نظرة ناعمة ذكر (جاك) أن هـذا الرجل الموسر كان فى يوم ما صاحب مناجم فحم فى تشيكوسلوفاكيا وقد افتقد هـذه المناجم بالنسبة للثورة الشـيوعية فيها وتفاوض أخـيرا معهم لاستردادها وقد نجح فى مسعاه نجاحا عظيما •

كان (جاك) زميلا لهـذا الرجل فى ليبزج منذ عشرين عاما وبعـد عدة سنوات كان شقيق هذا الموسر قد انتقل الى كندا ونجح نجاحا كبيرا فى تجارة الاخشاب •

اغمض عينيه للنصف وهو يرتشف البراندى واستمر فى ذكر التفاصيل التى حاولت أن أجمع منها ما يفيد أ م ج فى معرفة شخصية هذا الرجل • قال ان زوجة الرجل وشقيقتها تخرجتا من الجامعة ونالتا الدكتوراه وقال أنه تعرف على الاختين مدة سنوات كما تعرف عليهما أخوه (روبرت) •

الآن حصلت على بيانات وافرة عن هذه العقدة ولـكن متى سيفصح عن اسم هذا المليونير الشيوعى الذى اشترك بطريقة ما فى سرقة أسرار الذرة الامريكية التى تولى (بتروف) أمرها وكاد يحطمها ؟

لم يطل بى الامر بعد هذا طويلا فقد عانيت الامرين كى أنال حقوق الرواية الملونة الروسـية (ماريكو) الجميلة وكان على أن أدفع أكثر من ١٠٠٫٠٠٠ دولارا من العملة الصعبة وهذا مبلغ كبير يكاد لا يسمح لى بربح • وعندما قابلت (فيتالى) بعد ذلك شكوت اليه كثيرا من هذه الصفقة التى ورطنى فيها مندوب ادارة السينما السوفيتية وكذلك عن التعطيل المستمر للمبلغ الذى طالما وعدوا به (الـ ٣٥٠٫٠٠٠ دولارا) وكذلك وافقت (سوبل) على اقتراحه فطلبت رد مبلغ الـ ٥٠٠ دولارا وهى الايجار الشهرى الذى زوالت دفعه طيلة عامين للمكتب فى نيويورك •

قال (فيتالى) ان لا شأن له بمسألة الفيلم ، وكذلك بالمسألة التى دعاها أمرا تافها وهى مسألة دفع ايجار المكتب الذى لم يستخدم بعد فى نيويورك ولكنه وعدنى وعدا أكيدا بخصوص مبلغ الـ ٣٥٠٫٠٠٠ دولارا وقال ان كل ما يجب على أن أعمله هـو اشراك (كييث جليتان) فى لجنـة مديرى شركة التلفزيون ، وقال انى اذا تمكنت من هـذا فسيضمن منحى المبلغ كله فى الحال •

كان (فيتالى) كما كان (سوبل) مشغولا بمسألة الاضطراب الداخلى بين هيئة الشرطة السرية NKVD وبعضها وقال عنهـا (ان كثيرا من الرفاق يستقيلون منها) • كان هناك اضطراب شديد ليس فقط بين أفراد جماعة (سوبل) وحده بل وأيضا فى المجر وبولندا بل وفى فينا بينما نحن هنـا نتحدث وكأننا معا رفاق أصدقاء •

عندما طلبت من (فيتالى) أن يعين لى اتصالات جديدة فى الولايات المتحدة قبل قيامى اليهـا ، وعدنى بأنه سـيحاول ذلك ولكنه رجع فقال أن أ م ج تصعب الامور أمامه دائما ، فهذه الادارة الثلاثية الاحرف (يقصد أنها من ثلاثة أحرف أ م ج F B I) لديها الآن مجموعة من المخبرين المدربين فى السياسة للتضييق على رجال الجاسوسية الروسية •

وسألنى هل عرفت أحدا من رجال أ م ج فقلت (لا) بوجه صارم فسأل هل ياترى يمكننى أن أحصل على أى معلومات عن رئيس الهيئـة المشتركة المستر (ج • أدجر هوفر) فقلت الا فائدة من ضياع وقتى فى هذا حيث أن المستر (هوفر) له أعـداء خفيون كثيرون وكان بامكانهم الحصـول على أى معلومات عنه من سنين مضت لو قدروا على هذا • ثم سألنى أسئلة :

ـ هـل جميع رجال أ م ج متخرجون من الجامعـة ؟ هل هـم من عائلات موسرة ؟ هل ينقدون أجورا عالية ؟

قلت : (انى لا أعرف عن ذلك شيئا ولـكنى سأحصـل له على الاجابات بسهولة) فقال (فيتـالى) انى اذا حصلت على اجابات هـذه الاسئلة واذا وافقت عـلى أن يكون (كيبث جلينان) مديرا فى شركتى فسـأتسلم مبلغ الـ ٣٥٠٫٠٠٠ دولارا عند رجوعى •

فى أثناء رحلتى الى الولايات المتحـدة تخلفت فى باريس لمقـابلة (جاك سوبل) • وقد تمكنت فى الفترة التى قضيتها فى باريس من ملامسة مثل عظيم عن كيف ولماذا يقوض ولاء أحد العملاء الشيوعيين لهذا المذهب بسرعة• فقد سبق لهذا العميل منح ميدالية لهمته فى مسألة أسرار الذرة ولكنهشعر أن هذه المكافأة غير مجزية •

قضيت ستة أسابيع فى الولايات المتحدة وقبل أن أرجع مباشرة الىأوربا طرت الى واشنطون حيث زرت (كيبث جلينان) وتناولت الغذاء معه •

وقد حصلت على موافقة أ م ج فى تعيينـــه مديرا فى شركة التلفزيون ، وعندما اعلمته بهذا أخذ يدرس القوانين الخاصة بالاعمـــال الخارجية لمندوبى لجنة الطاقة الذرية ثم قال لى أنه لن يكون هناك تضارب فى المصالح اذا ما أصبح مديرا فى شركتى ·

شرحت له أنى لم أحصل بعد على الموافقة النهائية لتكوين الشركةوأردت أن أخبره بتفاصيل المســألة من أولهـــا مع ذلك كان الحديث هــراء فمهما حدث (فكييث) لن يشترك بالفعل كلية ·

خرجت من مكتب (كييث) وذهبت الى مبنى وزارة العدل حيث انضممت الى جماعة تقــوم بزيارة مكاتب أ م ج وهذه الزيارة عامة ويقوم بهـــا يوميا بانتظام زائرون من أنحاء البلاد· وقد أخذت معى الى أوروبا بعض المطبوعات التى توزع علىالزائرين وكذلك نماذج الطلباتالتى يتقدم بها من يريدالعمل فى هذه الادارة ، وكان هـــذا بناء عن اقتراح نفس هـــذه الادارة التى أعمل فيها ·

بعد ذلك بخمسة أيام ، عندما سلمت هـــذه المطبوعات الى (فيتالى) فى فينا لم يكد يصدق عينيه فقد كان طلب الالتحاق أكثر مما كان يتصور أن يحصل عليه · وكان فى هذا مثل آخر لسذاجته التى أظهر بهـــا اندهاشه عندما أخبرته عن مسألة الشنطة والشيال فى مطار زيوريخ ·

قال (فيتالى) اذا كان من الســـهل عليك الحصول على كل هذه الاوراق فلا بد أن هناك فخا ، ولابد أن هناك من يلاحقك فى كل مكان ذهبت اليه فى واشنطون ·

هززت رأسى وقد مللت هذه الآراء ثم حاولت أن أغير الموضوع بأن أريته شارة البوليس الذهبية وقدكنت أحملها منذ نحو عشرين عاما · وهى احدى شارات (نائب شريف بلدية (نائب عمدة) لوس انجليس الشرفية) وقد منحت لآلاف من أهل كاليفورنيا الجنوبية طوال هذه السنين · والمفروض أنها تمنح المعاونة عند طلب رخص المرور أو لتسهيل أى متاعب أخرى مع السلطات فى لوس انجليس ·

أخذ يمطرنى بالاسئلة عنهـــا حتى أنى ندمت على أنى لم احتفظ بهـــا فى جيبى · سألنىماية سؤال عن كيفية دخولى فى هذه المنظمة البوليسيةالهامة وعندما قلت له أن الامر بسيط تهكم قائلا انى آخذ الامور كلها ببساطة ·

وعندما انتهى من اعجابه بالمدالية (وبشطارتى) فى الحصول عليها رجع ثانية الى فكرته الاولى فى أني لا بد أن أكون مراقبا فى واشنطون ، ولم اتمكن من زحزحته عن فكرته كلية ٠

ثم سألنى اذا ما كنت قد تقابلت مع (الكردينال سبلمان) أو أى من زعماء مجلس النواب أثناء اقامتى فى الولايات المتحدة ٠

وما هو رد الفعل الذي حدث نتيجة لعزل الرئيس (ترومان) للجنرال (ماك آرثر) من قيادة الشرق الاقصى ؟

وهل عرفت أحدا ممن حقق معهم بواسطة (لجنة مكارثى Mc Carthy Committee) ؟

ثم تدفقت الاسئلة عن زيارتي (لكيبث جلينان) وطلب منى أن أصف له موقع مكتبه بالضبط بمبنى لجنة الطاقة الذرية ، وكيف كانت حالة (كيبث) عندما حيانى ؟ وعندما قلت له الحقيقة وهى (تحية ودية) طلب منى (فيتالى) أن أشرح له (كيف كانت ودية ؟) وقد أراد أن أكرر له نفس كلمات (كيبث) وهل طبطب على ظهرى ؟ وهل أسف لاننا كنا أصدقاء قدامى ولكننا لا نتقابل الا نادرا ؟ ثم أظهر اهتمامه بمعرفة اسم سكرتيرة (كيبث) وسألنى هل هى شابة أم عجوز ، متزوجة ام عزبة ، جميلة ام عادية ؟ وعندما أجبته بأنى لم أعرف حتى اسمها هز رأسه قائلا (أنت لا تصلح أن تكون جاسوسا يا بوريس) ٠

رجع ثانية فى حديثه عن (الكردينال سبلمان) كما اهتم بأمره غيره من رجال الشرطة السرية الروسية وقد ضايقنى هذا ولكنى لم أعد أهتم ، فقد اقتنع الجميع أن نيافته عضو فى أ م ج ٠ ان هذه الفكرة يضحك منها كل أمريكى ولكنها منطقية فى مذهب الجاسوسية الروسية ٠

فى هذه المقابلة، كما هى الحال فى جميع المقابلات مع رجال الشرطة السرية الروسية تحدثنا فى السياسة الدولية وتطوراتها وعلمت أن هناك مناورات عسكرية فى شواطىء سيبيريا المتجمدة ، وقد أحس (فيتالى) أن (تيتو) يجب أن يبعد كما اعترف بأن موسكو اليوم تجرى اتفاقاتها مع سبعة عشر وطنى يوجوسلافى ٠

فى ٩ مايو طرت مع (سوبل وزيلاتوفسكى) الى زيوريخ وكنت أقصد مباشرة أعمالى الخاصة أما هما فقصدا مقابلة وسيط سويسرى ، ثم تقابلنا فى الفندق وانضم زوجتاهما الينا ٠

لم أر (سوبل) فى مثل حالته اليوم من الاعياء والعصبية وقد قال أنه وصله خطاب من شقيقه الدكتور قائلا فيـه ان الطبيب الآخر الذى يقوم بعيادة (جوبيشيف Gubichev) الجاسوس فى قضية (جوديت كوبلون Judith Coplon) قد أجرى التحقيق معه بواسطة أ م ج ولكنهم لم يسألوا شقيق (سوبل) ثم قال (أهم من كل هذا فانى مريض وأبصق دما • هذا هو كل ما يشغلنى) •

وفى اصطلاحات الجاسوسية الروسية (بصق الدم) معناه أن الشرطة تتبعه • وقال (سوبل) ان الشرطة الفرنسية زارت مصنعه لشعر الخنازير وقضت ساعات تسأله عن سفرياته ، وأكثر ما يضـايقه ان رجال الشرطة رفضوا تناول أى مشروب عنده •

ثم قال (ألا تدرى معنى هذا ؟)

تظاهرت بالاشفاق عليه فان رفض رجال الشرطة الفرنسيين لاى مشروب يقدمه لتحيتهم معناه أنهم يشكون فيه وأنهم يفضلون ألا تبدر منهم أى بادرة مودة منهم • • واذا ما وجدت لديهم الاسباب لهذا الارتياب فلا معنى اذن لاى ابتسامة منهم أو قبول التحية بالمشروب •

ثم قال (لم يغادروا المصنع حتى أتى العمدة واستمع الى دفاعى) •

كانت حالة (سوبل) المسكين المؤلمة فى حاجة الى أن يطلب أجازة قدرها ستة أشهر بعيدا عن أى أعمال جاسوسية وأراد أن يفيد (فيتالى) أن الشرطة الفرنسية قد شوته شيا عدة ساعات بناء عن طلب أ م ج وان أخاه الدكتور هو الآخر قد استجوبته أ م ج •

وفى رأيى الآن أنه كان لا بد أن يحدث كل هذا لسوبل منذ خمسةأعوام عندما كان فى أوج نشاطه أما اليوم فقد بدأ يتحول عن مذهبه • انى ألاحظ عليه هذا حيث طلب أجازة لمدة ستة أشـهر • انه قال أنه مريض وكذلك زوجته (ميرا) كما أن زوجة احدى اشقائه مريضة بالسرطان والمفروض ألا دخل لكل هذا فى سبيل المبدأ وعليه فهو يفكر فى الخلاص ورغما عن هـذا فان أمرا آخر حدث وهو أهم من ملاحظتى عن فتور ولاء (سوبل) لموسكو أثناء وجودنا فى زيوريخ •

فبينما كنـا فى الانتظار فى محطة السـكة الحديدية شاهدت (سوبل) يقابل رجلا أنيقا يبلغ طوله خمسة أقدام و ١١ بوصة ويميـل الى السمنة

ويبلغ وزنه نحو ٢٥٠ رطلا ، له شفاه غليظة وعلى رأسه قبعة رمادية ·وعندما تقابلا تعانقا فتركتهما وسرت بعيدا ، وعندما رجع الى (جاك) قال (انه رجل المصانع النمساوى الثرى ، سيحضر الى باريس فى يونيه والى نيويورك فى أغسطس) ·

وفى ١٠ يونيه ١٩٥١ أى بعد ذلك بشهر مكنتنى ثرثرة (جاك سوبل) من أن احوذ الهدف الثاني في عملياتى الجاسوسية · ففي باريس عندما أخبرته بأنى ممنوع من الاتصال به زعج ايما ازعاج وعلى ذلك فبينما كان لا يزال فى حيرته اتهمته علنا بالكذب علي وقلت له ان من الافضل لى أن أطيع أوامر الرؤساء فى موسكو وابتعد كلية عنه ·

اخافه هذا التهديد لان معنى هذا أنه سوف ينقطع كلية عن موسكو · فسألنى :

ـ ماذا تريدنى أن أفعل · كيف اثبت لك صداقتى ؟

قلت له : بأن تثق بى · اثبت لى أنك تثق بى ·

سكت وقد بدت عليه الحيرة مما أرمى اليه فقلت له :

ـ أقصد من حديثي هذا الضباب الذى جعلته حول مليونيرك صاحب المناجم ! لم تخشى أن تذكر لى اسمه اذا كنت حقا صديقا وفيا لى ·

كان من الممكن أن يغير رأيه الآن عندما افصحت عن غرضى ولكنها (فاتت) فقد انتهزت أحسن فرصة لسؤالى هذا السؤال ·

قال : اسمه (لوبير Low Beer) ·

قلت : لوبير ، ان هذا الاسم يبدو لى اسما خداعيا ·

ـ كلا انه اسم المليونير وبالكامل Paul Low Beer واسم زوجته أليس لوبير ولهما ثلاثة أطفال وهو جارى الآن تحويل مبالغ طائلة الى البنوك السويسرية وله أعمال فى السويد ونيويورك ولندن ومدن أخرى ولكنه يعتقد أن البنوك السويسرية أضمن بنوك العالم ·

عندما تركت (جاك) كنت فى غاية من الفرح ونسيت أنى فى الخمسين من عمرى فجريت في شوارع باريس حتى وصلت الى قهوة فى شامب اليزيز حيث ينتظرنى صديقى مخبر أ م ج وزميله ·

الباب الحادى عشر

عندما يتخاصم الجواسيس

فى غضـون صيف ١٩٥١ كانت مهمتي الاولى هي التوفيـق بين عائلتى (زيلاتوفسكي وسوبل) فقد كان من الواضح أنه لو أن رؤساءنا فى موسكو سمعوا بأن أعضاء حلقة الجاسوسـية يتشـاجرون بين أنفسهم لاسـقطوا الجماعة بأكملها وبهـذا تنتهي فائدتي لـ أ م ج دون أن أتم عمليتى فأخذت أوالى ترقيع الامور بينهما بالمصالحة المؤقتة ٠

أما العلاقات العائلية فلم تتأثر بأى استياء من العلاقة الفاجرة بين (جاك وجين) ، وانى اورى فيما يلي مثلا بسيطا لما قام عليه الشجار وهو بخصوص صندوق الثلج وهو الصندوق الخشبى القديم الذى نضع فى النصف الاعلا منه لوحا من الثلج وفى الاسفل منه اناء لتتجمع فيه المياه المذابة ٠

ففى غضون عام ١٩٥١ وفى باريس ، كانا لا يزالان فى خصامهما ، وقد صممت (جين فوستر زيلاتوفسكى) على أن الصندوق الخشبى الثمين انما هو ملكها وانها اقرضته الى الفتاتين الامريكيتين اللتين تنازلتا عن الشقة الى (سوبل وزوجته) ٠ عند ذلك ادعت (ميرا) ان هذا (كلام فارغ) فانهـا عندما استأجرت الشقة استأجرتها بكل ما فيها ٠

وعنـدما فشلت (جين) فى استرجاع صـندوق الثلج الخشبى رسمت بالزيت رسما كاريكاتيريا لافراد عائلة (سوبل) الثلاثة وارسلته اليهم وقد وضعت اسما للرسم (الثالوث المقدس The Holy Trinity) ٠

وكما هى العادة فى مثل هذه المشاحنات كان صندوق الثلج هو آخر فصل فقد ضاقت (جين) الى آخر حد لان (جورج) لم يجد له عملا بعد ، وكلاهما عاتبا (جاك) لاحضارهما الى باريس وقد وعدهما بأنه سيحصل على عمل

مربح (لزيلاتوفيسكى) • كذلك قال بأنه وعد بأن ترتب له زيارة الرؤساء في موسكو • وقد قالا أن السبب الحقيقى الذى من أجله رفض هو أنه كان دائما يبغى ثمنا لكل ما يقوم به من عمل من أجل المذهب الشيوعى •

وفي يونيه قام (جورج) برحلة من باريس الى فينا بأمل اقناعى أن أمهد له بمقابلة خاصة مع بعض كبار رجال الشرطة السرية في موسكو ولـكنى اعتذرت له بكثرة أعمالى ، وعلى هذا قام هو و (جين) بكتابة خطاب وطلبا منى أن أوصله باسمهما •

فقلت (وهل هذا يمهد لكما المقابلة ؟)

فقال (نعم • انه لكذلك) •

ولا حاجة لى بالقول بأنى عنـدما تسلمت هـذا الخطاب أمكننى أن أعطى أ م ج برهانا كتـابيا بأن (زيلاتوفيسكى) عضـو فى منظمة جاسوسـية روسية الا أن الخطاب كان مكتوبا على الآلة الـكاتبة وقد قالت لى أ م ج من قبل أن الخطاب المكتوب باليد أفضل بكثير لهم من غيرها •

وبما أن الخطاب مكتوبا باللغة الانجليزية وفى عشر صفحات فقد كان فى هذا عذرا لان أطلب منه أن يكتبه بخط يده • وقلت له أنه لا يوجد فىموسكو من يجد لنفسه فسحة ليقرأ خطابا بهذا الطول وخاصة اذا كان مكتوبا باللغة الانجليزية • واقترحت عليه أن يكتب خلاصة قصيرة لما فيه باللغة الروسية ثم يأتى ثانية الى بالاصل والملخص فى اليوم التالى ، وانى سأكون عند ذلك عند حسن ظنه فسأوصلهما من أجله •

وافقنى (جورج) ولكنه قبل أن يتركنى تحدث عن مصيبة النقود فهو ينقد ١٥٠ دولارا شهريا كمعاش منالجيش الامريكى وكان يأخذ من (سوبل) ١٥٠ دولارا أخرى شهريا عن أعمال الجاسوسية حتى تخاصم معه ولاحظت أنه لم يذكر له شيئا عن الـ ١٥٠ دولارا التى تتقاضاها (جين) من موسكو• وقد قطع (جاك) مرتبه الخاص بالجاسوسية واشتكى (زيلاتوفيسكى) مر الشكوى من أحوال المعيشة •

وبينما كان يثرثر سألته عما يعرفه عن الاعمال السرية التى قام بها من أجل جاك ، كل من (جاكوى ايجار Jacques Ajar) مسـاعد مديره فى المصنع ، (ميشيل Michel) وهو ابن أخ (جاك) وأيضا الكولونلالاشقر

الامريكي الغير معروفة شخصيته بعد والموجود فى المانيا · هـز (جورج) كتفيه نافيا علمه بشيء ، وانى موقن أنه لم يعرف ولكنه قال أن (جاك) قد بالغ فى أهمية كل شيء قام به كما حقر فى الوقت نفســه كل شيء قام به (جورج وجين) ·

فى الصباح المبـكر من اليوم التـالى رجع الى (زيلاتوفيسكي) بالخطاب الاصلي والمختصر بالروسية فىصحيفتين وكانتا بخط اليد وبتوقيعه بالاسم الكودى (ركتور Rector) كما أن الخطاب ذى الصحائف العشر فكان موقعا باسمي (ركتور وسـلانج) والاخير هو الاسم الـكودى لجين · وقد اشتمل الخطاب على تظلمهما من (ابرام) وطلبا المقابلة الشخصية لتمهد لهما فرصة الاجابة على الاسئلة بخصوص هذه المظلمة ·

حولت الخطابين الى أ م ج وقد احتفظت بهما الادارة لان لا مصلحة لنا من ارسال هذه الخطابات الى العدو ·

ولكنى عندما تقـابلت مع (فيتالى) بعد ذلك بشـهر أدركت أن هذين الخطابين لن يكون لهمـا تأثير ما على موقف (جاك) أكثر مما أصابه ، فقـد طلب منى (فيتـالى) أن آمر (ابرام) وجماعته أن يتنحـوا عن العمل مدة عامين من اليوم ، كما قال أن (ابرام) قد آذى المذهب الشـيوعى بثرثرته وأسوأ ما قام به (ابرام) هو تعريفه عملائه الى بعضهم البعض ·

كان على أن أفكر بسرعة فى شيء أقوله لاضغط عليه ليراجع نفسه فىهذا القرار الخطير ، فانى أعلم أنى عنـدما أخبر (جاك سـوبل) أنه وزوجتـه سيتنحيان عن العمل سيغتاظان ولـكن الامر بالنسبة الى معناه انتهاء عملى الذى كنت أقوم به مع أ م ج مع أنى لم أتم نصفه بعد ، ولذلك لم أجد أمامى الا أن أقول الامر الوحيد الذى أظنه ينجح ·

(اتريدنى أيضا أن امتنع عن العمل من أجل المذهب لمدة عامين ؟)

أظننى قد وفقت الى أن أجعله يتنبه من غيبوبته فقـال أنه سيتصل مع موسكو فى هذا الخصوص · كنت أعلم تماما أن الشرطة السرية قد اعتبرتنى فى حالة خاصة · وقد تفاخر (جاك) فى موسـكو بأنى (مجنده المفضل) وانى رجل عرفت شخصيات هامة فى نحو عشرة دول مختلفة ولهذا السبب قدمنى لرؤسائه فى حين أنه رفض أن يمنح نفس الشرف (لزيلاتوفيسكى) وغيره من أفراد الجماعة فقد كان يعتقد أن (جورج وجين) ما هما الاجواسيس عاديين يأتمرون بأمره ·

طلب مني (فيتالى) الا آتى بأى عمل حتى اتلقى منه تعليمات أخرى ، وقد علمت أخيرا موسكو أن حركاتى كلها يراقبها رجال أ م ج ويجب أن أبتعد تماما عن أى نشاطمعهم حتى ينتهى أمراشتباه الشرطة فى· ولكنه قبل أن يودعنى ذكر لى أنه لن يمكننى الاستغناء عنى نهائيا مهما حدث (لسوبل) أو غيره ·

وقال لى أيضا (لى عندك طلب وهو طلب هام ، ولكنى الآن سأكلف به عميلا غيرك · فنحن الآن مُستعدون لدفع أى مبلغ للحصول على معلومات عن الرئيس (أيزنهاور أو ادجار هوفر) ·

وبعد عدة أسابيع وبالذات وفى أغسطس اخبرتنى موسكو عن طريق فيتالى أني أصبحت بعيدا عن الشبهة (Clean) ·

اذن كانت مواجهتى موفقة وأتت بنتيجة مرضية · بعد ذلك طلبت من أ م ج أن اسافر الى الولايات المتحدة ·

وبناء عن الحاحى رتب (فيتالى) عدة مقابلات مع وسطاء جدد فى كل من لوس انجليس ونيويورك · وكان محل المقابلة فى لوس انجليس فى شارع سوث هوب بين الشارعين السادس والسابع وأما فى نيويورك ففى الشارع التاسع والخمسين بين الشارعين الخامس والسابع وكانت تعليماتهم أن أصل المكان وفى يدى آلة موسيقية وستكون كلمة السر هى نفسها (Almi Films) ·

وكنت فى باقى هذه المقابلة مع فيتالى ـ ولم أكن ادر أنها آخر مقابلة لى معه ـ اصغى لانتقاداته على الموقف الدولى · وقد أعلن أن (مالينكوف Malenkov) يضغط على ستالين لايقاد حرب جديدة ، ومع ذلك فقد اشار الى أن زعماء الكرملين الآخرين كانوا فى هذه اللحظة يهتمون بالمسائل الاسيوية عنها بأوروبا الغربية · كذلك تحدث بحماس عن سلاح خرافى جديد يقوم السوفيت بعمل اختبارات عليه اليوم لاول مرة · وقد علمت أنها قنبلة جديدة لم تدر واشنطون عن أمرها شيئا ولا حتى درت بأن الروس يجرون اختبارات ما عنها · كذلك تحدث (فيتالى) عن تقدم العلماء النوويين الروس السريع الذىيجرونه فى تطور الاقمار الصناعيةوكان هذا قبل ظهور (سبوتنيك Sputnik) بست سنوات ·

بعد أن تغيبت شهرين رجعت الى فينا فى أواخر أكتوبر وادرت قرص التليفون على نمرة (فيتالى) فرد على صوت غريب وكنت قد ذكرت اسمى (ريابوف Riabov)وهو الاسم الكودى الذى طلب منى (فيتالى) أناستخدمه عند طلبه بالتليفون ٠

طلب منى هذا الغريب أن اتواجد عند سينما تابور فى الساعة السادسة فتوجهت الى الموعد ومعى لفة النوت الموسيقية المعتادة ٠ وعند وصولى ذكرت كلمة السر (أفلام آلمى) للوسيط الجديد ٠ أخذنى من ذراعى وسار بى الى عربة واقفة عن قرب ٠ وكان أمام عجلة القيادة سائق قد جعل الماكينة دايرة وفى اللحظة التى دخلنا فيها الى المقاعد الخلفية تحرك بالعربة ٠

قدم الوسيط الجديد نفسه الى باسم (افاناسى ايفانوفيتش Aphsnassy Ivanovich) ولكنه لم يذكر اسمه الاخير وهو (يا فيموف Yefimov) كما قال لى أخيرا جدا ٠ صحبته الى شقته لنتحدث فيها وهى نفس الطريقة التى كان يعملها (فيتالى) على الدوام ٠

وفى هذه المقابلة الاولى مع (أفاناسى) ذكر لى أنه كان العضو الروسى فى اللجنة الاقتصادية للدول الاربع المتحالفة فى فينا

Four - Power Allied Economic Commission in Vienna

ومعنى هذا أنه كان يرس اللجنة مرة فى كل أربعة أسابيع بالتبادل مع رئيس أمريكى وفرنسى وبريطانى ٠

لاحظت أنه لا يلبس اللبأس الرسمى ولما سألته عن ذلك ابتسم وقال أنه يعمل بالنهار فقط فيكون العضو الروسى فيها (وأما فى الليـــل فانى أقوم بمهماتى الاخرى فالبس ملابس مدنية لا تظهرنى) ٠

وهذه الاعمال الاضافية الاخرى حمل ثقيل ، فقد كان وسيطى الجديد فى فينا مسئولاكلية عنجميع الشبكةالجاسوسية فى النمساوالمجر ويوجوسلافيا وقد علمت بكل هذا أخيرا فقط ٠

كانت هذه المقابلة الاولى مختصرة جدا وقال (افاناسى) أنه من الممكنأن يتحدث الى على نطاقأوسع اذا سنحت له الفرص بقراءة وهضم جميعالتقارير عنى وكذلك الدوسيه الخاص بى ٠

تواعدنا على المقابلة في ٢٣ يناير ١٩٥٢ في نفس المكان وفي الساعة الخامسة • تقابلنا واجتمعنا في الشقة مرة أخرى وقد قال (افاناسى) أنه يعجب كيف أن الولايات المتحدة لم تعترف بالصين الشعبية وشمال كوريا حتى الآن • ستكون الحرب مصيبة كبرى على الدولتين الكبرتين ولا يدرى كيف ستخرج منها كلتاهما ؟

وكانت موسكو تكتشف تدريجيا أن هناك كثيرا من غير الموالين فيما يسمونها (الشعوب الديموقراطية) تمنع أن تبقى الدول التابعة في صفها مدة أطول • ثم سألني فجأة (لم قتل الرئيس ترومان المدعى العام• هوارد ماك جارث آ) أجبته (أنا لا أعلم) •

فقال (أنا آسف لك يا(ديجون)، فلم لاتهتم بالامور السياسية هززت رأسي دلالة عدم المبالاة ، **فمن الصعب على أن يدرك الانسان ما يرمي اليه رجال الشرطة السرية الروسية أمثال (افاناسى) عندما يلقون مثل هذه الاسئلة • ربما أنهم لا يفهمون تماما السياسة الامريكية فهى تخدعهم ، أو من ناحية أخرى فاني أكررمرة ثانية أني متأكد منأنهم دائما يحاولون اختبارالشخص فقد تظهر منه بادرة تثبت أن به ضعفا في الخلق أو ما الى ذلك •**

وهنا حادثات قليلة أوقعت ببعض الكارهين للجاسوسية الروسية فاذا ما اندفعت مع أحدهم بدون حرص في أحد المطاعم أو المسارح فقد وقعت • واذا ما وجدت امرأة جميلة جالسة بجانب مقعد قد حجزته لنفسك في طائرة مثلا فالاغلب أن السوفيت قد رتبوا هذه الخطة معك ، وحتى اذا ما بدأت المحادثة مع احداهن بصفة عرضية فلا بد أن هناك خطة موضوعة • ليس لهم حديث عابر أبدا بل أنهم يعملون من أجل المبدأ على الدوام وهم يفضلون أن يدبروا له حتى لا يكون هناك أى ولاء لاى شيء أو لاى شخص سوى روسيا •

وعلى ذلك ، ففي ذاك اليوم عندما قال لى (افاناسى) (انها مصيبة كبرى) ! هززت رأسي مستغربا فاني جهلت عما كان يتحدث ومع ذلك كنت كلي آذان •

ثم قال ثانية (لقد قتل ثلاثة من أحسن رجالنا • أمريكى وايطالى وانجليزى) •

عند ذلك فهمت أنه يشير الى اختبار القنبلة الذرية الحديثة ولكنى مع ذلك لم تكن عندى أى فكرة عما يتحدث عنه ، وعادتى عندما أكون في غموض

كهذا أحاول جهدى أن أتمشى مع من يحدثني ليس بما يحدثني عنه بل بشخصيته نفسه ٠

فنادرا ما يقدر الرجال أوالنساء على مقاومة الاعجاب بالبطولات وان كانت ضئيلة زائفة وقد كنت سعيد الحظ سواء فى عالم الجاسوسية أو فى خارجها بسبب نظرة الاعجاب التى كنت دائما أمنحها لسامعى ٠

قبل أن نودع بعضينا فى ذاك اليوم سألنى (أفاناسى) (ماذا تم فى أمر (كيث جلينان) حتى الآن ؟) وقد سمع بأن (جوردون دين Gordon Dean) رئيس لجنة الطاقة الذرية قد استقال فاذا ما أصبح (كيث) رئيسا فهل يصبح بامكانه أن يخدمنى فى لجنة مديرى شركة التلفزيون ؟ بدا على وجهه السرور عندما أكدت له الا فرق فى الحالتين ٠

وفى اجتماعنا التالى فى نفس الاسبوع سألنى عشرات الاسئلة عن (جليتان) وهل من الممكن تعيين أحد رجالنا كسكرتير فى مكتب (الكردينال سبلمان) ٠

فقلت له (لا ٠ لا يمكن ذلك) ٠

فكرر سؤاله عما أعرف عن (بيل مونتجومرى Bill Montgomery) فأكدت له أنى لم اسمع عن هذا الاسم من قبل فابتسم ابتسامة خبيثة مع انى حتى اليوم لم أعرف شخصا بهذا الاسم وأظن أن (افاناسى) قد أخطأ فى الاسم الصحيح ٠

وأهم أمر فى هذه المناقشات أنه اتضح لى أن اضطراب موسكو بخصوص اقالة (سوبل) لا يزال قائما وطلبوا من (ابراهام) أن يهدىء الموضوع وأحسن حل لهذه المشكلة هو ـ كما قال (افاناسى) أن يسافر سوبل لروسيا ليسوى أموره المالية فيها فان رؤساءه لم يصلهم منه أى افادات منذ ستة أو سبعة أشهر مضت ٠

وسألنى هل اتفضل أنا باقناعه بعدم ضياع وقت آخر والافضل أن يسافر ليقابل (كروتوف) ؟

وفى كل مرة اجتمعت معه فيها كرر نفس الحديث وأخيرا ذكرته بتحذير (تشرنيافيسكى) لى كى ابتعد عن (سوبل) ٠ وبعد أن استأذن موسكو سمح لى بأن اناقش (سوبل) فى هذا عندما أسافر الى باريس فى المرة التالية ٠

فى هذه المرة عرفت أن (سوبل) مثله كمثل أى جاسوس ، ولم اتصور لم لم يتصل بموسكو طيلة هذه المدة الا لسبب واحد هو أنه يحاول الارتداد (التخلص منهم) ولكنه عجز عن تأمين نفسه فأجل الامر الى حين ·

والامر الذى حيرنى وكان يهمنى جدا أن أجد له حلا هو ماذا تريد موسكو منه ؟ لم يكن الامر أمر تسوية مالية معه والا فلا داعى لاحضاره من باريس من أجل هذا وبامكانهم استئجار (بلطجية) محترفين بمبلغ ضئيل فيقتلونه فى باريس نفسها ·

والتفسير المنطقى على ما اعتقد هو أن (جاك سوبل) قد عرف أمرا يعتبره رجال الشرطة السرية أنه بالغ الحيوية وأنهم يريدون أن يستمعوا الى تفصيلات أوفى منه شخصيا ·

فاذا كان الامر كذلك فلا بد أن هذه المعلومات هامة أيضا لادارة أ م ج · وعندما تحدثت فى هذا مع رجال هذه الادارة وافقوا على رأيى ·

وعلى ذلك كلفنى كلا الطرفين بهذه المأمورية الثقيلة الدم وهى البقاء مع هذا الجاسوس المرتد حتى يبوح بسره كله ·

فى ١٨ مارس ١٩٥٢ قابلت (جاك) بقرب مسرح بارامونت فى باريس ومشينا سويا حتى شارع الاوبرا ولم أضع وقتا بل أخبرته بكل حديث (افاناسى) ·

وقلت له (هل صحيح أنك لم ترسل تقريرا الى موسكو طيلة هذه الاشهر ؟)

فأجاب (كلا · انها كذبة سخيفة) وأكد أن (ميرا) سافرت الى المانيا لتوصل خطابين الى وسيط لهم هناك وزيادة على ذلك أرسل بنفسه خطابين الى السفارة السوفيتية فى باريس ـ وقال (ولكن ماذا يريدون ؟ قد فسرت فى كل من خطاباتى الاربعة نفس الشىء وهو انى (أبصق دما) وهذا الشك والشبهة ليسا من ناحيتى أنا · هذه هى الحقيقة) ·

وقال أن (الاستاذ رافتسكى Professor Ravetzky) وهو طبيب العائلة هو أيضا صديق متين لرئيس شرطة باريس وقد تمكن من الاطلاع على الدوسيه الخاص بى وقد ذكرت فيه تواريخ جميع سفريات (جاك) التى قام

بها فى الاعوام الاخيرة الى خارج فرنسا • وعندما سـأل الاستاذ رافتسكى رئيس الشرطة الفرنســية عن الباعث على هــذا قال أنهم عجبــوا من كثرة سفريات (سوبل) الى فينا عشرات المرات • ثم أضاف (وانك تدعى أنك تسافر من أجل العمل لصالح مصنعك فى شعر الخنازير علما بأنه لا توجد أى عمليات شعر خنازير فى فينا) •

زار المخبرون مصنعه مرة أخرى أخيرا ولم يكن (جاك) موجودا وقتذاك فى المصنع فسألوا مساعده (جاكوى آجر)وهو رفيق‌شيوعى وظل‌استجوابه ساعات •

بدا لى أن العجلة تدور أسرع وأسرع ثم تذكرت أيضا أن (آجير) هذا هو المخبر الذى دفعته موسكو للتجسس على (جاك) •

وقال سوبل (طار النوم من عين (ميرا) ليال وليال وقد كان فى عقيدتها أن (جين وجورج) هما أصل هذا البلاء وربما كانا يعملان لحساب أ م ج • لا شك فى هذا) •

صمم (جاك) على أن (زيلاتوفيسكى) كان يسعى منذ أشهر لان يتصل بالشرطة السرية من‌وراء ظهره وأنه وزوجته لن‌يترددا فى الوقيعة بينه وميرا زوجته وبين موسكو •

وأخذ يقول فى حنق (من المؤكد أن (ستيرن) وزوجته‌حاولا نسفى‌وهما لم يشيا بى عند الجماعة فى موسكو فقط بل أن (جين) كتبت خطابا بذيئا الى ميرا زوجتى تتهمها فيه بحقدها عليها) •

فسألته (كيف دخلا فى‌جماعتك فى أول الامر ؟) وكنت أحاول أن‌أعرف هل سيقص على نفس القصة التى ذكرها لى من قبل ، وبالفعل ذكرها وهى أن (مارتا) عرفت (جـ ين‌فوستر) فى واشنطن منذ سنوات وقدمتها اليه ثم بعد أن جندت (جين) بعد قليل قدمت له (جين وجورج) معــا ، وكان (جورج) فى ذاك الحين فى فرقة مخابرات الجيش Army Intelligence Division

وذكر (جاك) الكثير عن سلوك (زيلاتوفيسكى) المشين حتى زلف لسانه، فكالعادة أنه من‌المضحك الاستماع الى جاسوس وهو يتحدث عن فظاعة الخيانة التى يقوم بها زميله ، فى حــين أنه وزوجته لم يقفــا عند حد فى نذالتهمــا وخداعيهما •

وكما قلت من قبل كنت آسف من أجل (جاك) ، ولا أظن القارىء يقبل أن يتعاون مع أى شخص طول هذا الزمن دون أن يكتشف أن فى خلقه قليل من الود لذلك أحببت كلا من (جاك وميرا) فقـد كانا صديقين لى فى بعض الظروف • وذلك رغما عن تصميمى على هدمهما قبل أن يهدمانى ويهدما كل آمالى • وقد كان مقلبا منهما عندما أخبرنى (جاك) أن اليوم هو عيد ميلاد (ميرا) وسيحيون الحفل بالعشاء فى (دومينيك) ودعانى جاك على العشاء ولكنى وعدته بأن أحضر بعد العشاء •

وبعد أن تركت (جاك) ذهبت الى (دومينيك) وطلبت تحضير باقة كبيرة من الورد لتوضع على طاولة عشاء (سوبل) بعد وصولهما مباشرة ثم ذهبت فى نحو التاسعة والنصف وشربت نخب (ميرا) بالشمبانيا داعيا لها بالصحة والعمر المديد •

وكنت بعد ظهرذاك اليوم طلبت من (جاك) أن يحضرمعى الى فيناليستمع الى الموسيقى ولكنه رفض بشدة وقال أن أمله الوحيد هو مقابلة (كروتوف) ووعد بأن يكتب خطابا • وبعد قليل دخلنا غرفة الغسيل للرجال حيثطلبت منه تنفيذ طلب (افاناس) ولكنه رفض كلية الرجوع الى فينا فطلبت منه أن يكتب لى بخطه وتوقيعه أنه رافض •

فأخذ ورقة وهو حانق وكتب فيها بالروسية (سوف يشرح لك صديقنا مسألة مرضى وكذلك كانت لودميلا) ووقع على الورقة ـ بيتر •

هذا كل ما أمكننى أن أحصـل عليه بخطه وقـد قال أن هـذا يكفى لان (كروتوف) يعرف خطه تماما •

وبعد نظرة ماكرة الى قال (هذا بالطبع اذا كانت الورقة ستصله) •

سألته : ومن هى (لودميلا) •

ـ انها (ميرا) •

ـ وهل اسمك الكودى هو بيتر ؟

فقال : انك تسأل أسئلة يا صديقى •

بعد أن صورت أ م ج هـذه المذكرة القصيرة طلبوا منى أن اسـلمها الى (افاناسى) وقد هنأونى على الحصول عليها كما هنأونى عند تسليمهم خطاب (زيلاتوفيسكى) الذى خطه بيده والذى اعترف فيه باتصاله بموسكو .

بعد ذلك بأيام قليلة وصلت فينا ومعى هذه المذكرة القصيرة المرسلة من (جاك)وطلبت من (افاناسى) أن يقترح على موسكو أن تسمح (لابرام)أن يرجع الى الولايات المتحدة وقلت (فقد يلغون جواز سفره اذا بقى فى فرنسا وكلنا نعلم أنه ـ يبصق دما ـ) فأخذ (يافيموف) كعادته يكتب كل كلمة نطقت بها ، وعندما سلمته المذكرة فحصها جيدا ووعد أن يكتب الى موسكو فى الحال ليطلب منهم الرأى عاجلا . وقال أيضا أنه عزم على أن يرسل اليهم خطابا بالبريد الجوى وبه هذه المذكرة نفسها ومعها تقرير عن مقترحاتى .

وفى الاجتماع التالى معه أفادنى برد موسكو ومضمونه أنهم يدركون تماما موقف (ابرام) وليس عندهم أى مانع من سفره الى الولايات المتحدة وشرطهم الوحيد هو مثوله الى (كروتوف) لتسلم التعليمات منه ولا يعطله ذلك أكثر من يوم واحد . ولن تمانع الحكومة الفرنسية فى سفره الى سويسرا فلا بد له من مقابلة صديقه العزيز (كروتوف) . وأكد لى (افاناسى) أن التعليمات التى سيأخذها من (كروتوف) تتعلق بأمر تسريح جماعة (سوبل) الحالية فى أمريكا وتنظيم شبكة جديدة فيها من عملاء جدد .

ويجب أن يحدد التاريخ الذى يرغبه (ابرام) قبل موعده بخمسة عشر يوما ـ وكتابة ـ .

فسألته (لمن ؟) وكان سؤالى بلهفة .

فقال لى بعد أن نظر الى نظرة حادة (يعرف (ابرام) تماما لمن يكتب وكيف ينتقى كلمات مثل هذا الخطاب . وهو يعرف أيضا المدينة التى سوف ننتظره فيها فى سويسرا) .

وقال (افاناسى) أن هناك طائرة سوف تنتظره فى سويسرا لتأخذه اما الى موسكو أو تشيكوسلوفاكيا حيث سيتلقى التعليمات ، وبعد ذلك سوف يقوم (جاك) برحلتـه الطويلة الى الولايات المتحـدة وان (ابرام) سوف ينبئنى بكل التفاصيل عند أول مقابلة لنا فى نيويورك .

وقال افاناسي (من المؤكد أنه لن يجـد (ابرام) أى صـعوبة فى هـذه المأمورية) ثم طلب مني أن أكرر هذه الجملة مرارا وتكرارا حتى أذكرها الى (سوبل) بألفاظها وكان يصحح لى العطف والوقف فى نطقها ..

ذكرت (لافاناسي) أنه ان أراد أن يحضر(جاك) حقيقة فى الموعد دون تأخير فالاصوب كتابة خطاب خاص اليه فالخطاب له تأثير أشد . ولكنه هز رأسه بالرفض .

فى أواخر مارس ١٩٥٢ سلمني (افاناسي يا فينوف) خطاب (كروتوف) الى (جاك) وهو مكتوب باليد وبالالمانية وكان رده مختصرا وبدأ (صديقى العزيز القديم) وتضمن اسفه لان المرسل اليه كان مريضا وآمل أن الطبيب البروفيسور قد شفاه بسرعة . وهو وثق بانهما سوف يتقابلان قريبا جدا وكان توقيع (كروتوف) بالحروف الاولى أ . م .

عندما وضعت الخطاب فى جيبى هنأت نفسى على حصولى على بينة جديدة على اشتراك (سوبل) في أمور الجاسوسية وعجبت من أن (سوبل) بعد أن يقرأ هذا الخطاب سو فيتردد فى أن يقوم برحلته الى موسكو . وهكذا أخذ السر الذى من أجله حاول الروس جاهدين وصبورين فى التحايل على ارغامه على السفر الى براج أو موسكو يتبلور يوما بعد يوم .

عندما رجعت الى باريس لم يكن فيها (سوبل) وبعد سـاعات من دق التليفون ردت على (ميرا) وقالت أن (جاك) سافر الى المانيا وسوف يرجع فى اليوم التالى .

حضر وللمفاجأة كان سعيدا عندما تلقى الرسالتين الشفاهيتين مع خطاب (كروتوف) . ولا حاجة لى بالقول بأنى كنت سلمت ذاك الخطاب وجميع الرسائل الاخرى الى أ م ج لنسخها . وقال أنه ولو أن صديقه القديم(ساشا) لم يوقع الخطاب الا أنه ميز كتابته الالمانية . وبنظرة (غرامية) أخذ يدرس الحبر الذى استعمله الجنرال ثم وضع الخطاب أمام النور حتى يمكنه اختبار الخط على الورق .

وبعكس المرات القليلة الاخيرة التى اجتمعنا فيها سويا ، بدا اليوم (جاك) بروح معنوية عالية . واتضح أنه سوف يصدر كمية كبيرة من شعر الخنازير الى شركة فى نيويورك وستدر عليه هذه العملية ربحا مقداره ٥٠٠٠ دولارا أو أكثر .

وقال أن الكمية التى سيصدرها تبلغ ١٢ ألف كيلو من الشعر • ولكن أمرا آخر كان هو الداعي لسعادته وهو وصول تلغراف اليه أطلعنى عليه من رئيس مجلس الشركة بنيويورك وقد قال فيه : احضر الى هنا وسيرتب أمر كل شيء •

وكلمة كل شيء فسرها (جاك) بأن مسألة جواز السفر قد حلت •

وفى اليوم التـالى قابلت (زيلاتوفيسكى) وقد حدثت مفـاجأة سارة ، (فجورج) صاحب المسألة الدولية المعقدة الخاصة بتشغيله ، قد حصل على عمل كمراجع لقاموس فنى لمكتبة التعليم العام للحكومة الفرنسية وستدفع اليونسكو بعض مرتبه •

ولو أن (زيلاتوفيسكى) وزوجتـه حاولا المستحيل من أجـل العمل مع الشرطة السرية الروسية ولكنهما الآن ابطلا النزاع مع (سـوبل) • وقد كانت (جين) صلبة الرأس عصبية وفى مرة كانت مخمورة وتشاجرت مع زوجها (جورج) فرمت بنطلونه الوحيد من النافذة ثم رجاها أن تنزل الى الشارع لترجعه اليه ولكنها رفضت واضطر (جورج) السيء الحظ أن ينزل بنفسه الى الشارع وهو يلبس بنطلونا قصيرا (شورت) ليلتقط البنطلون •

وفى اليوم الذى اخبرني فيه عن عمله الجديد وعدنى بأن يسلمنى نسخة من القاموس الفني بعـد طبعه مباشرة وقال (واريد منـك أن توصـله الى الرئاسة فى موسكو ليروا كم أنا كفء فىتأدية عملى) • والحقيقة أنهوزوجته فضلا أن يعملا من أجل المذهب الشيوعى سواء فى فرنسا أو سويسرا •

وقد علمت أن حكومتنا متلهفة على وصولهما اليها للتحقيق معهما بأسرع ما يمكن •

قلت له (انى ذاهب الى كاليفورنيا يا جورج حالا ــ الا تحب أن تقضى وقتا فيها أنت وجين) ؟

فلمعت عيناه ورد قائلا (أود لو أنى قمت بعمل انشائى فيها) فوافقت على أن ابحث له هذا الامر واكتب اليه اذا وجدت ما يناسبه فيها • ولـكن بعد أن وصلت الى هناك بمدة قصيرة كتب الى يقول أنه وجين قد غيرا رأيهما بخصوص الرجوع الى الولايات المتحدة ولم يذكر السبب • وربما خشيا من أن (سوبل) قد غدر بهما وخانهما ومن المحتمل أيضا أن (جين) شكت فى كما حدث من صديقتها (مارتا ضوض) منذ سنوات •

كان يوم ٦ مايو ١٩٥٢ يوما هاما آخر بالنسبة الى · فقد كان أول يوم ثلاثاء فى الشهر وكنت فى نيويورك ومعنى هذا أنه بامكانى أن أذهب الى الموعد فى ٥٨ شارع غرب فأقابل الوسيط الجديد الذى عينه لى (افاناسى) وقد استعد أ م ج لتصوير الحادث بأكمله ·

كانت الساعة الثالثة بعد الظهر ولو أن (افاناسى) كان قد عارض فى هذا الوقت من اليوم وقال أن اللقاء فى الليل اسلم ولكنى ـ بعد اتفاقى مع أ م ج صممت على اللقاء بعد الظهر بدعوى أنى عندما أكون فى نيويورك أكون مشغولا فى الليل فى أعمالى المسرحية ، وكانت رغبة أ م ج بعد الظهر هو لتمكينهم من مراقبة المقابلة ·

عندما لم يأت أحدا رتبت فى أنى نسيت مكان أو زمن الموعد والتفاصيل الاخرى ، وقد قضت التعليمات أن أحمل تحت ابطى الايسر البوما لاسطوانات الفونوغراف به اسطوانات موسيقية من برودواى ، وكنت متأكدا من العنوان والوقت · وكان على أيضا أن أمشى ذهابا وايابا أما الشقة فى ذاك المنزل ·

فأين هو الوسيط المفروض أن يقابلنى ويقول لى (هل سمعت هذه الاسطوانات ؟) والذى كان سيعرفنى من اجابتى (لقد اشتريتها للتو من محل موسيقى الحرية فى شارع ماديسون) ؟

بدأت اضحك من المسألة بأكملها وخاصة لانى أعرف أن مندوب أ م ج مختبىء بآلة التصوير ومستعد للعمل · ثم أنى تضايقت لان لون العمارة التى أقف أمامها كانَ داكنا فكنت ظاهرا بشكل يستلفت النظر ·

وعندما بدأت أشعر أن البواب قد ضاق بى واستعد لان يسألنى عن سر مشيى ذهابا وايابا أمام عمارته غادرت المكان غاضبا ورميت الالبوم فى أول بدروم صادفته ·

وفى ٣ يونيه ، وهو أول يوم ثلاثاء فى الشهر التالى ذهبت مرة أخرى لنفس الموعد وعجبت فلم يظهر الوسيط ، كذلك لم يظهر فى الشهرين التاليين ·

ومع ذلك فقد حدث أمر أهم من هذا بكثير · ففى الاسبوع الاول من يونيه أدرت التليفون الى صاحب شركة شعر الخنازير الذى أرسل التلغراف الى (جاك) وقال له أن كل شىء قد رتب فقال لى أن (جاك) الآن فى طريقه

بالبحر وسيكون هنا فى العاشر من الشهر وظهر من حديثه الى أنه يثق كثيرا فى كفاءة (جاك) فى عمليته ومقتنع أيضا باتصالات (سوبل) الكثيرة فى المانيا وقال أنه تقدم كثيرا فى هذا المشروع فى الخارج ·

وفي نفس الوقت تعمدت أن أقابل أخا (جاك) ـ الدكتور ـ فى الطريق مصادفة وقد قابلته مرارا فى شقة (سوبل) فى واشنطون هايتس وانى موقن أن (جاك) أخبره أنى دخلت ضمن حلقة الجاسوسية ولذلك لم اتردد فى أن أقول له أنه كما أعلم قد ترك العمل مع السوفيت منذ أكثر من عام ·

فقال لى بحرارة (بودى لو أصدق هذا · (يا ريت) وانى لم أوافقه أبدا على رأيه ولو أنى عملت جهدى لانقاذه كأى شقيق شريف ولكنه الآن أصبح فى لجة من النار ولا أدرى كيف يمكننى أن أعينه ولا أعلم كيف يمكن لاحد أن يعمل من أجله) ·

أصبح للرجـل الآن خبرة تامة ولم يوافق على اندماج جاك مع الشرطة السرية الروسية ولذلك رجا من جاك منذ عام مضى أن يتخلص منها ويرجع الى الولايات المتحـدة · ثم قال (ما كان يجب أن يتلـكأ فى التخلص حتى اللحظة التي ينتهى فيها جواز سفره · انه يعرف الخطر فى هذا فقـد عاش فيها خمسة أعوام فقط وسيثير الشك عند المسئولين الحكوميين اذا قضى مدة طويلة فى خارج البلاد كما تعود · صدقنى أنى سابتعد عنه واتركه لحاله فان رجال أ م ج ليسوا فقط فى غاية من الذكاء بل أنهم يستخدمون اناسا من جميع أنحاء الدنيا لمساعدتهم فى مقاومة الجاسوسية) ·

تذكرت عندئذ (جاك) عنـدما اخبرنى أن أخاه قد استجوبته أ م ج ثم قال (أظن أنك ستنزعج لو أن أ م ج استجوبتك يوما ما) ثم قال :

(لم استجوب فى حياتى أبدا · ولا أدرى لم فان (فالنتين جوبيشيف) وهو صديق (جوديت كوبلون والمسز جوبيشيف) كانا من مرضاى وزبائنى وقد استجوبا ، وقد استجوبت أ م ج طبيبا آخر وهو جراح وأجرى عملية جراحية لجوبيشيف فلماذا تظنهم قد اهملوا استجوابى أنا الآخر ؟)

لم أعرف السبب حقا فاجبته بأنى لا أعرف ·

أهم ما لفت نظرى فى هذا هو كذب (جاك) على فى هذه المسألة · فلم اخبرنى أن أ م ج قد استجوبت اخاه ؟

أكان الداعي لهذا أن يوعز الى بأن اخبر الوسيط السوفيتي في فينا بهذا؟ أو كان له غرض آخر يرمي اليه ؟

اكان لهذا الكذب علاقة بالمعلومات التي ظن رؤساؤه في موسكو أنه حبسها عنهم ؟ أو أفهم من هذا أنه بدأ يشك في أني من جماعة مقاومة الجاسوسية ؟

عندما وصل (جاك) من الخارج على السفينة ليبرتي كنت أنا وتاجر شعر الخنازير في انتظاره على الرصيف· حضر (جاك) في اليوم التالي الى حجرتي بفندق ميوريس وقال أنه زار بيرن وعندما رآه الرجل الجديد لم يكن منه الا أن يصيح في وجهه ومشيرا الى الطائرة التي تنتظره كي تقله الى (كروتوف) ولكان (جاك) صمم على محادثة (كروتوف) تليفونيا دون السفر اليه وأخيرا أقنع وسيطه الجديد بأنه من الانتحار أن يسافر الى أى جهة غير الولايات المتحدة لان الشرطة الفرنسية تراقبه عن كثب ثم قال (واخبرته أن جماعتي بأكملهم لا بأس عليهم باستثناء (زيلاتوفيسكي وزوجته) ثم وعدا الرجل بأنه لن يستمر في أمور الجاسوسية حتى ينتهي من تجديد الجواز الامريكي·

ثم قال (ولكني سواء ظفرت بتجديد جواز السفر أو لم أتمكن من ذلك فاني أشعر أنهم لا بد قد علموا لي ملفا خاصا في وزارة الخارجية) ·

أصبح (جاك) مفلسا وطلب مني ن أدينه بمبلغ ١٠٠٠ دولار ولكني صرحت له بأني مفلس أنا الآخر بسبب التعطيلات التي طالت بخصوص مبلغ الـ ٣٥٠٫٠٠٠ دولارا التي سبق أن وعدوني بها ·

ثم قال لي (سوبل) : لن يأتيك هذا المبلغ أبدا يا بوريس لانهم معتقدون أنك رجل ثري ، وقد لعبت عليهم هذا الدور بمهارة وزمنا طويلا) ·

تظاهرت بالاسى لان جهودي أخيرا كلها ضاعت سدى ·

ولكن هذا لم يكن ذا أهمية بالنسبة لما اكتشفته في زيارتي التالية الى فينا كما سيلي ·

الباب الثاني عشر

عندما كان وقت تصفية الحساب فى موسكو

تعيش نيويورك على سمعتها بأنها مصيفا جميلا فهى « مدينة مبتسمة » كما يقولون ويستعرض زائرها فى الصيف آلافا من فتياتها الحسان كمايمكن أن ترى بهاءها حيث تمر فيها آلاف النســاء اللواتى يلبسن ابهى حللهن ، وقد نزعن عنهن أردية الشتاء من انفرو الثمين وظهرن فى أجمل الفساتين الشفافة فكن على الفطرة لطيفات كالفراشات فى غاباتها .

كذلك تبدو لى أنها تجتذب اليها العشاق والعرسان ليقضوا شهر العسل فى نيويورك وقت الصيف ، فأينما ذهبت واينما استدرت وجدتهم أمامك فتجدهم يضحكون ويشربون فى القهاوى العامة ويرقصون فى أسطح الفنادق وتجدهم يزحمــون دور العرض فى برودواى زرافات فى الشــارع الخامس ويروحون ويجيئون وايديهم متشــابكة ويدخلون كل محــل تجارى . وهم كذلك يزدحمون فى البواخر النهرية فى نهر هدسون كما يقومون برحلات فى الاتوبيسات يستعرضون جمال الطبيعة خلف نوافذها الزجاجية فى شوارع مانهاتان ثم يصعدون لاعلا عمارة Empire State Bldg. ، ثم يصعدون الى جميع الديور ثم يزورون صالة العظماء Hall of Fame بجرأة عجيبة ثم يغطسون فى الامواج المتلاطمة فى خليج جونز . وانى أحيانا أظن أن هؤلاء هم الذين يمنحون نيويورك فى كل صيف الحيوية والمظهر الذى يجعلها شابة ابد الدهر وتظل حيوية ومثيرة .

أما بالنسبة (لجاك ســوبل) ذلك الرجــل المضطرب الخانق فقــد بدت نيويورك فى صــيف ١٩٥٢ ككابوس بسبب الجزع الذى اصــاب رأسه . وفى ذات الوقت كانت زوجته (ميرا) التى كان يعتمد عليها كثيرا فى ايناسه وتقوية روحه المعنوية فى باريس تحــاول أن تبيع مصنع شــعر الخنازير ، كذلك افتقد ابنه الوحيد (لارى) فلم يكن موجودا معه .

أظن أن (سوبل) قد خشيني وخشي أن أغير من تصرفاتي نحوه عندما علمت أنه هرب من الخدمة السرية الشيوعية وأنه لم يستأذنهم فى الذهاب الى نيويورك ، الا أن صداقتي ـ كانت تهمه جدا معتقدا أن بامكانى رفع المبلغ المخصص له حتى لا تتدهور أحواله المالية الى الحضيض ٠

أصبح يضطرب ويخشي من كل الامور ـ كل ما حدث منها وما لم يحدث منها أيضا ٠ كان فى مركز الرجل الذى يريد أن يقفز من جو معادى له الى جو معادى آخر ٠

كان لا يزال ولاؤه للشيوعية ولكنه يشعر أن رخاءه واستقراره لا يتأتيان الا فى العالم الرأسمالى ٠ وهكذا وقع بين العالمين المتناقضين معلقا بينهما فى الفضاء محاولا أن يمسك بأهداب أحدهما تماما قبل أن يهجر الآخر كلية ٠

سواء كان هذا الرجل صديقا أو عدوا فان من المؤلم أن يراقب الانسان هذه الحيرة فى رجل أصبح محل عطف وشفقة ٠

وكان لا بد لى من مراقبة هذه الحالة فقد وعدت رجال أ م ج أن اراقبه وانتظر ما يكون من أمره واشجعه فى أن يخدع نفسه ولو أنى لم أكن أحب هذا الموقف لى ، فلن يسر هذا المنظر الذى خلقه (سوبل) لنفسه الا شريرا غليظ القلب ٠

وقد وجدت نفسى مئات المرات مضطرا لان أمد يدى اليه وأقول (يا جاك الا ترح نفسك من هذا الكرب ؟ انك فى موقف لا تحسد عليه ٠ اترك كل هذا ٠ ان أ م ج ليست كالشرطة السرية الروسية بل انها ستعطيك حقك من الاعتبار) ٠

الا أن (جاك سوبل) لم يكن مستعدا لان يتنحى عن الشيوعية كأنها المثل الاعلا فقد اعتنقها كما اعتنقتها زوجته منذ أمد بعيد وباخلاص ٠ وهما لا يزالا يريان أن فيها خلاص الانسانية وهى الامل الاخير للبشرية فى سلام عالمى ٠ وقد قضيا فيها أحسن سنى عمريهما ومنحاها كل ما ملكا مرة ومرة ٠ وهكذا كانت الشيوعية مذهبا دينيا وسياسيا لهما كما كانت للكثيرين غيرهم ٠

وفى أحد ايام الصيف مرت فترة ظننت فيها أنه مستعد للخطة التى كان يترقبها ، فقد سب فظاظة رؤسائه فى ادارة الجاسوسية السوفيتية قائلا : (انهم برابرة ليست عندهم اخلاق ٠ ولاضرب لك مثلا بسيطا : هل قدروا

مرة لطف امرأة مثل (ميرا) ؟ انهم ارادوا أن يبعثوا بها فى مأمورية خطيرة ، انه لا يعنيهم فى شيء أن يصيب حياتها أى خطر • ثم انظر لهذا الرجل الذى جعلوه رئيسا علينا هنا ! زوبيلين • انه وحش سكير عربيد • بل أنهم جميعا برابرة واقولها لك علانية ــ وحوش • حيوانات) •

زفرت زفرة أوافقه فيها على ما يقول وقد ظننت أن النضال الذى كان دائرا فى صدره قد قارب النهاية وقلت بهدوء (الا توافقنى أن نتخلص منهم؟ اذا اقتنعت بهذا يا جاك فانه يمكننا •••)

ولكنه لم يدعنى أتم حديثى بل استمر فى حديثه الاول فقاطعنى قائلا (لا يزال هناك (كروتوف) ويمكننا دائما أن نرجع اليه فى ظروفنا العسيرة وهو موثوق به فى كل الامور فماذا علينا ؟ فلنعطهم فرصة أخرى) •

وبعد أن استرد أنفاسه بدأ يعيرنى لتصديقى ــولغبائى كنتفعلا أصدقــ انى سأحصل على مبلغ الــ ٣٥٠٫٠٠٠ دولارا منهم وقال (انها هى عادتهم دائما ، لا يصدقون فى عملهم ولا فى دفع النقود • انهم فقط يتكلمون عنها دائما وكثيرا • صدقنى فأنا أعرفهم) •

كان (جاك) مقتنعا بالطبع بفكرة أنه ليس الضحية الوحيدة لضربات زملائه الشيوعيين التى لا تنتهى • واخبرنى مرة أنه منذ مدة غير طويلة قد كتب هو وأحد العملاء السريين الآخرين كشفا بأسماء مائة وخمسين من الجواسيس الرجال والنساء الذين عرفاهم أو عملا معهم وقد وجدا الآن أنهما لا يعرفان أين هؤلاء الناس ما عدا ثلاثة منهم فقط هم الموجودون • وقال :

(وقد يكون بعض الآخرين قد ارتدوا عن الجاسوسية وتخلصوا وهؤلاء هم أحسنهم حظا) •

كان (جاك) أيضا متضايقا من كشف حلقة الجاسوسية الروسية فىلندن ففى ٢٤ يونيه قبض على (وليام مارشال William Marshall) وهو عامل راديو فى وزارة الخارجية البريطانية واتهم بايصاله معلومات سرية الى (بافل كوزنيتسوف Pavel Kusnetsov) السكرتير الثانى فىالسفارة الروسية وقد حكم علىمارشال بالسجن خمس سنواتلمخالفته قانون الاسرار الحكومية البريطانية •

أما (كوزنيتسوف) فقد طرد من الدولة وارجع الى وطنه ذلك لانه دبلوماسى اجنبى ، ومع كل هذا فقد كانت عواطف (سوبل) دائما مع هذا الروسى الذى صوره كضحية أخرى لعدم كفاءة الرؤساء فى موسكو، وكان (كوزنيتسوف) يوما وسيطا لجاك عندما كان ملحقا فى السفارة الروسية فى باريس ٠

وقد أخذ يكرر لى (كان يجب أن يحموا (كوزنيتسوف) ــ) ٠

أما مستقبل (مارشال) الشاب الذى كان مخلب القط فى هذه المؤامرة والذى أصبح اسمه عبرة طول الحياة وقد أرسل للسجن بتهمة خيانة وطنه فكل هذا لم يهتم به أقل اهتمام ٠

قمت بسفريتين الى أوروبا فى ذاك الصيف وكانت الاولى خاصة بأعمالى الشخصية فى الخارج ٠ وقفت قليلا فى زيورخ ثم فينا وباريس ولم أر فيها الا بعض رجل الافلام ثم رجعت بعد ثلاثة أسابيع ٠

وقد وجدت (جاك) فى نيويورك متشائما أكثر من أى وقت على عدم امكان حصوله على تجديد جواز سفره وكتب الى (ميرا) أنه يريدها هى و (لارى) ابنه معه فى نيويورك فى أواخر أغسطس سواء كانت قد باعت المصنع ام لم تنته من بيعه وقال أن مسألة تعليم ابنهما لارى هى غاية ما يرنو اليها فلا بد من الحضور ٠

أما سفريتى الثانية الى أوروبا فقد مكنتنى من رؤية (ميرا) بالكادو توديعها على السفينة وهى ذاهبة الى أمريكا ٠

وقالت لى ان (جاكوى أجير) مدير المصنع قد أراد أن يشتريه لنفسه ولكنه لم يجد معه الما ل الكافى ٠

ساعدتها فى مسائل العفش وحجز المحل وما الى ذلك ٠

وجاءت المفاجأة الكبرى فى هذه السفرية فى فينا عندما أخبرنى (افاناسى) أن (جاك) لم يسافر قط الى برن فى حين أنه أخبرنى بذلك مؤكدا ، فعندما أخبرت (يافيموف) بذلك قال (لم يذهب (ابرام) الى سويسرا كلية بل انسحب من فرنسا دون أن يخطر أحدا حتى ولا (كروتوف) علم بسفره وكان سلوكه هذا غريبا علينا جميعا ٠ فعندما تقابله مستقبلا ذكره بأننا لا نزال نعتبره مسئولا عن السبعة وخمسين ألف دولارا التى يدين بها لنا ونحن نريد منه أن يقدم حسابا عن هذا المبلغ) ٠

كذلك فاجأني (يافيموف) مفاجأة أخرى عندما شكوت له أمر الوسيط الجديد في نيويورك الذى لم يقابلنى عند ٥٨ غرب من الشارع ٥٨ وقلت له (انى ذهبت الى الموعد فى أربع مرات مختلفة فى يوم الثلاثاء الاول من كل شهر) عند ذلك ابتسم وأخرج من جيبه صورة جميلة ملونة وكانت هـذه الصورة لى وأنا أقذف بألبوم الاسطوانات فى سلم البدروم ٠

وفسر (افاناسى) المسألة بقوله (ان الوسيط كان موجودا ولكنه لم يتصل بك لان هذه المواعيد ـ وكلها بعد الظهر ـ لم تكن مناسبة كلية) ٠

ولم يظهر (يافيموف) نفسه فى أحد المواعيد التالية فى أرض التزحلق بالعجل Skating وبدلا عنه جاءت فتاة اسمها (جرانيتشا Granitscha وهى شابة جميلة ٠

وقد قدمت لنا الفودكا والطعام أثناء اجتماعاتنا الاخرى ، أخذتنا هـذه الفتاة الى الشقة وكان ينتظرنى فى هذه المرة أمريكى ظريف اسمه (كرستوفر جور جفيش بتروسيان Shristopher Georgevich Petrosian) وقال أنه رئيس (افاناسى) وأنه أرسله فى مأمورية خاصة خارج المدينة ٠

فى هذه المرة صدقت تماما تحذير (سوبل) لى من أنى لن اتسلم مبلغ الـ ٣٥٠٫٠٠٠ دولارا ٠ وفى الحقيقة انى كنت قد لغيت ايجار الشقة التى كنت استأجرتهـا لتكون مكتبـا فى نيويورك منـذ بضعة أشـهر ، الا أن (بتروسيان) كان مظهره معى وديا جدا حتى أنى آملت أن أعمـل محاولة أخرى معه فلعلها تنجح ٠ فعندما لم تصلنى غير الاعتذارات القديمة المألوفة صرخت (ياخوانا ـ ايه المصايب دى! لقد وعدتونى منذ سنوات بقرب وصول النقود ولم يصل منها شىء ولم تصلنى منكم غير الوعود الضخمة فى كل مرة، فليس أسهل عليكم من تقديم الوعود) ٠

قال (بتروسيان) أنه يعجب من سلوكى هذا ٠

فقلت له (ماذا أعمل فلربما أجد منكم حلا بعد كل هذا) ٠

لقد كانوا أكثر منى رغبة فى البدء فى مشروع التليفزيون ، فقال ولكن يجب على رجل ذى خبرة وتجربة مثلى أن يقدر أن الروتين الحكومى هو هو فى كل مكان فهو بطىء ولايمكن أن يسرع كما نشتهى فهودائما يكتل ويؤجل كل شىء ٠

ولما كانت هذه هي آخر محاولة لي للحصول على المال شعرت أن من حقي أن أقول آخر كلمة لي (وهكذا أوعزت الى الدولة لأؤجر مكتبا في نيويورك بايجار ٥٠٠ دولارا شهريا ثم اضطرتني أن أبقى على دفع هذا الايجار ثلاث سنوات! اني لم استعملها بل ولم أدخلها في غير مرتين فقط ، وبذلك ضاعت على ثمانية عشر ألف دولار هباء ثم أنكم ...) فقاطعني (باتروسيان) قائلا (الصبر !) • صبرت فربما كان لديه كلمة أخيرة يقولها •

كانت عند (باتروسيان) تعليمات يمليها على كي انقلها الى (ابرامسوبل) فقد وافقت موسكو على أنه ما دام (ابرام) في نيويورك فيمكنه أن يبقى فيها بصفة مستديمة ، الا أن هناك شرطان نهذا • يجب أولا أن يرد مبلغ الـ ٥٧٫٠٠٠ دولارا التي استدانها في يوم ما ، وثانيا يجب أن يرجع الى فينا بأسرع وقت للمناقشة مع (كروتوف) ، ومع ذلك فأى رسالة يريد أن يرسلها الى الوطن فعلى أنا أن أوصلها له • ثم صمم باتروسيان على أمر آخر: عندما اتسلم المال من (سوبل) فلا يجب أن آخذه معي الى أوروبا بل أحفظه في مكان أمين في أمريكا حتى تأتيني الاوامر عن كيفية توزيعه على الجواسيس فيها كأجور ومصروفات •

تحدث معي (باتروسيان) بطلاقة عن الكتائب من الدعائيين الذين وضعهم الكرملين في فرنسا وانجلترا ليخلقوا فتنة بين الدولتين • **وقد كان (باتروسيان) كجميع أفراد الشرطة السرية الروسية مفرطا في افتراضاته عن تصرفات الولايات المتحدة وكيف أنها تضمن السلم في العالم لو أن عندها شيئا من الادراك ، وهو يرى أنه لو أن (ايزنهاور) يرغب حقا في سلام عالمي لطار الى موسكو لا الى كوريا •**

وتكهن (باتروسيان) بأنه ان لم تقبل أمريكا التعاون فسوف تشتعل الحرب في الشرق الاوسط ، ويعلم (باتروسيان) بالطبع عما يتحدث ، فقد كان الى هذا الوقت يعد نفسه للسفر الى الشرق الادنى ليضع مع سياسي مصر ودول أخرى في البحر الابيض برميلا من البارود لصالح روسيا • وكان هذا الداهية (باتروسيان) حقا أوفق من يقوم بهذه العملية •

فهو يجيد اللغة العربية ولغات شرقية أخرى ، وهو متصل باغلب كبار الرجال في الشرق الادنى وهم معدودون ومنهم (ناصر) • وقد ذكر لي (افاناسي) بعد ذلك هذه المأمورية الخرافية التي خطوها لصالح المذهب السوفيتي في هذه المنطقة الحساسة جدا من العالم وهي تجنيد رجال الدين

المسيحيين والمسلمين كى يحاربوا من أجل الشيوعية في مراكش ، ولـكنه قال أن الصعوبة هي في وجود قسس فرنسيين يتحدثون باللغة العربية ولا يمتنعون عن الاشتراك فى هذه العمليات .

تعطلت بسبب أعمال المصلحة فى أوروبا حتى ديسمبر ، وعندما تقابلت أخيرا مع (جاك) فى نيويورك انكر انكارا شديدا أنه أهمل أو غادر فرنسا دون اذن من موسكو وقال (انها لعبة قديمة. فهم لا يعترفون بالحقيقة أبدا اذا كان فى الكذب خدمة لاغراضهم) .

وقد اصغى بانتباه الى عندما اخبرته بما قاله رئيسنا الجديد فى فيناولكنه قال أنه لن يرجع ليقدم الحساب الذى يطلبونه بل بدلا عن ذلك فهو سيكتب خطابا آخر الى كروتوف .

فسألته : (تانى ؟ ونفس الكلام ؟)

فقال (بالطبع لا . عنـدى كلام مثير سأقوله لهم ، فعندى رجل جـديد عجيب يعمل معنا الآن . وهو يمدنى بالمعـلومات التى ستدعو النـاس فى موسكو يلعقون أصابعهم لذة فى كل مرة يقرأون فيها تقاريره . واسم هذا الرجل الجديد هو (سلافيا) . كانت هذه هى الطريقة التى أمل بهـا أن تتراجع الرئاسة عن تصميمهم على سداده مبلغ الـ ٥٧٫٠٠٠ دولارا .

ثم جلس وأخذ يكتب بأسلوبه الزائغ عن استحالة امكان سفره الى أوروبا بسبب صعوبة تجديد جواز سفره وهو يعد أنه بعد ازالة هذه الصعوبات فهو حتما سيقوم الى أوروبا وفى نفس الوقت فهو يقترح أن يرسل (كروتوف) رجلا ليتسلم مصنع فرش الخنازير ، ولكن (سوبل) حذر الجنرال وأكد عليه بأن الرجل يجب أن يكون ذا دراية بالعملية ومخلصا بالطبع للحزب . ولم يدرك (سوبل) ان كل هذا أمر مضحك فانه فى مركز المتهم بالاهمال والخطأ كما أنه مطالب بتقديم حساب عن مبلغ ٥٧٫٠٠٠ دولارا من أموال الحزب .

ثم كتب صحائف كاملة كلها مديح فى المدعو (سلافا) الرجل الخطير الجديد وقد اشار اليه فى الخطاب بحرف (س) .

كان الخطاب من ست عشرة صحيفة كلها مكتوبة بالكود وقد اعطانى (جاك) مفتاح هذا الكود (فعلامة × بعد الكلمة معناها أن هذه الكلمة أو الجملة التى فيهـا هذه الـكلمة معناها كلام آخر . فعـلامة × التى وضعها بعـد كلمة (كاليفورنيا) قصد بها أنها الكلمة الكودية لجنوب أمريكا . و (المستشفى العام) كان مقصودا بها (الواجبات الاساسية) وهكذا .

تم الاتفاق في نيويورك على موعد لى في فينا ، وكان عند تمثال (سيمون بوليفار) في مدخل الشارع السادس الى المنتزة المركزى ، ولكن مرة أخرى حدث انى انتظرت نحو أربعة أيام مختلفة دون أن يقابلنى أحد · وفى اليوم الخامس وكان ٣ مارس ١٩٥٣ جاءنى رجل غريب وعرفنى بنفسه أنه (ايفان Ivan) ثم اخذنا نتبادل (الكلام الفارغ) الذى أعد لهذا اللقاء ، فسألنى (هل سمعت هذه الاسطوانات ؟) فأجبت (لا · لقد احضرتها فى التو من محل موسيقى الحرية فى شارع ماديسون) ·

فقال ليتم كلمة السر (عال · فلنسمعها اذن معا) ·

(فى نفس هذه اللحظة صور أحد رجال أ م ج هذا اللقاء ، وظهر (ايفان) في الصورة كأنه (فاسيلى موليف Vassily Molev) الملحق بالقنصلية الروسية فى نيويورك) ·

مشيت أنا و (ايفان) فى المنتزة ثم جنوبا فى الشارع السادس حتى مطعم هاويس وأخترنا طاولة منعزلة وطلبنا قهوة ، وبعد أن قدم الساقى القهوة وذهب لحاله اعطيته الخطاب ولكنى عندما حاولت أن أعطيه الكود أوقفنى وقال ألا داعى لان يعرف هذا الكود · وقد سمع أنى راجع الى أوروبا قريبا ولذلك فهو يقترح أن أسلم هذا الكود للشخص المختص حينذاك ·

عندما رجعت الى فينا بعد ذلك بقليل كان (افاناسى) قد تسلم الخطاب وكتب الكود كما امليته عليه · وقد بدا عليه الضيق من أمر ما وعندما سألته عن السبب قال أنه غادر المدينة أخيرا فى مأمورية مدتها أسبوع وعندما رجع وجد أن زوجته وطفله قد اختفيا فجزع وتحدث مع الجنرال كروتوف تلفونيا فى موسكو ·

فرد عليه كروتوف (بالطبع أن زوجتك وطفلك فى أمان وقد رأينا احضارهما هنا فى موسكو حتى يزول الخطر) · فقلت (خطر !) مع أنى اعتدت من قبل الا اسأل أى اسئلة ولكن لم أقدر على اخفاء تعجبى ·

مثل (افاناسى) كأنه رجل فى رأسه سر يريد أن يستودعه أحدا فبدأ يسير مثقلا ذهابا وايابا فى الحجرة ·

صبرت لحظة وأخيرا أخبرنى عن المأمورية الخطيرة وهى أهم حادث فى حياته كجاسوس وليست الا قتل (تيتو) دكتاتور يوجوسلافيا ·

فذهب الى هناك ليدرس التفصيلات وليصدر آخر تعليماته لاربعة الرجال المعينين لمعاونته · أحدهم كان طيارا والثانى خبيرا بحريا والاخيران مدنيان· ولـكن كل واحـد منهم كان قادرا رصينا جبـارا عديم الرأفة وكان الجميع سيقومون بالعملية وهم متنكرون فى زى قسس كاثوليكيين ·

وقال افاناسى (اذا شعرت بأنى عصبى فذلك لسبب هو أن التاريخ الذى حدد لهذه العملية هو الثامن والعشرون من مارس أى بعد أحد عشر يوما من الآن · واذا حدث أى عطل فى تلك الليلة فسيكون تنفيذ اغتيال (تيتو) فى يونيه ·

تنهد وهز رأسه قائلا (فالامر كما ترى معقد وهو عمـل ترتيب جريمة سياسية هامة ، ولم أر في حياتي اشارات وكلمات سر معقدة وبهذه الكثرة ولا بد أن أعيها فى رأسى كلها فى نفس الوقت) ·

كنت لطيفا معه كثيرا طيلة الايام القليلة التالية فقد كان اضطرابه يزداد باضطراد ساعة بعد ساعة كلما اقترب موعد اغتيال (تيتو) ·

وفى ٢٨ مارس ١٩٥٣ ظللت اسـتمع الى نشرات الاخبـــار فى الراديو واشتريت جميع الصحف التى قابلتها · وفى صباح اليوم التالى طلبت شراء صحف أخرى قبل أن أقوم من الفراش ولكنى لم أر كلمة واحدة نشرت أو سمعتها فى الاذاعة تشير الى محاولة القيام بهذه المؤامرة ·

وعندما قابلت (باتروسيان) فى مايو التالى شرح لى ـ دون وعى منه أن مؤامرة الاغتيال قد ألغيت فى آخر لحظة ، قال هذا دون أن يذكر اسم (تيتو) كما قال أنه أرسل (افاناسى) فى مأمورية فى غاية من الاهميــة ثم اضطر لالغائها فى آخر لحظة ·

وقال بتروشيان (انى انقذت حياة (افاناسى) ، واذا لم الحقه فى آخرلحظة لقضى عليه بكل تأكيد ، ومع ذلك فهو الآن فى المستشفى يعانى اضطرابا عصبيا ، وكان يمكن أن يكون الآن جثة فى قبره لولا كفاءتى التى انقذته) ·
(اكانت هذه العملية هامة لهذه الدرجة ؟)

(هامة ! انها اغتيال شخصية هامة جدا حتى ان الصحف كانت ستعلن عنها بأنها الجريمة السياسية الكبرى فى العشرة سنوات الاخيرة) ·

والواضح ان موسكو غيرت رأيها عن (تيتو) فى آخر لحظة بعد أن تخفى الخمسة المتآمرين فى زى القسس واستعدوا لقتله • وقررت الدولة أخيرا أن (تيتو) ليس عدوا مكروها أو خطيرا بل انه من اصدق اصدقاء روسيا • واشعر ان هذه من حسن حظ (بتروشيان) أن وصلته تعليمات (يافيموف) فى الوقت المناسب •

سلمنى (بتروشيان) رد (كروتوف) على رسالة (جاك) الاخيرة وكانت لطيفة اللهجة ومكتوبة بالالمانية على الآلة الكاتبة وموقعا عليها بالاحرف الاولى م•م• وتضمنت تعجبه من تبدل العلاقة بين زوجى (سويل وزيلاتوفيسكى) ووصولها الى هذه الدرجة من العداء •

وقال (كروتوف) انه يريد أن يرى (سوبل) فى فينا ولا مانع من ان تكون المقابلة فى سويسرا اذا فضل (سوبل) هذا • أما بخصوص الامور المالية فلا داعى لان يوافق (سوبل) رأى بعض رجالنا ، والحق أنه ليس لكروتوف أن يدهش فمن السهل أن يثبت (ابرام) انه على حق تام (وكان دائما يقول عنه كروتوف ـ المستلم للمبلغ) •

كان عام ١٩٥٣ مليئا بالحوادث التى كانت تهيء لروسيا كيانها فى المستقبل بل والعالم كله أيضا • فقد مات (ستالين) فى ٥ مارس فبدأ النزاع الخطير بين الكبراء الذين أرادوا أن يخلفوه فى الحال ، ثم طرد (لافرنتى بريا Lavrenti Beria) رئيس الشرطة السرية الروسية فى ١٠ يولية كعدو للشعب ثم اعدم فى أواخر العام • وقد دكت انعكاسات هذه الحادثات نظام الجاسوسية الروسية من أساسها واستمرت فى دكها وتفكيكها الى عوامل متعارضة تكيد لبعضها سنوات بعد هذا العام • فبسقوط (بريا) اصبح جميع خلصائه آليا فى موضع الشك والاتهام • فالعملاء مثل (سوبل) وكان المعروف انه أحد أبناء (بريا) كان من حسن حظه ان لم يغتالوه • وكل واحد كان معجبا ب (بريا) كان يحاول بهوس أن ينقذ روحه •

وفى يونية خرج (افاناس) من المستشفى وقد تواعدنا على اليوم الرابع عشر الا أن سائقه (اليكسى Alexi) فضحه ، فقد قال أنه لاسيده ولا أى أحد من أفراد الشرطة السرية سوف يقابلنى فكلهم مشغولون بمسألة الارتباك الحادث فى برلين الشرقية وسيكونون تحت أمر انعقاد أى مؤتمر مفاجيء •

ولكنى رأيت (افاناس) بعد أربعة أيام فقــط وكان متوترا وأكــد لى أن اعصابه منهارة فعلا بسببالتغيرات الاخيرة والتى سببت الغاء مؤامرة اغتيال (تيتو) وأنه نال مدالية قدمها له (بريا) شخصيا كما رقاه الى درجة أعلا .

وقال أن (بريا) اخبره بالجهاز الجديد الذى يخترعه العلماء السوفيت وقال عنه أنه سينذر موسكو بالهجمات الذرية من بعد ٦٣٣ ميلا ، كما قال (بريا) ان الشرطة السرية الروسية حصلتعلى معلومات صحيحة عنالاسلحة الذرية المختزنة فى فرنسا وأن مولوتوف تمكن من وضــع امرأة فى مكتب (تشرشل Churchill) ورجلا فيمكتب (انتونى ايدن Anthony Eden) – (بعد شهر من هذا – طبعا – كان يأمل (افاناس) ان ينسى كل واحد فى موسكو انه ذكر يوما اسم بريا) .

عندما رجعت الى نيويورك فى يولية وجدت أن (سوبل) قد تراكمت عليه هموم جديدة فكلا زوجته (ميرا) وأخيه يحثانه عــلى اتخاذ اجــراء ما حيال موسكو ، وبمعنى آخر أن يتخلص منهم علنا . كذلك كان (جاك) متضايقا لان (نيوناروليونز Leonard Lyons) المحرر الصحفى قد كتب أخيرا فى صحيفته مقالا ذكر فيه أن (أخت سفيرنا السابق فى ألمانيا فى حكم روزفلت) قدمت أمام لجنة تحقيقات مجلس الشيوخ الفرعية بالنسبة لحركاتها الهدامة.

وكانت بالطبع هى اللجنة المسماة بلجنة (ماكارثى McCarthy) وقد همس فى اذنى (بالطبع هى (مارتا) ولكنها لن تتكلم) .

فسألة (اذن لم انت مضطرب ؟)

افكر فى«ستيرن Stern » فاذا ما بدأوا يستجوبونه فسينتهى بنا الامر .

ولكن مارتا لم تقف أمام اللجنة الفرعية بدعوى أنها مريضــة بفقــدان الذاكرة أما زوجها فلم يقدم للجنة بتاتا ، وبعد قليل سافرت مع زوجها الى مدينة المكسكك) .

دارت المناقشة بينى وبين (جاك) فى بار وقد ذهبنا اليه لان (جاك) رفض أن يقبل منى خطاب (كروتوف) فى غرفة الفندق . اخذ الخطاب فى غــرفة الغسيل بالبار ولم يرجع منها قبل مضى نحو ٢٠ دقيقة وعند رجوعه كان مبتســما ، ثم قال (لست أخشى أن أذهب الى أى جهــة لمقابلة (كروتوف) ولكنى أريد أن اتأكد من أمر واحد هو أنه سيقابلنى هو شخصيا) .

بقى كل من (ميرا واخوه وجيك البام) فى خوف بسبب ما حدث لبريا ، وأخذوا يقولون ألا أمان لحياة أى واحد من أفراد الشرطة السرية بما فى ذلك صديقه وحاميه ، وقالوا ان الامور ستظل هكذا فى موسكو زمنا ما • وفى المساء اقنعوا (جاك) بانه من الجنون ان يذهب الى أوروبا فى هذا الظرف وبألا يتحدث عن روسيا حتى تستقر الامور ، كذلك صمموا على عدم الاتصال بروسيا عن طريقى •

لم يكن مستعدا لقبول هذه الخطوات ولكنه قال أن (كروتوف) يجب أن يرسل الى أنا تعليمات صريحة فسألته •

(وهل هناك صراحة أكثر مما فى خطابه الاخير ؟)

وفى النهاية كل ما امكننى الحصول عليه منه هو خطاب آخر وبنفس النوع كخطاباته التى اوصلتها له الى فينا •

وعند وصولى الى هذه المدينة أدركت فى الحال أن (ميرا) واخا جاك و(البام) كانوا محقين فى انذار (جاك) بأن كل منظمة الجاسوسية الروسية قد اضطربت • فأولا تردد افاناسى فى مقابلتى ، وعندما تمكنت أخيرا من الحصول على موعد منه حضر ومظهره كان كمن يتوقع صدور حكم السجن عليه ، وقال لى :

(لى أربعة أيام وأنا منتظر ، ولكنى لم اتمكن من الحصول على أى مكالمة تليفونية سواء من (كروتوف أو فيدوتوف) فى موسكو وفى كل مرة اطلب محادثة احدهم يرد على شخص آخر ، شخص لا اعرفه ، انى أخاف على اصدقائنا القدامى يا (ديجون) • وفى مرة نجحت فى أن اتحدث مع أحد كبار الدولة الذى اعرفه شخصيا ولكن بعد هذه المرة لم اتمكن قطعا من الاتصال به ثانية ، وعندما طلبت من هذه الشخصية الكبيرة أن يدع (فيتالى تشرينافيسكى) ليطلبنى قال مستحيل يارفيقى فانه هو وزوجته أمام المحققين ليل نهار وهما فى غرفتين منفصلتين ، كذلك يدور التحقيق مع مئات من الرفاق الآخرين ليل نهار ، ولايزال (بريا) مقبوضا عليه حتى الآن وموسكو اصبحت فى انقلاب)

فسألته (ولكن ماذا تم فى خطاب «أبرام» ؟ ماذا تشير على بأن أجرى فيه ؟)

فقال (اخفيه • فلا معنى الآن لاجتماعات ما ، وانما قابلتك اليوم يا (ديجون) لانى احترمك كثيرا ، ثم عصر يدى عصرا وقال (ربما يكون هذا آخر لقاء لنا يارفيقى !)

بعد ذلك بأحد عشر يوما رأيت (افاناسى) مرة أخرى وقد بد عليه أنه استرجع طمأنينه الاولى وقبل منى خطاب (ابرام) دون تردد · ورغما عن طرد الشخصيات من جميع الرتب فهو يعتقد أن منظمة الشرطة السرية الروسية في انحاء العالم قد رجعت بسرعة الى حالتها الطبيعية ·

وبما أن (افاناسى) قد اصبح آمنا اليوم على نفسه فقد استهجن عمليات القتل بالجملة فى اصدقاء (بريا) وقال بلغة فلسفية (بعد كل هذا لابد للابقاء على نظامنا وذلك باستمرار التحرى ثم اعادة التحرى عن كل واحد ·

(ولكنه وجد أنه كان مخطئا بعد انتهاء عمليات الاغتيال فى ديسمبر عندما قتل (بريا) وستة آخرون من معاونيه · فكم غيرهم قد اعدموا أو قذف بهم فى السجون ، لن نعرف أبدا ولى من الاسباب مايجعلنى اعتقد أن جميع الناس فى فينا الذين طالما نقلت اليهم الرسائل قد اغتيلوا سواء فى الحال أو بعد أمد قصير) ·

وعندما رجعت الى نيويورك فى اكتوبر ١٩٥٣ كانت نفسية (سوبل) فى أسوأ حال منذ أن عرفته ، فللم يصدق على تجديد جواز سفره وذلك ماجعله يخشى سوءا وقال عن هذا (لابد أن ملفى الخاص بى قد وقع فى ايدى أ·م·ج)

والسبب الحقيقى الذى أزعجه هو علمه بأن الملف الخاص ، فى باريس قدأخذ من يد الشرطة الفرنسية · وقد كتباليه صديقه الطبيب(رافتسكى) عن هذا وقال (لقد خلطوا بينى وبين شيوعى فرنسى آخر وهو ابن خباز ولو أنه لا يوجد أى تشابه بين اسمينا · وعلى ذلكفقد اصبحت الآن بريئا ولكن بعد فوات الوقت وبعد أن اصبح من المتعذر على أن ارجع) ·

وفى ٣ نوفمبر ١٩٥٣ اخبرت (جاك) انى مسافر الى أوروبا فى اليوم التالى ، فحضر الى بعد الظهر ومعه صورة من آخر خطاب وصله من وزارة الخارجية بخصوص جواز سفره ، وطلب منى أن أوصله الى (كروتوف)هذا ومع أن (ماير) لاتزال تلح فى عدم اعطائى أى خطابات لاوصلها (كروتوف) ولكنه كتب خطابا آخر ، وكتبه على ثلاث ورقات من ورق مكتبة الفندق وباللغة الالمانية وبالقلم الرصاص وكان هذا مظهرا آخر لذكاء (جاك) فى المقدرة على الكتابة على نفس الموضوع بكلمات مختلفة · وكتب فيه أن صديقا لنا هو الدكتور (سلانزار) ، قد تسلم وظيفة فى احد احسنمعاملنا

واصبح الآن الطبيب الاول فى احدى مصالحها ، وحصل على هذا المركز بعد أ نأمضى اختبارا حكوميا بعد سبعة أشهر ونصف الشهر من الاستعدادات والتجارب • افراد العائلة جميعا فى خير وقد يقوم بعضهم بزيارة أوروبا فى الربيع ويزورون المرسل اليه •

بعد أن قرأ هذا الخطاب لى بصوت عالى فسره (جـاك) الى فالدكتـور سلانزار ماهو الا (سلافا) ، والمعمل هو وزارة الحربية ، والسبعة أشـهر ونصف الشهر فى الاستعدادات والتجارب معناها أن وزارة الخارجية بعد كثير من الاجراءات سمحت أخيرا لسلافا بالعمل فى أوروبا ، وأفراد العائلة هم (سلافا) واعضاء آخرون من جماعة (جاك) •

وكتب (جاك) ايضا (صحتى سيئة ويجب أن اعمل تحليلا للدم وآمل الا أجد فيه أثر لتدرن • آمل أن آتى لجنوب فرنسا فى الشتاء) وفسرلى (جاك) أن هذا معناه أن مشكلة جواز سفره لم تنته وانه لايزال رهن التحقيـق ويأمل الا يكون فى موقف خطير والا توجد فى الامر أى مشكلة سياسية • طلب منى أن انصح (كروتوف) بأنه سيستمر فى عملياته السياسية سواء وصلته أم لم تصله المعونة المالية التى هو فى حاجة اليها •

كانت عندى أعمال كثيرة يجب ان انهيها فى ايطاليـا ولنـدن ولذا لم يمكننى أن أجد الفرصة لاوصل رسائل (جاك) حتى ليلة الكريستماس • أخذنى (اليكسى) سائق (افاناسى) وكان بالعربة رجل آخر وهـو شـاب لاتافى أشـقر قـدمه الى باسم (ايجـور فاسـيليفتشى سوكولوف Igor Vassilievtch Sokolov) دخل بنا السائق فى حدائق الملاهى حتى وصلنا الى منزل منعزل مظهره انيق وهو حديث الدهان وبه خاصية عجيبة : ممكن للانسان أن يدخله على سلم من داخل الجراج فى البدروم • وتقود السلالم الى حجرة صغيرة من خارج أخرى أكبر منها وهى مفروشة فرشـا انيـقا كحجرة معيشة • وقد قال لى فى الطـريق (سـوكولوف) أنه ينوب عن (افاناسى) لنحو اسبوع •

جلسنا فى غرفة الجلوس ثم قرأ (سوكولف) الخطابات بصوت عال فى المانية صحيحة •

فى الاسبوع الثانى أخذنى السائق (اليكسى) الى نفس المنزل فى الغابات لمقابلة (افاناسى) وعندما امتـدحت خلق (سوكولوف) ومظهـره قال لى

(يافيموف) أن(سوكولوف) أحد ستين شابا جندوا للحزب من طلبة الجامعات الالمانية ثم قال :

(نحن نأخذهم الى روسيا وندربهم في جامعاتنا ليجندوا في ألمانيا الشرقية ، فسوكولوف مثلا معه الآن سبعة عشر رجلا يعملون معه وجميعهم من المؤهلين الفنيين • ومع ذلك فهؤلاء الشبان بعد أن يحصلوا على وظائف محترمة لانثق بهم ثقة عمياء ، ونرى ان الافضل مراقبتهم على الدوام) •

كان (كروتوف) منتظرا وصوله قريبا الى فينا ليرانى ، وقال لى (افاناسى)
– (لن يكون عندنا اليوم متسع من الوقت الا لمؤتمر صغير يا (ديجون) فعندى تعليمات يجب أن اصدرها الى قسيس عامل فرنسى) •

سألته (قسيس ماذا •• ؟)

فقال (فى اثناء الحرب العالمية الثانية ، ضاقت الدنيا بالآف من العمال فى المصانع الحربية الفرنسية بسبب ضئالة الاجور وطول ساعات العمل • وحاولت الحكومة الفرنسية أن تهدىء من ثورتهم النفسية فاتفقت مع الاسقفية الكاثوليكة المحلية بأن ترسل لها شبانا من القسس ليعملوا فى هذه المصانع • وكان القسس يعملون بدون أجر بل وبروح وطنية خالصة وكان المنتظر أن يكونوا قدوة فى هذه الروح الطيبة للثائرين ، ولكن بدلا من هذا فأن هؤلاء الشبان والآباء المحترمين تاثروا هم بروح العمال الثائرة واصبح هؤلاء القسس هم قادة لهؤلاء الرجال وقدموا عرائض الشكوى عنهم بل ان بعضهم اثبت انه من السهل جدا تجنيده لمبدئنا الشيوعى واصبحوا يعملون من أجلنا منذ ذاك اليوم) •

عندما دخلت العربة بنا في الجراج تحت المنزل رأيت عربة موتى سوداء واقفة فيه ، وفى مدخل المنزل وجدت قسيسين أوهما رجلان فى ملابس القسس • وعندما كنت اتحدث مع (افاناسى) فى حجرة اخرى أكبر من هذه سمعت طلقا ناريا ، ليس فى المدخل بل فى مكان آخر ليس بعيدا عنا •

لم يفاجأ (افاناسى) كما لم يضطرب كلية عند سماعه هذا بل نظر الى ساعة يده ثم تمتم قائلا (عال انتهى الآن أمره وقد تم كل شىء حسب الجدول المرسوم) •

عندما غادرت المكان لم أجد غير قسيس واحد فى المدخل وكان راكعا على ركبتيه يصلى • وكانت العربة السوداء لا تزال منتظرة ولم اشك فى أن أحد القسيسين اللذين رأيتهما منذ لحظات قد قتل عن بعد أقدام من حيث كنت أنا و (افاناسى) نتحدث معا •

لقد ذهلت ولكنى اخفيت شعورى هذا فالشيوعيون يفخرون بانهم لايفرقون بين الام البشرية وبين الموت نفسه ، والمفروض طبعا انى انحو نحوهم •

ولكنى عرفت اليوم ، وان كنت أشك فى هذا قبل اليوم ، ان الاشتراك فى هدم هؤلاء القتلة والمخربين لحياة الناس هو أهم مايجب على ان اقوم به فى حياتى ، وبمشيئة الله سأظل أقوم بهذا مادامت أ•م•ج تشعر بأنها فى حاجة الى هذا الواجب •

الباب الثالث عشر

الرجل ذو الرداء الأسود

من المضحك أن (جاك سوبل) قد وجد طريق خلاصه من مصائبه المعقدة في اللحظة التي كان قد بدأ القسم الاجنبي من الشرطة السرية يقوم بأكبر انتفاضة (تطهير) في الهيئة وخاصة الفرع الخاص به ، وقد قال عن ذلك (يافيموف) ان جميع افراد مؤامرة الجاسوسية في الولايات المتحدة قد تم التحري عنهم تحريا دقيقا) ٠

ولم يتخلص (سوبل) من اضطراباته الا عندما حصل على عمل لا بأس به في شركة فرش كندية ، وكان في مونتريال عندما رجعت أنا الى أمريكا في أوائل ١٩٥٤ ولكني رأيته في نيويورك بعد ذلك بعدة أيام وكانت صحته أحسن كما كان أسعد حالا عما كان منذ سنوات عدة ، وهو يعزو فضل كل هذا الى كندا ، وقد أقر بأنه قام بعملية مربحة وكان هو ورئيسه يعدونها لتكوين ثروتهما ، وتضمن هذا مشروعا يمكنهما من الحصول على مبلغ طائل باعتبار ان كندا ـ وهي غير الولايات المتحدة ـ لا تحصل ضرائب على شعر الخنازير الذي يستورد من الصين أو روسيا ٠ وقال (جاك) انهما اختطا خطة لاستيراد كميات كبيرة جدا منه لاستخدامه في صنع فرش البويات ، وقد عزموا على خلط الشعر المستورد بالشعر المحلي الرخيص بعد تبييضه لتغيير معالمه الاصلية ٠ وستتكلف فرش البويات الممتازة ٤ دولارات للدستة عند صنعها في كندا ولكنها تباع بأربعة وعشرين دولارا في الولايات المتحدة ٠

ويعتقد جاك أن هناك ميزات أخرى هامة فهو يقول ان رجلا في مواقفي يمكنه ان يتنقل بين هنا وهناك باستخدام بطاقته ليس الا ، ويمكنني أن أصبح مواطنا كنديا في بحر خمسة سنوات ، ويعيش هناك أحد اشقاء (لوبير Low Beer) ويقول عنه (لم يعرف عنه أبدا أنه كان شابا شيوعيا

في فينا ولم يهتم رجال الحكومة الكندية بهذا الامر قطعا ، وهو يدير بنفسه عملا ناجحا في كندا فهناك اباحة لجميع العقائد السياسية في كندا لن نجدها في الولايات المتحدة واحسن مافي كل هذا ان جواز السفر الكندي يبقى صالحا للاستعمال دون تجديد لمدة عشرة أعوام ، فلو كان معي جواز كندي بدل الجواز الامريكي لما وقعت في الحيرة التي أنا فيها اليوم) !

واخيرا قاطعته واستعملت معه الخشونه لاول مرة ، فان (افاناسي) طلب مني أن أحث (سوبل) وبقسوة كي لايبدي اهتمامه الكلي لاعماله الخاصة مفضلا اياها على مصلحة الوطن الشيوعي اذا ما رأيت منه هذا اثناء حديثه معي • فقلت له (لقد تكلمت خمسة وخمسين دقيقة ولم تكن في حديثك كلمة واحدة عن الخدمات المطلوبة منك • فلتحول الحديث وتبدأ الآن فيما هو الاهم) •

انتظرت ولكنه فوجيء بتغيير لهجتي المفاجئة فلم يجب فواصلت حديثي قائلا (انك لم تسألني حتى اذا كانت معي رسالة لك من رفقائنا في الخارج كما ان عندي تعليمات لاجلك وانها هذه المرة تعليمات وليست رجاءا) •

نظر الى (جاك) مذهولا عندما كررت كلمة ـ تعليمات ـ فقد قلتها تماما كما املانيها (افاناسي) ثم قلت له :

أولا ـ عرفني (بسلافا Slava) •

ثانيا ـ مره بأن يرسل تقاريره الى مباشرة •

ثالثا ـ اكتب لي كشفا يتضمن اسماء وعناوين جميع زملائك السوفيت

رابعا ـ اجعل اتصالاتك عما تحتاج اليه ورغباتك الشفاهية معي رأسا واني أوصلها بدوري الى جهات الاختصاص كلمة فكلمة) وبعد لحظة اضفت الآتي (لن أقبل منك كلمة « لا » بخصوص هذه التعليمات) •

بعد ذلك جاء دوري في الاندهاش لان (جاك) جاءته نوبة بكاء ، فقد أدرك ان السوفيت لايتعاونون معه واني أنا ايضا اصبحت ضده • مع ذلك أرغمته على ان يكرر هذه التعليمات مرارا حتى اقتنعت أنه حفظها بقلبه •

وقبل ان نفترق اتفقنا على الموعد الجديد في الساعة الخامسة من مساء يوم الثلاثاء التالي •

قابلته في طرقة فندقي، وكما كنت أتوقع رفض أن يصعد الى غرفتي معي وكرر باللغة الروسية (أنك تريد أن تضع يدى فى الحديد) وقد سمعت منه هذه الجملة مرارا كثيرة ٠

سرنا معا فى الشارع السادس الى (محل توم) وهو بار غير مزدحم بالناس ، فجلسنا الى طاولة وطلبنا مشروبا ، وقد بانت ظاهرة سريعة ، فقد صمم جاك على أن يستسلم للانهيار مهما كانت الظروف ٠ لم يهضم التعليمات التى اصدرتها له ورغما عنى أعجبت بمنطقة وسلامة رأيه حيالها ٠

فقد كان غير قادر على أن يقدمنى الى (سلافا) لان زوجة الاخير رفضت السماح بهذا كلية ، ويجب أن نذكر أن (سلافا) أصبح اليوم رجلا هاما ٠ وقد كان المسكين فى مأزق مع السلطات الحكومية منذ ١٩٤٦ عندما اكتشف أنه قبل مبلغ ٥٠٠ دولارا من (شاليابين Chaliapin) وهو عميل حلقتنا الجاسوسية فى سان فرنسيسكو ، بل أنه لم يقبل فقط المال بل قد وقع ايصالا به ! ولكنه أخيرا وبعد مجهود كبير جدا نال (سلافا) اعتباره فعين فى مركز فى أوروبا ، ولم ترد زوجته أن يأتى بأمر يوقف رد اعتباره هذا ٠ وفى مدى شهرين ، اذا نفذ النقل ، سيعين اما فى باريس أو بون بالمانيا ٠ وسيبحر الى أوروبا اذا حدث النقل فيما بين ١٥ ، ٣٠ يونيه ، وهذا سوف يمكن (سلافا) من أن يقابلنى أو أى عميل آخر يعين له فى باريس أو برلين فى أوائل يوليه ٠

وقبل أن أعارض فى هذه الـ (اذا ، اذا) بدأ (جاك) يغنى على مديح كبير لهذا البطل (سلافا) فقال : (سلافا طويل وضخم واشقر وأمريكى المولد وسنه ٣٦ عاما فقط وهو لغوى أيضا وسأخبرك بموعد سفره عندما يتحدد ٠ ومع كل فسنرتب أمر تفصيلات موعد المقابلة وكلمة السر ، فاذا كان الموعد فى برلين فسيكون (سلافا) أمام فندق امفرو فى الثامنة مساء اليوم الذى سيحدد ، وأما اذا كان النقل الى باريس فاوفق مكان هو أمام فندق الاجلون بشارع رسبيل) ٠

بعد الانتهاء من هذا أقر (جاك) أنه سيؤدى لى خدمة جليلة ٠ فاذا كنت أريد أن أصبح ثريا وبسرعة فما على الا أن اسلمه مبلغ ١٠٫٠٠٠ دولارا لاشترك معه فى شركة الشعر بمونتريال فتظاهرت بالغباء وبطء فهم هذا المشروع ٠ عند ذلك أقترح أمرا آخر وهو أن اتقدم الى صديقى الجنرال (كروتوف) واطلب منه أن يرسل مبلغ ١٠٫٠٠٠ دولارا باسم (سوبل)

محولا عن بنك كريدى سويس ، وقال جاك (ان هذا سيخدمني كثيرا وفى ذات الوقت سيسمح لى بالسفر فى كل كندا وكل الولايات المتحدة فاعمل اتصالات أفضل مع وسطائى الجدد) وقال أن (كروتوف) يمكنه أن يؤدى له هذه الخدمة دون صعوبة ما فان (ساشا) معه دائما وتحت يده مبلغ هائل يصرف منه على عملاء جاسوسيته فى المانيا دون تقديم حساب عنها • فطنت من كل حديثه هـذا أن (جاك) يجازف بشكل خطر فى مشروع الشعر بمونتريال •

قابلت (سوبل) بعد ذلك بثمانية أيام فى حجرتى بفندق اسكس وقد فقد وعيه مرة أخرى وكرر اليوم أنه فى أشد الحاجة ليس الى ١٠ر٠٠٠ فقط بل لا بد من ٢٥ر٠٠٠ دولارا وفى الحال • وان لم يحصل على هذا المبلغ فلن يمكنه أن يكون شريكا فى شركة الشعر بمونتريال • وقد جن بهـذا الموضوع حتى أنه نسى أن من قوانيننا عدم التحدث جهرا فى غرفة الفندق دون تفتيشها بدقة لدواعى الامن • جلس الى المكتب فى الحجرة وأمامه بعض أوراق الفندق ثم قال (هـذا هو أهم خطاب كتبتـه فى حيـاتى ويجب أن تساعدنى يا (بوريس) ، يجب أن تقف الى جانبى) •

كتب الخطاب ثم كتب خطابين آخرين ثم قرأها لى بصوت مرتفع ، وعندما كنت اصغى اليه لم أر كيف ينتظر أن تأتى له هذه الخطابات بأى نتيجـة • كان لا يزال منهارا وكان لا يزال يستخدم حيله التى لم تعد تخدع أحدا فى موسكو كما لم تخدعهم من قبل •

وزيادة على هذه الخطابات الثلاثة فقد سلمنى (سوبل)ورقة كتب عليها اسماء الوسطاء الكنديين وغيرهم آخرين ، وهـذه الاسـماء هى : رومان ، بيلوف ، سـاشا ، أوسـكار ، منديس ، جـون ل • Roman, Belov, Sasha, Oscar, Mendish, John L. احتججت بأن جميع هذه الاسماء يخيل الى أنها مستعارة بينما أن التعليمات تقضى بأن يسلمنى هذه الاسماء الحقيقة والعنـاوين ، الا أنه احتج هـو الآخـر بأن الرؤسـاء فى موسـكو يعرفون من هم هؤلاء العملاء لان الجميع يعلمون أن (منديش) قد حضر أصلا معه من لتوانيا • عندما خمنت أن (بيلوف) هو (جاكوب البام) والذى كان يسميه (بيلوفا) ، و (رومان) هو أحد اشقائه وافقنى (سوبل) على صدق تخمينى ، فقلت له أنه مجنون لانه لم يعطنى الاسم الحقيقى (لسلافا)

على الاقل لاعلمهم به فى فينا مع خطاباته الثلاثة الضعيفة الحجة . انتظر (سوبل) حتى ركبنا المصعد معا فى الفندق ثم قال (سأقول لك على اسمه الاول – فهو ايليوت Elliott) .

خرجت معه الى الطريق ثم راقبته بعد أن مشى واستدار عند الناصية . وقد بانت اكتافه العريضة كأنه يزاحم الزمن فيدفع بنفسه كى يصل الى بيته بسرعة الريح .

عندما وصلت الخطابات الى (افاناسى) فى فينا نسخ صورها ثم أرسل الاصول الى موسكو ، وقبل مقابلتنا التالية فى ٤ مايو كان الرد قد جاءه من روسيا ، والظاهر أن رؤساءنا فى موسكو كانوا غير راضيين لاعنى ولا عن (ابرام) وقال (افاناسى) عن هذا (فى كل مرة تأتى من الولايات المتحدة تأتى بعذر جديد أو خلافه . وفى هذه المرة كانت التعليمات الصادرة اليك أن لا تقبل من (ابرام) كلمة (لا) ومع ذلك كانت اعذاره هى كل ما اتيتنا به . انك لم تحاول أن تجبره بأن يقدمك الى أفراد جماعته) .

لم أدر كيف أرد على هذا، وقد كان من غير الملائم فى هذا الظرف أن أريه التلغرافات التى كانت تصلنى يوميا من (سوبل) والتى يلح على فيها بطلب النقود ، وكانت نبرات صوته فيها دلائل اليأس ولذلك انتهزت الفرصة فعرضتها عليه .

قرأها (افاناس يا فيموف) ثم نظر الى نظرة تقدير وسألنى (الا تظن أن هناك طريقة واحدة لنهو هذه المسألة ؟)

اومأت بأنى لا أدرى منتظرا ما عساه يقول فقال : (اذا كنت مهتما لهذه الدرجة بطلب نقود لصديقك فلم لا تذهب بنفسك الى الرؤساء فى موسكو وتنهى هذه المسألة معهم ؟)

فذكرته أنى فى زيارتى الاخيرة لموسكو أثرت فضول الدبلوماسيين الامريكيين فى عدة سفارات . فقال :

(نحن سنحرص على هذا الامر فنرسلك الى موسكو فى طائرة ليس فيها أى مدنى آخر غيرك) .

قلت سأفكر في الامر وبالفعل فكرت فيه ، كما تحدثت في هذا مع رجال أ م ج واشرت عليهم بأنه لا موجب للظن بأن رجال الشرطة السرية الروسية قد ساورتهم شكوك جدية نحوى حتى الآن · ولكنى قلت فى نفس الوقت أن مع تصرفات رجال الجاسوسية السوفيتية المتقلبة ، لا يمكن للانسان أن يتأكد من أمر ما معهم ·

بعد بضعة أيام دعانى (افاناسى) الى غدوة مشبعة مترفة فى أحدالمطاعم وبعد انتهاء الغذاء سألنى هل صممت على شى ؟

رأيت أن مركزى معه كان قويا جدا ويمكننى أن أقامر معه بانذار ، والا فان خسرت فسأعرف مركزى معهم فى روسيا · فقلت له :

(ما لم يحضر « كروتوف » الى هنا فسأغادر أوروبا · فقد ضحيت كثيرا جدا من أجل المذهبالشيوعى ولا يمكننى أن أبقى أبد الدهر أدور بتعليمات من أجل الملعون (سوبل) أو غيره · ومع كل فماذا نفذتم من وعودكم معى ؟)

فأجاب أفاناسى (لا تغادر أوروبا يا ديجون · وعندما ترجع الى فينا فسيكون كروتوف بها ليتحدث معك فى كل الامور وينهيها معك) ·

أظننى فى ذاك اليوم كونت لى شخصية فلن يعاملونى بعد هذا كطفل ضال ـ الى حين · ولكن فى المقابلة التالية وكانت فى مطعم اسماك فى المنطقة الروسية التى تطل على نهر الدانوب سبب لى (افاناسى) ضجرا شديدا ، وكانت جميع اسئلته عن (سوبل) وجماعته · وكانت الاسئلة جافة وفى نغمة رجال الاعمال وكان يسجل اجاباتى فى دفتر صغير · ومن هذه الاسئلة : هل عرفت (سلافا) ؟ كم مرة ذكر (جاك) اسم (سلافا) لى ؟ وفى أى مناسبة؟ وماذا أعرف عن علاقة (ابرام مع سلافا)؟ قد وصلت احدى برقيات (سوبل) من المكسيك فماذا أعرف عنها ؟ كيف ذهب (ابرام) الى المكسيك ؟ وهل ساعدته كى يسافر اليها ؟ ما هى خطط (ابرام) للمستقبل ؟ ماذا عرفت عن شركة الفرش فى مونتريال ؟

وقال (افاناسى) أنه يعتقد أن (كروتوف) سيزور فينا قريبا جدا · انتظرته أطول مدة يمكننى انتظاره فيها ثم اضطررت أن أغادرها لاعمال فنية خاصة بالافلام فى لندن وفى زيوريخ · ولم أرجع الى فينا قبل يوليه حيث وصلتها بالكاد لالحق فاحضر عشاء الوداع الصغير الذى عمل من أجل (لافاناسى) فقد ترقى أخيرا الى المركز الذى تحدث لى عنه مرة فى

الشرق الادنى · الا أن (يافيموف) لم يشأ أن يترك فينا فى الوقت الحالى فقد كان سعيدا هو وزوجته فيها ويريان أنهـا أنسب مكان ليأتيا بابنهما فيه ·

وفى الاسبوع التالى قام (كروتوف) بتنفيذ وعده الذى طالما توقعناه منه فقد زار فينا أخيرا · وانى أقر بأنى كنت مبتهجا عند وصولى لموعد مقابلتنا وكان الموعد خلف تياترو ببرج الجديد وكان فى صباح ١٦ يوليـه ١٩٥٤ وكان الجنرال بنفسه واقفا ينتظرنى · بعد التحية والسؤال عن الصحة وعن أفراد العائلة أخذنى من ذراعي وسرنا طويلا فى المنطقة الروسية ولم يضع الوقت فقد تناول فى الحال الحديث عن مسألة (سوبل) ·

وسألنى (يمكنك أن تشرح لى ماذا جرى لرفيقنا ؟ كان (ابرام) شيوعيا صادقا وعاملا مجدا ورفيقا يبذل النفس (غير انانى) سنوات طويلة !)

اصابتنى الحيرة عند سماعي هـذا ، واستمر كروتوف يقول (لا بد أن الجو الذى يعيش فيه هو الذى غير من طباع صديقنا القديم : المعيشة السهلة، الراديو ، التلفزيون ، الصحف كل هذه الامور تخلق الاضطراب فى نفوس رجالنا !)

لقد ظن (كروتوف) أنه ما دام مثل هذا الشيوعى المخلص — سوبل — يمكن أن تزحزحه ملذات الحياة فى الولايات المتحدة فلن يأمن على أى أحد من جواسيسه فيها ، فاقسم أنه لن يعرض أحدا منهم الى (الملاريا الغربية) لاكثر من عام واحد فى المرة الواحدة ·

وقد تفاخر بأن (روسيا السوفيتية تنمو فى قوة كل يوم ، وعندما يحين الوقت سنقوم بضربتنا يا رفيقي · ففي يوم واحد سنسحق جميع قواعد المطارات الامريكية من أسبانيا الى الاسكا) ثم أخذ شهيقا طويلا ثم قال : (وفى نفس ذاك اليوم سيموت أهـم ماية ألف أمريكي · سيموت بعضهم بالسم والبعض ستدكه الصخور المتهايلة والبعض سيزهق فى حادثات تصادم السيارات التي لا نجاة له منها · وكلما كان التخلص من هؤلاء الرأسماليين مصاصى دماء الفقراء سريعا كلما كان ذلك أفضل !

فهل قاموا هم بعمل واحد ينجيهم من هذا القدر المحتوم ؟ لا يوجـد اليوم عمال حقيقيون فى أمريكا ولا فلاحون، فجميع الامريكيين اغنياؤهم وفقراؤهم، شبابهم وشيوخهم قد فسدوا اليوم وأصبحوا عبيد الدولار وفى خوف من أن يفقدوا أمنهم وسلامتهم) ·

عند ذلك وصلنا الى مأربنا وهو منزل واجهته مهدمة ولكنه مفروش فرشا وثيرا ، كما كانت أرضياته مفروشة بالسجاجيد الشرقية وكانت بالشقة قطع فنية كثيرة وكتب نادرة مجلدة تجليدا فاخرا ٠

بدأ الجنرال (كروتوف) يعرض مجلداته التي يقتنيها ويحبها وفجأة قال (اريد منك الا تهدأ حتى ترسل (ابرام) الى أوروبا لا تتردد في تهديده) ثم نظر الى نظرة صارمة وقال (يمكنك أن تقول له أنى أصدرت لك الامر باستخدام هذه التهديدات،اذا صمم على تجاهل استدعاءاتى له هذه المرة)٠

عندما تركت كروتوف فى ذاك اليوم كانت راسى قد ارهقت وقد كان حديثه عن تهديد حياة (سوبل) أقل اثارة لى عن رغبته الملحة فى احضاره الى فينا ٠ فما هو السبب ؟

قد يكون من السهل عليه أن يطرد (سوبل) من شبكة الجاسوسية كما هو من السهل أن يقتله ٠ ليس هناك الا تفسير واحد لطول اناة موسكو وصبرها على (سوبل) طوال هذه المدة ، فلا بد أنهم هناك (فى موسكو) مقتنعون أنه قد احتجز عنهم معلومات حيوية كتأمين لحياته عندهم ، والافهل سيظلون يلعبون معه لعبة القط والفار عاما بعد عام ؟

وعندما طلب منى مندوبو الروس مرارا ومرارا أن أقوم بزيارة موسكو سألت نفسى (اتعتقد موسكو أنى أعلم السر الخطير الهام الذى يخفيه (سوبل) عنهم تأمينا لحياته عندهم ؟ وهل يكون هذا هو الداعى لجر رجلى الى ما خلف الستار الحديدى ؟) ان (سلافا) لم يحضر الى أوروبا بعد وقد بدأت أعجب فى ذاك الصيف هل اخترع (سوبل) شخصيته ام هو فعلا كائن حقيقى ٠

ولكن اتضح أن (كروتوف) كان يعتقد تماما بوجود هذه الشخصية وأخذ يطلب منى فى مؤتمرات أخرى عقدناها فى الصيف بأنى يجب أن أحصل على تقارير (سلافا) وعلى أن تكون بخط يد (سلافا) شخصيا !

ثم قال (ان قلبى يتألم من أجل (ابرام) ولكنى أدع مصيره فى يديك يا « ديجون ») ٠

وفى احدى اجتماعاتنا الاخيرة أدركت أن (مالينكوف Malenkov) وغيره من كبار المسئولين وهو معهم قد اتموا مشروع منظمة دقيقة للفرقة الامريكية فى اينوستراني ٠

كان (كروتوف) يعتقد أن أسوأ فشل أصيب به هو شبكة الجاسوسية فى الولايات المتحدة · وقـال لى بصوت أسيف (ان تعييناتى واختيـارى للرجال قد نجحت ايما نجـاح فى كل العالم وأقصـد بكل العالم : المانيا وفرنسا وبلجيكا وانجلترا واليابان وباقى دول الشرق ، أما فى أمريكا فقد خدعت وفشل رجالى فيهـا ، حتى (زوبيلين) أراه اليوم أنه ليس الرجل الذى يركن اليه) ·

ولم يخف (كروتوف) كعادته حقده على الولايات المتحدة ولكنه قال أنه يشكر سلوك (ابرام) الغير موفق ، فان (مانينكوف) قد عزم على الذهاب الى هناك لاقامة الامور التى ساءت بسبب (زوبيلين) وصديقه القديم فى عملهما ·

وكان هذا من الدواعى الاخرى التى بسببها طلب من (ابرام) أن يسافر الى أوروبا دون توان · فمن ذا الذى يمكنه أن يوضح له الامور غير (ابرام) ويحيطه علما بكل المسائل الشخصية ؟ وقبل اجراء أى حركة أراد أن يناقش صفات وأخلاق كل فرد من مجموعة الجاسوسية فيها · وأهم من كل هـذا أراد أن يعرف أين وكيف يمكن تجنيد العملاء الجدد · وهؤلاء يجب أن يكونوا رجالا أقوياء ذوى قلوب حجرية وروح عالية للعمل من أجل نشر الشيوعية الدوليـة · ولو أنه لم يزر أمريكا أبدا الا أنه كان متأكدا من أن الرفاهيـة والمتعات التى لاقاها عملاؤه السريون فيها قد أثرت على أرواحهم المعنوية ، وهذا هو السبب الذى يجب أن يجند من أجله رجالا من حديد للقيام بهذه العملية ·

وأعلن رأيه (المثاليون ، كما ترى ، لديهم جانب من النعومة دائما وهذا الجانب عندما يتعرض للاغراء يفسدهم فى الحال) ·

وفى حديث سابق مع (كروتوف) سألنى اذا ما كان (سوبل أو افاناسى أو تشرنيافيسـكى) قـد تحدث أحدهم معى بشى من الاحترام (لبريا) · كذلك طلب أن يعـرف منى اذا ما كان (تشرنيافيسكى) تكلم كثـيرا عن (بريا) ؟ وكانت اجابتى الى كل هذه الاسئلة بالنفى ·

وفجأة نشر لفافة كبيرة من الورق وقال لى (وقع هنا) وقعت (بوريس موريس) دون أن أقرأ ما بها ·

ثم قال (ان ما فى هذه الورقة هو أنك لا أنت ولا سوبل اتصلتما ببريا) ·

فسألته (وهل هذا أمر هام ؟)

فقال (طبعا مهم • قد تضرب بالرصاص لتوقيعك اياها • ولكن مالك ونهذه الاسئلة ؟) وكانت على شفتيه ابتسامة ناعمة جعلت جسمي يقشعر !

بناء عن تعليمات أ م ج بقيت في باريس بعض الوقت قبل أن أرجع الى أمريكا وقد طلب مني أن استقصي من (زيلاتوفيسكى) وزوجته هل غيرا رأيهما عن الرجوع الى الولايات المتحدة ؟

قالت (جين) لي (نحن لم نغير رأينا • ولن يحدث هذا) وكانت متأكدة أن محققى وزارة الخارجية كانوا فى أثرها ، فقد أنذرتها بذلك امرأة عملت معها في ادارة المخابرات العامة في فينا منذ سنوات • وكان هذا بناء عن أن صديقة (جين) قد سئلت اسئلة مريرة بواسطة رجال وزارة الخارجية ، وطلب من هذه المرأة أن تكتب للمحققين كل ما تعرفه عن (جين) •

ومع ذلك كانت لزيارتى نتائج طيبة ، (فجين) التى كانت تشك فى منذ سنوات قد شعرت فجأة بتغيير احساساتها ، أو ربما أنها وجدت أني أملها وأمل (جورج) الاخير لايصال ما انقطع بينهما وبين موسكو • كتبت لى مذكرة صغيرة وطلبت منى أن أوصلها الى الجنرال (كروتوف) عند ما أراه فى أول فرصة وكانت عن طلبمقابلة شخصية معه وقد وقعته (سلانج Slang) • وكانت هذه المذكرة بينة هامة تثبت أنها عضوة فى حلقة جاسوسية (سوبل) ثم هى بخط يدها •

كان الاجتماع التالى مع (جاك) فى نيويورك غير شاف كالاجتماعات الاخرى ، فقد كرر ارسال تلغرافاته الى لاتعجل ارسال مبلغ الـ ٥٠٠٠ دولارا وكان غاضبا لانى لم اتعجلها من أجله •

قلت له (لا تحدثنى عن النقود وحدثنى عن (سلافا) فهذا ما جئت من أجله) •

وكل ما أجابنى عنه هو قوله (هم يعرفون كل شيء عن (سلافا) فى موسكو ، وكان يجب أن يتذكروا أنه أعطى (تشاليابين Chaliapin) شنطة عامرة بالاوراق ، فى عام١٩٤٥ عند ما بدىء تكوين هيئة الامم المتحدة• ثم كيف ينسون خدماته لهم فى الاسكا وفى كولون ؟)

كتب خطابا آخر من عشرة صحائف مكررا كل ما سبق أن كتبه اليهم فى المرات السابقة عن حاجته الى المال وعن مشاكله الخاصة بجواز السفر وعن الاعمال الجليلة الذى يقوم بها وسطاؤه فى كندا • وكل ما نجحت فيه هو أنى علمت أن (سلافا) هو ابن اخته التى ماتت أخيرا • وذكر (جاك) فى الخطاب أن اسم ابن اخته هو (ايليا وولستون Ilia Wolston) وذكر أيضا أن (وولستون لم يسافر الى أوروبا بسبب ما أصابه من حادث وفاة أمه ولكنه اليوم أخذ يفيق من حزنه وسيسافر الى أوروبا قريبا جدا) •

وهذا الخطأ كان أعظم أمر أداه لى (سوبل) وهذه الفكرة طرأت لى عندما وصلت الى فينا ثانية فى أكتوبر ١٩٥٤ ففى المرتين الاولتين طلبت فيها نمرة التليفون المعتادة ٤٧٣٠٦ — لم يجبنى أحد وفى المرة الثالثة أجاب على رجل لم اسمع صوته من قبل وعندما عرفته باسمى (ريابوف) اعطانى موعدا فى اليوم التالى ولكننا عندما تقابلنا كان بغيا مفتريا حتى ظننت أن الشرطة السرية الروسية كلها مطعمة بالعسكريين •

وبدون مبالاة بتقديم نفسه الى قال فى الحال (ها أنت وحدك ؟ لقد ظننت أن (سوبل) معك أو على الاقل بالرجل الآخر (س) معنيا سلافا) •

عندما بدأت أشرح له قال (الافضل لك أن تسافر الى موسكو فهم يريدونك هناك) ولكننى كالعادة اعتذرت بكثرة أعمالى الاضطرارية وانى أكون سعيدا لو قابلت (كروتوف) فى فينا عندما يأتى الى النمسا يوما ما •

وفى ٥ نوفمبر أخذنى نفس الرجل الى شقة فى الطابق الثانى فى فولمانجاس وكان (كروتوف) فى انتظارى وقد بدا عليه الغضب لرفض (سوبل) تنفيذ أوامره وقال أنه غاضب على أيضا أما (ابرام) فهو رجل لم يقدر على فهمه أبدا ثم سألنى (ماذا أصاب صديقى ؟ (ططظ) فى جميع سنوات الزمالة والتى كنت اعتمد فيها على كلمته ، ولكن ماذا دهاه اليوم ، كيف تغير اليوم الى هذا الحد ؟)

كانت أ م ج تصر — لاسباب واضحة — على أن تبقى العلاقات بين (سوبل) وموسكو متصلة — مهما كانت غير آمنة لاطول مدة ممكنة • وكل ما أمكننى عمله الآن هو أن أعرض على (كروتوف) التلغرافات التى وصلتنى من (سابل) ويطلب فيها المال ثم شرحت اضطراب أحواله المالية •

كانت عواطف (كروتوف) صادقة الاخلاص نحو صديقه القديم ، وقد تأكدت من هذا • وبعد أن أصغى الى ورغما عن انهيار (سوبل) قد وافق على أن يصدق كل ما قيل ، ولكنه رجع فسألنى (بالله ماذا أعمل اذا استمر فى أن يتسبب فى مضايقتى هكذا) ؟ فقلت (حتما ستصلح الحال يوما ما)•

فرد (واذا لم تصلح ؟ عندئذ لن يكون أمامى الا اغتياله •)

استأذنت منه فى ذاك الوقت بأسرع ما يمكن •

أنه أمر رهيب فى هذا العالم العجيب فقد كنت جاسوسا وأحد أفراد مقاومة الجاسوسية فى نفس الوقت واستمع الى رجل ذى شخصية كالجنرال (كروتوف) يتكلم ببساطة ودون أى عاطفة عن الامر بقتل أحد أقدم وأقرب اصدقائه •

وقد كان هذا هو سبب ترددى فى حضور اجتماع آخر بعد ثلاثة أيام عندما كتب (كروتوف) شيئا فى مذكرته الصغيرة وطلب منى توقيعه بعد أن أخفى عنى ما كتبه •

فقلت (دعنى اقرأ هذا يا (ساشا) فقد وقعت حتى اليوم كل ورقة قدمتها الى دون أن أقرأها ولكنى فى هذه المرة لا بد أن أعرف ما سأوقع عليه) •

أمسك الجنرال (كروتوف) بالمذكرة فى يده لحظة وأخيرا أعطانيها وكان مضمون ما بها (عندما سألت (ديجون) لماذا سأل (افاناسى) عن (بريا) كانت اجابته التلهف على معرفة أخباره وعندما سألت (ديجون) عما اذا كان (سوبل) طلب منه السؤال عن (بريا) فقال لا) •

عندما احتججت بأنى لم آت بسيرة (بريا) كلية سواء مع (افاناسى) أو سوبل) مزق الجنرال الورقة ورماها • لم اتأكد بعد من قصده بهذه الحركة ولكني اعتقد أنه عندما وجد نفسه مهددا بالقتل كأحد أعوان (بريا) السابقين أخذ يحاول أن يثبت أن رجاله كانت لهم ميول نحو رئيسهم •

وفى موعدنا التالى قال (كروتوف) أن اجراءات سفره الى الولايات المتحدة قاربت الانتهاء وسيعلمنى بموعد وصوله وأننا سنتقابل فى نيويورك

ولكن يجب الا اذكر (لابرام) شيئا عن هذه الزيارة ومع ذلك فوضنى أن اؤكد (لسوبل) أن المال الذى يحتاج اليه سيكون معه فى ٥ يناير ثم قال (اريد منك احضار جواز سفرك فى اجتماعنا التالى) •

ولكنه عندما قال هذا دخل سائقه (فلاديمير) فجأة ودون استئذان وكان على وشك أن يبوح بأمر ـ بكل تأكيد ـ ولكن كروتوف أسرع فوضع اصبعه على شفته فسكت ، بعد ذلك أسرع (كروتوف) ودفعنى خارج الغرفة ثم قفل الباب من خلفى • بقيت لحظة فى الردهة لا أدرى ماذا أفعل ولم اسمع أى صوت من وراء الباب المغلق •

وبعد دقائق قليلة خرج (فلاديمير) وهو يرتعش كالاموات ثم وقف بجانبى وقال لى بخشونة (تعال) •

فقلت له (انتظر برهة ، أريد أن أقول مساء الخير للجنرال) ولكن السواق اعترض قائلا (تعال • تعال) • وأمسك بذراعى وأسرع بى نحو الباب وخرجنا •

لم اجرؤ على سؤال (فلاديمير) أى سؤال فى ذاك المساء وقد أوصلنى بالعربة حتى المنزل • وكان موعدى التالى مع (كروتوف) هو فى الساعة السادسة مساء يوم ١٦ نوفمبر ، فقد قابلنى (فلاديمير) وقادنى داخل الشوارع حيث كانت العربة فى الانتظار ، وكان هناك شخص فى المقعد الخلفى لم أره من قبل وكان يلبس معطفا أسود وقبعة سوداء كذلك• وكانت هيئته وجلسته قد اعطيانى شعورا بأن هذا الشخص ماهو الا رجل عسكرى يلبس الملابس المدنية لاول مرة منذ سنوات •

عندما فتح (فلاديمير) باب العربة وجلست بجوار هذا الرجل الغريب، لاحظت رغما عن وجود لحيته أنه يشبه الى حد بعيد (تشارلز بيكفورد Charles Bickford) وبدون أن يحيينى مال قليلا الى اذن السائق وهمس فيها عنوانا ما فى داخل المنطقة الروسية •

عند وقوف العربة لم يكن أحدنا قد نطق بكلمة واحدة • خرج الرفيق أولا من العربة ثم تبعته وسرنا فى الشارع ثم وقفنا عند فيلا من دور واحد ثم دخلناها وصعدنا بضعة سلالم •

دخلنا الشقة وخلعنا المعاطف ، ولم يبد أن بالشقة أحد غيرنا • عزمت على ألا أظهر للرجل ثورة اعصابى مهما حدث كما صممت على الا اتكلم ولو أن المسألة كانت كلعب الاطفال ، حتى يبدأ •

الا أنى لم أطق صبرا أكثر من هذا فسألتــه (الى متى سننتظر وصول كروتوف ؟)

فقال بسرعة : ليس علينا أن ننظر كروتوف •

فقلت (أنه طلب منى أحضر معى جواز سفرى الامريكى) •

وكانت كلماته التى أطلقها ردا على سؤالى هذا مما لم انساها طول حياتى فقد قال (لم يعد هناك (الكسندر ميخايلوفيتش كروتوف Alexander Mikhailovich Korotkov) بعد اليوم • قالها بحدة ودون تردد كالحكم الذى ينبئنى عن الوقت أو الاصابات فى أثناء لعبته البيسبول •

ــ ماذا حدث له ؟

فقال هذا الرجل (تشارلى بيكفورد الروسى) •

ــ لقد ذهب • دعنا منه ولننساه •

فقلت بحمق : ولكنه طلب منى جواز سفرى الامريكى !

فقال : سلمه الى •

فادخلت يدى فى جيب معطفى وسلمته اياه ففتحــه ونظر فيه ثم قفــله واخفاه عنى ثم قال :

أريد أن أسألك سؤالا واحدا ــ الا تزال تريد أن تستمر فى العمل معنا من أجل المذهب ؟

ــ طبعا !

فقال : قد تعطى لك الفرصة لتستمر معنا ، ويتوقف هذا على ما يحدث هناك فى هذه الليلة •

بدأ جسمى يقشعر فلم تكن فى نبرات صوته لجلجة ما ، وانى ككل شخص آخر من رجال السينما لم استخف قدرتى على سحر الناس ، ولكنى فى حياتى لم افشــل كما فشلت فى افتتان هــذا الصنم الروسى • حاولت أن ابتسم

للاسد لاروضه ولكني خفت واني موقن أنه أحس بخوفي عندما تبعته عيناي عنـدما ذهب الى معطفـه ووضع يده في جيبـه ٠ أخرج دفترا بحجم ورق الخطابات وبعض الاقلام الرصاص ووضعها كلها على المكتب ٠

قال لى وهو يشير الى أحد الكراسي : اجلس ٠

بعد ذلك قال (اكتب هنا كل شيء عن نفسك وعن تاريخ حيـاتك وعن عائلتك وحالتك الماليـة وعن وسطائك السوفييت الذين تعاملت معهم ٠ ثم صف علاقتك مع (ابرام) من المبداية للنهاية وكذلك علاقاتك مع أعضـاء جماعته الآخرين ثم أهم الاعمال التى كلفت بهامن رفيقنا السابق (الكسندر ميخايلوفتش كروتوف) ٠

في هذه اللحظة حضر السائق (فلاديمير) وهمس بشيء له فقال لى الرجل ذى المعطف الاسـود (اني مضطر للتغيب عنك بعض الوقت وآمل عنـدما أرجع أن أجدك قد كتبت التقرير الذى أريده منك ٠ لاتهمل ذكر شيء) ٠

جلست الى المكتب ولم تبد الاوراق البيضاء تفزعني يوما كما هى الآن فقد كنت فزعا من أن أكتب شيئا وكنت فزعا من أن أفكر ، وليست عندى أية فكرة عن المدة التي سيغيبها عني هذا الرجل ، وعندما رجع وجدني لا أزال جالسا الى المكتب أسرح بنظرى فى الفضاء ولم امسس لا الورق ولا الاقلام ٠

فصرخ (يا رفيقى هناك أنواع كثيرة من وسائل الاقناع) ! كان الرجل يبلغ طوله ستة أقدام وبوصتين وله عضلات سائق اللورى وكنت موقنا أننا اذا تعاركنا فسوف ينكل بى حتما ، وشعرت فى ذاك اليوم بحمى الهستريا أكثر من أى يوم آخـر ، ومع ذلك تغلبت عـلى عواطفى وكظمت رغبتى فى الاستهزاء به ولم أرد أن أفكر فيما كان سيحصل لو أنى لم أحكم عواطفى ٠

هدأ برهة يفكر فيما يأتى به فى الخطوة التالية ثم رمى بجثته رميـا فى كرسى بجوارى وأخذ الورق وأخـذ الاقلام من أمامى ثم بهـدوء بدأ يكتب ويكتب ٠٠٠ وعندما انتهى من كتابته دفع بالورقة أمامى وكان قد كتب فيها بالروسية نحو عشرين سؤالا ٠

جمعت شجاعتى وحاولت أن أهدىء الجو قليلا وقلت له أنه منـذ زمن بعيد ، كانت هناك مجلة أمريكية تسمى (الحرية) وكانت أحسن ما تميزت

به على المجلات هى مقدرتها على وضع هذا العدد من الاسئلة للقراء • ثم قلت (وكانت الاجابات على صحيفة أخرى من نفس عدد المجلة ولكنها مكتوبة بالمقلوب حتى لا يمكن للقارىء أن يغش بسهولة) •

استمر لحظة حائرا ثم فجأة صرخ فى أذنى (كفى هذيانا) سكت • ثم قال لى أن الافضل لى أن أفهم أنه حضر من موسكو الى هنا لغرض واحد هو مقابلتى واختبارى (ولن أبرح هذه الغرفة حتى تجيب على جميع الاسئلة حسب ما أرضى أنا ، لا ترضى أنت) •

سكت لحظة ثم قال ثانية (فاما أن تجيب عن اسئلتى أنا ميخاييل بتروفتش أو تقطع صلتك بنا من هذه اللحظة • ولن تفيدك المراوغة ، كما أن اجابة الاسئلة ـ نص نص ـ لن تفيدك أيضا • ثم اذا كنت لا تهتم بالتعاون معنا يا (ديجون) فاخرج من هذه الحجرة ـ وحاول أن تخرج) •

وقد شامخ نفسه على ووضع يديه على ردفيه • مددت يدى المرتعشة نحو أحد الاقلام فقد أدركت أنى ان لم أقبل التعاون معهم فلن أخرج حيا من الحجرة فسوف يقتلنى دون تردد كما يقتل الصرصار •

أدركت أنها مسألة حياة أو موت ورأيت أنى قزم هوليود الصغير ويجب أن اتغلب عليه بعقلى فقط ، فلن أقدر على مصارعته أو مقاتلته أو أقفز أو أجرى من أمامه على ذلك يجب أن أغلبه بفكرى ، فبقليل من الفكر والذكاء قد أوقعه وأنقذ نفسى ، على هذا يجب أن أعمل شيئا ، اقول شيئا ، لاكسب الوقت •

كانت الساعة وقتئذ الثامنة مساء ولكن (ميخائيل بتروفيش) لم يكن متعجلا وقد قال أن أحسن طريقة لتساعدنى فى تجميع ذاكرتى هى مناقشة كل سؤال معى قبل أن أكتب الاجابات وكان يقصد بالطبع أنى أكتب فقط ما يريد هو أن أكتبه •

كانت اسئلته الاولى هى :

١ ـ ما هى الاعمال التى طلبت منك ؟

٣ ـ من عرفك بكروتوف ؟ صف الظروف وكذلك كلمات السر التى أعطيت اليك فى ذاك الوقت •

٤ ـ متى عرفت (سوبل) وكيف تقابلت معه ؟

٥ ـ ماذا تعلم عن ركتور ، سلانج) ؟

كانت اجابات هذه الاسئلة بسيطة ولكنها ليست حتما اجابات قصيرة . فمثلا ، في اجابتي عن السؤال الخاص (لسوبل) طلب الى (ميخاييل) أن اعدد المرات التي رأيت فيها (ابرام) في أوروبا والمرات التي زرت فيها مصنعه ، وكذلك معلومات كثيرة عن كل من أقاربه الذين تقابلت معهم ، وكذلك أسماء الاشخاص الاصلية وعنواناتهم الحالية . وبالاضافة الى هذا هل قابلت (جاكوى آجير) ؟

٦ ـ ما هي توصياتك عن (سوبل) ؟

فوصيت أن ترسل له موسكو ١٢٫٠٠٠ دولارا . عند ذلك صدرت من السيد المحقق ابتسامة هزؤ باردة وقال (ميخاييل) أن كل سنتيم صرف في مشروع شعر الخنازير قد ورد من موسكو فكفي، وهذا يناقض ما أخبرني به (سوبل) . ذكرت بعد ذلك أن (كروتوف) قد وعد أيضا (سوبل) أن يسوى المسألة من أجله ثم اعتذرت في الحال وقلت أنها كانت فكرة موسكو . فقال ميخائيل أن كروتوف قد أساء التصرف مع (سوبل) ومعك . فقد كان (كروتوف) يثق (بسوبل) ثقة عمياء والنتيجة أن أصبح (سوبل) خطرا بالنسبة لما كان يعلمه ـ أكثر مما ينبغي .

أرهفت أذني، فقد اتى بذكر المسألة الغامضة مرة أخرى! فما هي المعلومات الخطيرة التي يعرفها (سوبل) حتى أصبح هاما جدا ؟ فهل سيبوح بها هذا الرجل العجل ؟

استمر في حديثه فقال أن (سوبل) قد اخطأ خطأ شنيعا بأن تهرب من مواجهة المركز ويشرح كل شيء لهم .

في أول الامر لم أدرك ماذا يقصد بالمركز ؟ ثم فهمت أخيرا أنه يقصد أن الرؤساء في الشرطة السرية بموسكو لا يدعون (بالوطن) بل (بالمركز) وقال اذا كان (ابرام) أقل جبنا فقام بأى محاولة للتعاون باخلاص ، لوصلته كل مطالبه من المال والمساعدات الاخرى ، ولكنه كان دائما متذمرا .

حاولت أن أشرح مشكلة (سوبل) في مسألة جواز سفره ولكن (ميخاييل) لم يكن لديه أى استعداد للاستماع الى دفاعي عن (سوبل) وصرح لي بهذا .

بعد ذلك أوقف شعر رأسي رعبا عندما افشى السر ، وكان هو أن (سوبل) عنده تفصيلات شاملة عن اتبـاع (تروتسكى) وليس الذين فى الولايات المتحدة فقط بل وفى أوروبا بل وفى روسيا نفسها ٠

عندما علمت بهذا أمكننى أن أفسر سر اهتمام موسكو (بسوبل) وكان هذا هو الغنيمة الكبرى التى فزت بها بعد انتظار طويل ولكن فى المرحلة الثانية كنت أسرح فى خيالى هل يمكننى أن أخرج حرا حتى أذكر هذا الى رجال أ م ج ؟

حاولت جهدى الا اتسرع فى التخلص من ميخاييل وقد أكد على ميخاييل أن أضغط على (سوبل) عند ما أقابله فى المرة التالية وأقول له أن موسكو مهتمة جدا بالموضوع الهام الذى كلفته به من قبل ٠ ثم نظر الى نظرة غريبة وقال (عندما تقول له هذا لا تذكر شيئا عن التروتسكيين) ٠

ـ وكيف أقول له هذا دون ذكر التروتسكيين ؟

ـ يكفى أن تقول له الموضوع الهـام الذى كلفت به من قبل فى العشرة سنوات الماضية وعند ذلك سيفهم كل شيء٠ والسبب هو أنهأصبح مكروها فى المركز لانه لم يفدهم بأى معلومات عن هذا الموضوع ، فهو يخدعنا مع أنه يعلم الكثير ٠

وفى أثناء الحديث عن المال وهل سيرسل الى (سوبل) ام لا قلت له أن (ابرام) طالما طلب منى سلفة شخصية وقلت (وهذا يثبت لك سوء حالته المالية !)

عند ذلك تلا (ميخاييل) على محاضرة طويلة ، بأن احدى اخطاء (سوبل) الاساسية أنه دائما يطلب مالا ـ مالا ٠

وعندما انتهى الحديث ـ والحقيقة أنه كان حديثـا من جانب واحد فقط سألنى (ميخاييل) اذا كنت أوافقه على رأيه فى تحليل شخصية (سوبل) ؟

بالطبع لم أجرؤ على أن أقول شيئا يخالف ذلك فوافقته ٠

عند ذلك طلب منى أن أوصى بألا يرسل الى (سوبل) أى سنتيم ، على الا أقول أن توصيتى هذه هى نتيجة نصيحته لى ٠

بعد ذلك انتقلنا الى السؤال التالى ٠

٧ ـ ما السبب فى أن (سـوبل) طرد (ركتور وسـلانج) ؟ وكانت اجابتى (ثبت له من حركاتهما أنهما غير جديرين بالثقة) ٠

٨ ـ وهل توافق ؟

ـ نعم ٠

٩ ـ ولم توافق ؟

شاهدت بنفسى سلوك (ركتور) السخيف بعد أن منحته عملا فى دور السينما ٠

فقال (ميخاييل) : ولكنهما متصلان اتصالا مباشرة مع ادارة المخابرات للجيش الامريكى وسيزودهما أحد رجال تلك الادارة بالمعلومات فى هـذه الليلة ٠ وقد اعتادت (سلانج) أن تكتب الينا تقارير ممتازة ولو أنها لم تكتب الينا منـذ مدة طويلة ٠ فهل تظن السبب فى طردهما أن (سلانج) تشاجرت مع زوجة (سوبل) ؟ فهل هذا هو السبب الذى لم ترض عنه ولم تثق بهذه الثورية الصادقة ورفضت أن ننقل تقاريرها الى فينا ؟)

وبدون أن يعطينى أى فرصة للاجابة اتهمنى بأنى عاطفى ولست ثوريا صادقا ٠

وفى دفاعى عن نفسى قلت أن (ركتور وسلانج) لم يثقا بسوبل وزوجته (وانهما لم يعطيانى تقريرا ما كى أوصله اليك لانى لم اتمكن من اقناعهما بأنى موفد منعندك وليس من عند(ابرام) الذى يعتقدان أنه ألد اعدائهما)٠

١٠ ـ ما رأيك فى التصرف مع (ركتور وسلانج) ؟

فقلت اذا كانت الرئاسة تعتقد بفائدتهما فلا بد من اعطائى برهانا قويا لاثبت لهما أن العمل المطلوب منهما أتى لهمـا من موسكو وعن طريقى أنا وليس عن طريق عدوهما (ابرام) ٠

كانت اجابتى مدعاة لضحك (ميخاييل) ضحكا أجش وسألنى (ما نوع البرهان الذى تريده ؟)

فاقترحت كتابة خطاب أو يقولون لى على كلمة السر الخاصة بركتور اذا كانت لا تزال مستخدمة ٠

فقال (سأعطيكها وبذلك سوف يعرف أنك موفد من طرفنا) ٠

١١ ـ هل قابلت « س » (أى سلافا) ؟ وهل توافق مع آراء (سوبل) العظيمة عن اخلاقه وكفاءته ، وماذا توصى به من أجله فى المستقبل ٠

وقد سر (ميخاييل) عندما قلت أنى لم أر (س) وقال أنه يجب على أن أوصى بأن يوكل أمر هذا العميل الى ، ثم طلب منى أن أكتب كل ما سمعته عن (س) وأن كل معلوماتى عنه انما سمعتها من (ابرام) ٠

١٢ ـ ماذا تعرف عن (ب) ؟

وكان (ب) هو (بيلوف أو بيلوفا) وهى الاسماء الكودية لـ (جيك البام) وقد اضطررت مرة أخرى أن اتحدث عن موضوع النقود ٠

وفى هذه المرة تهيج (ميخاييل) وقال أن السوفيت قد اعطوا (ب) ليس فقط النقود بل أيضا ثروة ضخمة من الماس وفى الحقيقة أنهم نقلوا اليه ثروة تقدر بمبلغ ٢٥٠٠٠ دولار عن يد (سوبل) ٠

وأمرنى (ميخاييل) أن أضيف على جوابى عن السؤال رقم ١٢ اقتراحا منى بأن يسلم (البام) الى ٠ وكان أول واجب على من جهته هو الحصول على تقرير شامل عن حركاته فى العامين الماضيين ومشروعاته للمستقبل ٠

١٣ ـ ما هى مشاعرك وأفكارك عن (فيتالى تشرنيافيسكى ، افاناسيا فيموف ، ايجور سوكولف) ؟

أجبت عن هذا السؤال بقولى أنى وجدتهم جميعا لطافا متعاونين ٠ وكان (ميخائيل) مهتما جدا ـ كما وضح ذلك ـ فى هل تحدثوا معى عن (بريا) فى وقت ما فاقسمت له أن هذا لم يحدث ٠

فى هذه اللحظة صرت منهكا بسبب كثرة الواجبات التى أوكلها الى ٠ ثم أن الشيوعى لا ينتظر أن يكون الرجل جاسوسا ورسولا (مراسلة) من أجل موسكو بعد أن كان فى القبر ٠

والاسئلة التالية وهي نحو ستة أسئلة أخرى أجبت عنها باختصار وبقدر ما سمح لى من الجرأة وقد كانت هذه الاسئلة :

ما هو تاريخ حياة أفراد عائلتك فى الولايات المتحدة ؟

ما هو ماضى أهلك فى روسيا ·

ما هو مركزك المالى ؟

وفى الحديث عن السؤال الاخير شكوت من أن المركز قد ظن انى مليونيرا ولكن هذا غيرصحيح · وذكرت الحقيقة وصححت هذا الخطأ أولا الى (زوبيلين) ثم (سوبل) وأكدت لكليهما أنهما خدعا لانى ككل من يشتغل فى أمور السينما أنزل فى أحسن الفناق وصرفت المال ببذخ وهذا تقليد وفسرت لهم بأن (كل من يشتغل فى الافلام بصفة خاصة يعمل هذا وهو تبذير صحيح ولكنها عادة تعوض مصروفاتها) ·

وأخبرته أني أخيرا وظفت أموالا فى أرض بالنمسا بجبال الالب واعتقد انها ستحتوى على احجار ثمينة (زمرد) ·

طلب منى ميخاييل أن أكتب بيانا بكل ممتلكاتى كما طلب منى أن أقدم له عينة من هذا الزمرد مما أملك وذلك فى الاجتماع التالى مع التحليل الكيميائى الموجود عندى ·

وأمرنى ألا أعلم السلطات الامريكية المختصة بالثروات المعدنية عن مشروعى هذا ·

فى ذاك الحين بدا (ميخاييل) هادئا ولطيفا فقدرت أنه يمكننى اذن أن اسأله عن المذكرة التى وقعتها لـ (كروتوف) وقمت بهذا كمغامرة ولكن بعد أن حسبت لها حسابها وكنت متأكدا أنه يعلم بأمر هذه الورقة وأنه سيكون راضيا عن اخلاصى فيخبرنى عنها ·

ولكنى للمرة الثانية أفشل فى ادراك حقيقة هذا الرجل فقد قال وقد بدا يتعاظم على (الا تعلم مافى الورقة التى وقعت علهيا ؟) ثم ضم قبضة يده ودقها على المكتب واستمر يقول (بالله ماذا تخرف ؟ كيف توقع على كلام دون أن تقرأه أولا ؟)

لم اتمكن من تفسير الامر له فانى لم أدر حقا لم عملت هذا ، الا لانى وثقت بكروتوف الى حد ما وهو أمر لم أمنحه أبدا لهذا الشخص •

ثم صرخ قائلا (والآن نحن لا نعلم أين هى هذه المذكرة أو ماذا فيها) واستمر يدق المكتب بقبضتى يديه ثم قال (والآن لا يوجد الآن كروتوف ليخبرنا عنها • ولن يوجد كروتوف أبدا حتى نسأله) •

انتظرت حتى هدأت ثورته وطال هذا عدة دقائق ثم دفع باصبعه فى صدرى وقال (ولكن لا تقل لالبام أن حاميه الجنرال العظيم كروتوف قد ذهب !)

فقلت (سوف لا أفكر فى هذا) •

وأخيرا سأل السؤال الاخير (لم تعمل من أجل المذهب الشيوعى ؟) فقلت له الحقيقة وهى لحماية أهلى فى روسيا • وعندما نظر الى نظرة مريبة اضفت قولى (ومع ذلك فهذا لم يخدمنى فقد قتل اثنان من أشقائى بواسطتكم أنتم السوفيت) فاجاب (لا بد أن هناك دواع قوية لهذا) •

عند ذلك ثرت دون حذر وبدأت أصرخ فيه فقد جاء دورى أنا لادق المكتب بقبضة يدى ، وكنت أعلم أن صراخى فى وجهه قد يكلفنى حياتى ولكنى لم أبالى بهذا الآن •

وعندما سمعته يتأسف على شقيقى الميتين وقد قتلهما البلطجية مثله ، كان هذا فوق طاقتى •

والعجيب أن ثورتى هذه أدت مفعولها فقد هدأ تماما وبعد لحظة أخذ يسرد لى حياته الحزينة أيضا • فقد ولد فى أسوأ ظروف ومات أبواه قبل أن يبلغ الشهر الثالث من عمره ، وهكذا ولو أنه أصبح يتيما فقيرا ثم ضم الى أحد الملاجىء الخيرية التى تديرها حكومة موسكو **فقد علم أخيرا لمن هو يقاتل الآن • انهم هؤلاء الدهماء ! أنه أصبح مستعدا لمنح حياته اليهم ، هؤلاء الدهماء وكذا حياة الملايين من العبيد المضطهدين فى الولايات المتحدة والدول الرأسمالية الاخرى •**

وأما عن شقيقى فقال أنه ما لم يكونا قد ماتا وهما يخدمان المذهب الشيوعى للثورة فان أمرهما لا يعنيه •

وهكذا وفقت ثانية ، فقد جربت حظى بصراخي فيه ثانية وقلت له (فى كل مرة أعمل فيها للسوفيت أعرض حياتى للخطر من أجل الثورة • وفى كل مرة أدخل المنطقة السوفيتية أعرض حياتي للخطر من أجـل المذهب) ولكن ماذا قدم هو من تضحية ، هذا الرجل الشاب الذى يستبد ويجعجع فى رجل كبير السن مثلى؟ وماذا يمكننى أن أصنع معه هنا وهو محاط بجمع من رجاله وفى خارج المنزل وفى كل مكان ؟ وأنا وحدى لا يحمينى أحد !

ظللت فى عصبيتى وبقى هو جالسا فى كرسـيه ينظر الى لا يتكلم ولا يصدق انى اثور هكذا • وعندما تكلم بعد ذلك أرضـانى وهـدأ من ثورتى كما أرضانى فى مرة قبل دقائق ثم قال (ما دام هدفك الاساسى هو الهدف الثورى فحتما يمكنك مسـاعدتنا ولـكنى أخبرك بصفة جـدية جـدا أن الافضل لك أن تحافظ على عهودك معنا فلابد أن تثبت على اخلاصك باعمالك من الآن فصاعدا) •

خرجت من هـذا المنزل فى السـاعة الرابعة صباحا ، ومن العجيب أنى لم أقطع اربا •

وكانت هذه اسوأ محنة وقعت فيها حتى الآن •

الباب الرابع عشر

جواسيس فى عملياتهم

قبل أن أذهب الى الموعد التالى مع (ميخاييل بتروفتش)الشاذ استشرت رجال أ م ج المعينين لحراستى ٠

فبعد أن قصصت لهم جميع ما حدث فى تلك الليلة الاخيرة قالا (ان الامر قد ازداد خطرا يا يوريس ٠ اذا أردت الانسحاب فورا فلا لوم عليك ٠ ولن يضيرنا ذلك شيئا) ٠

شكرتهما ولكنى لم أرد أن انسحب ولو أنى كنت خائفا من هذه العصابة الجديدة مع أنى لم أكن كذلك مع الجماعة السابقة ٠

بل هناك موضوع آخر جعل أمر الانسحاب مستحيلا وهى حركة جديدة ، هى أنى كنت معتزما الانتقام ٠ فقد طفت الجماعة الجديدة الـكيل ـ هؤلاء العملاء السريون الذين يعملون فى الظلام المتآمرون الجواسيس المخربون٠٠ وكلمـا اقتربت منهم كلمـا بغضتهم ٠ كنت مريضا لدرجة الاشمئزاز من حيلهم وأكاذيبهم ومكائدهم وقسوتهم ٠ وكنت متضايقا من جهودهم وفلسفة (سمبل سيمون Simple Simon)التى يتبعونها فمن مبدئهم (أنت اما معنا أو ضدنا) ، وكذلك من عقيدتهم فى الخير والشر ، وأكثر مما ضايقنى هو افتخارهم بهوسهم ورضاهم بكل أعمال الاستبداد والظلم التى يأتونها٠

ومن أمثلة هذا ما أجراه الرجل ذى الحلة السوداء معى فى الموعد التالى لى معه ٠ فقد أخذونى مرة أخرى للمنزل الذى فى (اوبرنجاص) ولكنها كانت شقة أخرى غير السابقة فى نفس الدور فهى بخلاف الاخرى التى تم التحقيق معى فيها ٠ كانت مفروشة فرشا أحسن وقد أعدت لى فى صالة الطعام وليمة

فاخرة تليق بالملوك • تذكرت الآن درسا كنت تعلمته عندما كان سنى اثنى عشر عاما فقط وهو انى سوف القى أحسن معاملة وتكريم اذا كنت صريحا ولست خبيثا أو مهملا •

بعد أن انتهينا من العشاء وشرب الفودكا المعتاد في مثل هذه المناسبات بدأ (ميخاييل بتروفيتش) في الجد ، وقد كان هذا الوحش الضخم ، وهي صفته حقا ، اكفأ اداري في الخدمات السرية أي أحسن رجل رأيته في هذه النواحي •

وأحسن مثل لكفاءته هو فى فكرته فى مشروع البريد فى فينا الذى ابتدعه قبل أن يرجع الى موسكو ، فقد استخدم (ميخاييل) شركة مشهورة للنظارات لاجل هذا المشروع واشتريت من هذه الشركة كثيرا من العدسات وآلات التصوير الاخرى الخاصة بالسينما عدة سنوات• ولا أظن أن أحدا من الشركة أو أحد موظفيها قد ارتاب يوما فى أن مؤسستهم المحترمة كان يستخدمها المكتب الروسى للجاسوسية • وانى اعتقد تماما أن واحدا من خطاباتى لم يصل الى هذه الشركة يوما ما ، والسبب هو أن عامل البريد قد صدرت اليه الاوامر بتسليم كل خطاباتي الى (فلاديمير) السائق بدلا عن صندوق بريد شركة النظارات • وقد طلب منى (ميخاييل) أن أكتب فى ذيل ظرف خطاباتي الاصطلاح (Paul Street شارع بول) وأخذ يشرح لى هذا الامر بأن أخرج كتالوجين لهذه الشركة وقد كتب فى أحدهما أسماء كودية لاستخدمها وقد تضمنت الآتى :

مينيلوكس	بدلا من (جاك سوبل)
كلينربيلد	ككلمة سر ـ وهى اسم مادة توضع على أسطح الطائرات
ميتيجراند	للمعلومات الخاصة للسطح الخارجي
بروجكتور	(اوريون) اذا استخدم لهذا السطح الخارجي
أوبيتيك	(ركتور وهو جورج زيلاتوفيسكى)
سبانون جروفر	(سلانج وهى جين فوستر زيلاتوفيسكى)
يونيفرسال	للزمرد
كتالوج	للرسالة
بريزمر	للمقابلات ـ تكتب المدينة وأما التاريخ فبالارقام (مثلا ابريل هو الشهر الرابع فى العام فمثلا ٣ ابريل نكتب ٤٣)

توليرانز	لجواز السفر
جويخت	للاشارة عن (الكردينال سيلمان وجلينـان ولويس لورى)
انستالت	فينـا
سكالا	سفرية أو رحلة
كمبنستاتور	(بوريس موريس)
باتنت	تحويل النقود

أمرنى أن أكتب الخطابات بأى لغـة ما عـدا الروسـية وأن اسـتخدم الاصطلاحات العملية (التجارية) وبحيث أن كل رسـالة تقرأ كأنها أمر • وللتجربة السريعة طلـب منى (ميخاييـل) أن أكتب خطابا كنموذج من زيورخ الى باريس لانه أراد أن يختبر يقظة موظف البريد • وقد كان •

والظاهر أن (ميخاييل) قد ظن أنى دبا اتحمـل أعمالا بكثرة دون ملل فأخذ يكلفنى اعباء متلاحقة كلما فكر فى واحدة منها وظن أنى أقبل كل هذا ممالأة منى لاثبت له استحقاقى لثقته فى بل أنه عيننى رئيسا لحلقة جاسوسية (سوبل) بدلا منه • ولو أن (سوبل) لم يؤد لموسـكو أى خدمة فى مدة عامين على الاقل ، فهذا لم يقلل من الشرف الذى يوليه الى •

ولو أني كنت قائما الى باريس لمدة قصيرة ، فقد صمم على أنه لا بد لى من زيارة شقة (زيلاتوفيسكى) فى شارع دى مازارين ثلاث أو أربع مرات على الاقل • كذلك يجب أن أكتب تقريرا بوجهة نظرى عن هل هو غبى جدا وهل زوجته مدمنة للشرب فلا يصلحان للعمل مع الشرطة السرية الروسية مرة أخرى من عدمه •

وفي باريس طلبت شقتهم تليفونيا مرارا دون أن أحظى باجابة • كانت العملية الكبرى التى طلبها منى هى فى الولايات المتحدة فقد طلب منى (ميخائيل) أن أضع (ارنبة انفى) بين رحتى حجر الطاحون : أولا طلب مني أن أراقب (سوبل) واكتشف هل ذهب الى المكسيك أخيرا لعملياته الخاصة أو فى مصلحة الحزب • وعندما سألته (وماذا تريد منى بخصوص اتصالات (ابرام) بكندا ؟) نصحنى الا اضيع وقتى فى هذا الامر وأمرنى أن افرض رئاستى على (سوبل والبأم) من الآن وابلغهم هذا وأن أحل محل (سوبل) فى أن أكون وسيطه الوحيد في أمريكا • وعندما أرى (سلافا) يجب أن أحصل منه على جميع تقاريره منذ سنوات ولو أن بعضها قد يكون اليوم غير ذى قيمة •

وكان (ميخاييل) كغيره قد أكد لى بأنه وجميع من فى موسكو سيكونون راضين عنى جدا اذا أنا نجحت فى ارغام (سوبل) على الذهاب الى أوروبا.

وكان التكليف الهام فى هذه السفرية طريفا وهومعرفة التحليل الكيمائى الذى يستخدمه الامريكيون على طائراتهم التى تسبق الصوت للاقلال من مقاومة هياكلها • وعند نجاحى فى الحصول عليها لا بد أيضا من معرفة الانتاج الفنى لهذه المادة وكانت موسكو تعتقد أنها خليطا من Perlon و Orlon وهى مادة أشبه بالنايلون •

وفى وقت فراغى على أن أعمل جهدى للتعرف بالكردينال (سبلمان وكييت جلينان ، لويس لوير Spellman, Keih Glennan, Louis Lurie والاخير جمهورى شهير فى كاليفورنيا •

طال هذا الاجتماع سبع ساعات ، وقبل أن نفترق اسمعنى الحديث المعتاد عن مستقبل الاتحاد السوفيتى المجيد وحاول أيضا أن يتأكد بأن الوليمة لم تدر رأسى الغبى (من الخمر) ، وأصبح السائق فلاديمير هو وسيطى فى فينا وقال ميخاييل عنه أنه غير (فيتالى وأناسى) فهو لن يكون متهلا معى اذا لم أرخ عنانى • وقال أن (فلاديمير) رجل لطيف وهو مثل عظيم للمدرسة الحديثة للمخابرات الحربية •

وزيادة عن هذا فالمسئولون فى موسكو (مالينكوف وخروشوف وبولجانين ومولوتوف Malenkov, Khrushchev, Bulganin, Molotov كلهم رجال صلبو العود •

انى أرى أن كل هذا قد أيقظ فى الشعور بدنو الخطر وقد ظللت أسمع طويلا عن خشونة الشيوعيين الروس ولكننى نادرا ما كنت اهتم بهذا من قبل •

فى المقابلات التالية اعطونى كلمة سر جديدة وأمرت بأن اتواجد عند مسرح تابور احمل صحيفة مطبقة تحت ابطى الايسر وامسك بيدى قفازى وسيقول الرجل الذى سيقابلنى (هل رأيت (بول سكول) أخيرا) •

وستكون اجابتى (نعم• رأيته منذ ثلاثة أوأربعة أيام فى روما)وسيجبنى عندئذ (حسن يا ديجون) •

في نهاية ١٩٥٤ أصبت بالتهاب رئوى فى فينا فادخلت بسرعة فى مستشفى ، الا أن الممرضة تسببت بجهلها فى ازدياد حالتى سوءا عندما اعطتنى بنسيلينا غير الصنف الصحيح ٠

وعندما قمت على قدمى سافرت فى الحال الى كاليفونيا وبام اسبرنجز للنقاهة ومع ذلك لم أهمل الاتصال مع (فلاديمير) بالخطابات الكودية ٠

وعندما رجعت الى هوليود فى منتصف فبراير ١٩٥٥ أخبرنى رجال أ م ج أن (جين فوستر) موجودة الآن على الشاطىء الغربى وقد اسرعت هناك راجعة من باريس لترى أمها التى مرضت وأصبحت فى حالة سيئة ٠ وبما أنى لم أتمكن من معرفة محلها بالضبط فقد حدثت والدها تليفونيا ، وكنت قد قابلته مرة فى شقة (زيلاتوفيسكى) فى باريس ٠ وفى هذه المحادثة التليفونية قال لى ـ وكانت جين تسمعه وعلى وجهها علامات الضيق ـ أنه يود تحقيق أمر واحد قبل أن يموت هو أن تصحو جين ثم تعترف له بأن عقائدها السياسية كانت خاطئة ٠

من حسن الحظ أن الدكتور (فوستر) قد تذكرنى وقد وعد بأن يجعل (جين) تتصل بى ٠ حدثتنى تليفونيا بعد ذلك فى نفس اليوم وطلبت منها أن تقابلنى فى فندق امبسادور ، وكانت متلهفة على لقائى وقالت أنها فى (لاجولا) ولكنها ستغادرها لترانى فى نفس الليلة اذا أمكن ٠ وتبعد لاجولا عن جنوب لوس انجليس بأقل من ماية ميل ٠ وصلت (جين) الى فندق امبسادور بعد العاشرة مساء ، وبعد أن سقيتها بعض المشروبات على البار أخذتها الى غرفة كنت استأجرتها خاصة لحديثى معها وطلبت من الساقى أن يرسل الينا فى الحجرة بعض المشروبات والثلج ٠

كنت متوقعا الشر من سوء ظنها عندما ترى الحجرة فهى حجرة كبيرة من الحجرات التى تجهز للتجار المسافرين والذين يحتاجون لفراغ كبير لوضع بضاعاتهم معهم فيه ٠ لم تر (جين) مثل هذه الحجرة من قبل فسألتنى عنها ففسرت لها فاظهرت عجبا بها وقامت للتفرج عليها ولو أنها فى الحقيقة قامت لاختبار أبوابها والتأكد من أنها كلها مغلقة ٠ وقد كانت بالفعل كلها مغلقة ولكن فى نفس الوقت كان هناك رجلان من أ م ج فى الغرفة المجاورة يصطنتان ٠

و (جين) التى لم تكن تثق بى أبدا فى باريس تكلمت بصراحة فى هذه الليلة ، فقد شربت كثيرا وكلما ازدادت سكرا كلما انطلق لسانها ٠

و (جين) مثلها مثل (سوبل) أصبحت الآن مجنونة • ففي مرة قالت انى الشخص الوحيد فى الولايات المتحدة الذى يمكنها أن تثق بى أو تتحدث معى فى حرية وصراحة ، وانى فعلا اصدقها فى هذا •

فى نوفمبر الماضى تسلمت برقية من والدها يقول لها أن أمها التى أحبتها أكثر من أى شيء فى الوجود ، هى الآن فى مرض الموت •

فأسرعت فى الحضور وأخذت أول طائرة ولو أنها تعلم أن حضورها للولايات المتحدة معناه ـ الفضيحة ـ أو بمعنى آخر دخول السجن •

قضت بجوار أمها الاربعة أيام التالية بعد مجيئها وقالت (لم يمكننى أن اتصور أمى وهى تموت دون أن أودعها •

وانى راضية الآن بأن اقضى كل أوقاتى بحوارها واساعدها فى الشفاء المؤقت • أرجو هذا على كل حال) •

بعد بضعة أيام من وجودها فى كاليفورنيا زارها أحد أعضاء فرقة الامن بوزارة الخارجيةوأخذ يستجوبها مدة ثلاثساعات ثم أخذ منها جوازسفرها، وقد حزنت بالنسبة للازعاج الذى سببه لها ، وقالت لى (قد سألنى عن مقالة كنت كتبتها فى صحيفة (عالم الناس) منذ سنوات وأيضا عن بعض صور لى نشرت فى صحيفة (العامل اليومية) • وقلت لهذا الابله أنهليست عندى أى فكرة عنكيفية أخذ المصور لى هذه الصور • وفى احدى المناسبات كنت فيها مجنونة حتى أنى ضربت المحقق بجواز السفر فى وجهه) •

وقد آلمها أكثر وأكثر أنالحكومة لم تتخذ أى اجراء مع (جاك) كما اتخذت معها • والنظرية الفسيولوجية تقول أنه لا يضايق المذنب شيء أكثر من الشك وعدم التأكد من أمور تجرى فى القضية •

وقد قالت أن أكثر شيء ازعجها هو أن رجال وزارة الخارجية قد أمضوا معظم وقت التحقيق فى سؤالها عن من عرفتهم قبل ١٩٤٠ وأخذت (جين) تردد قولها ـ بين دقات كؤوس الخمر فى نخبينا ـ (لعلهم سيسألوننى عن (ستيرن) وزوجته و (سوبل) ووزجته فهؤلاء الاربعة هم تحت المراقبة

الآن . فلا بد أن الحكومة تعلم أو على الاقل يساورهم الشك فى بعض علاقاتى معهم . لم لا يهتم رجال وزارة الخارجية عما كنت أعمل فى الخمس عشرة عاما الاخيرة بدلا من سؤالى عن تاريخى القديم ؟ فماذا يهمهم من ماضيى منذ ثلاثين عاما مضت ؟

لا يهم كم كانت (جين) مخمورة فهى لم تخدر نفسها تماما يوما ما فمثلا عندما سألتهـا فى تلك الليلة (هل كنت يوما ما شيوعية ؟) قالت مؤكدة (أبدا ولم تستخرج لى بطاقة شيوعية يوما ما.) وكأنها تقول ذلك وهى تعلم أن الحجرة بها أناس كثيرون يسجلون عليها .

بعد ذلك ، وفى نفس هـذه الليلة أيضا اتضح لى أن مشروب البورريون التى كانت تجعه قد فك عقدة لسانها فأخذت ترغى وتبوح بما عندها فقالت (قد وقعت على بطاقة الشيوعية فعلا فى عام ١٩٤٧ ولـكنى كنت مخمورة عند توقيعها، ولا أظن رجال الامن يعلمون من أمرها شيئا وبالطبع سيقبضون على اذا علموا بأمر هذه البطاقة . الا تظن ذلك ؟) وقد كانت مقتنعة بأنها عندما ترجع الى واشنطن ستحاول استرداد جواز سفرها . ثم قالت (تعلم الحكومة كم أنا كنت ضد الهولنديين عندما كنت فى الشرق الاقصى ، وهم يعلمون أمر حركاتى مع الاندونيسيين . واشـك فى أنهم بحجزهم جـواز سفرى قد اعتبرونى رهينة ، وقد يظنون أن (جورج) سيحاول أن يرجع ليكون بجانبى هنا ، ولكن اذا رجع (جورج) فسيحاولون تسفيره الى روسيا. (ولكنى كتبت اليه بالا يحضر الى هنا مهما كانت الظروف فأنت تعرف أن وزارة الخارجيـة فى باريس طلبت من (جورج) جواز سـفره يوما ولكنه رفض تسليمه اليهم) .

ان لم أكن مرتبطا بعملية خطيرة مع رجال أ م ج فى تلك الليلة لسألتها نفس السؤال الذى طالما أردت أن اسأله للعمال الروسيين الآخرين وهو : اذا كانوا يعتقدون فى صواب فكرة الشيوعية الدولية لجميع العالم ، لم اذن يترددون فى الذهاب الى هذه الارض أرض الخير ؟

وكجميع السكارى لم تثبت (جين) على رأى واحد فبعد لحظة قالت أن (جورج) ليس ذكيا ثم تكلمت طويلا قائلة أنهـا فكرت فى الحصـول على طلاقها منه فى المكسيك ثم سألتنى ببسـاطة (اتعرف محـاميا مكسيكيا متخصصا فى قضايا الطلاق فترشدنى عنه ؟) وبعد لحظة أخرى أخذت تدافع عنه وتلوم (سوبل وزوجتـه) لجميع المشاكل التى احدثاها معه ومعهـا .

قلت لها أني ساعطيها الآن كلمة السر لابرهن لها أني أعمل مباشرة لرؤسائنا في فينا وليس عن طريق (سوبل) ، وسألتها :

(جين ؟ ماذا تريدين مني أن أذكر للسوفيت عن متاعبك هنا ؟ فهم سيسألونني هذا السؤال) •

أجابت (لا شيء) •

رجعت ثانية تلوم وزارة الخارجية لاهتمامها بتاريخها القديم • ففي احدى التحقيقات سألها (روت شيلي) رئيس ادارة الجوازات ساعة كاملة وقد قالت (احبتني المس شيبلي ووضعت معها خطة لان تصبح الراهبة الطيبة • وكان عظيما من (شبلي) أن قالت لاحدى مساعداتها أنها فكرت في أن تبحث في المسألة بنفسها ، ولكن هذا لا يفيدني بشيء ، فيداها مغلولتان) •

في أثناء هذا التحقيق الرسمي صرحت (جين) فقط بما ظنته أن الحكومة تعرفه فعلا عنها ذلك بأنها كانت عضوا في مكتبة يسارية بواشنطون ، وكانت في جماعة دخلت البيت الابيض في الثلاثين عاما الماضية وذلك لتعترف امريكا بروسيا ، وهكذا من المعلومات البسيطة وهي أمور لا تستدعي دخول السجن • وقد وقعت دون حرص شهادة بأنها لم تكن يوما ما شيوعية بل أنها كانت يسارية ليس الا ولو أنها تعرف أن هذا يعرضها للاتهام بالحلف الكاذب •

عندما ذكرت لي كل هذا ابتلعت ما في كأسها بسرعة وعندما ملأت لها كأسا آخر بدأت تلعن سوبل وزوجته ومع ذلك فهي لن تبلغ لاي شخص من أفراد الحكومة الامريكية أن (سوبل) عميل روسي أبدا (والاسخف من هذا أن أقول عنه أنه كان يتاجر في السوق السوداء يا بوريس) •

وفجأة استدارت نحوي وتحول وجهها الى حالة الغضب وسألتني (هلا يمكن أن تكون من أعوان أ م ج يا بوريس ؟)

تظاهرت بعجبي من هذه الفكرة الجنونية • والظاهر أن هذه الفكرة السريعة كما أتت كالبرق فقد ذهبت بسرعة البرق أيضا لانها لم تأت بهذه السيرة مرة أخرى •

ثم قالت أمقت هذه الدولة ، وسأموت حقا ان كان لا بد من أن أعيش هنا • هل تظن أن الوطن (روسيا) يمكنها أن تخرج الناس من هذه الدولة؟

قلت لها أن روسيا عملت هذا من أجل الكثيرين وسأطلب منهم أن يساعدوك في هذا فينشلونك من هذه الدولة • فقالت (انك صديق عزيز يا بوريس) •

عند هذا الحد طلبت منها للمرة الثانية هل كانت يوما ما شيوعية فكررت هذا بالنفى مع هز رأسها • ولكن عندما اقترحت عليها أن تكتب خطابا الى الوطن يشرح فيه السبب فى أنها تود أن تترك الولايات المتحدة اثبتت لى ذكاءها سواء كانت مخمورة أو يقظة أكثر من أى رجل من الجواسيس فسألتنى بصوت فيه ازدراء (خطاب ؟ اتظن انى مجنونة ؟)

بعد ذلك بقليل غادرت الحجرة وكانت الساعة الواحدة صباحا الا الربع وقد طالت المناقشة نحو ثلاث ساعات شربت فيها (جين) كل زجاجة البوربون (الخمس لتر) •

بعد ذلك باحد عشر يوما خرجت الى تورنتو حيث ذهبت لارى (جاك سوبل) • وقد صحبنى أحد رجال أ م ج في القطار حتى مدينة بافالو وقد خفف علي وقتي طيلة ساعات سفرنا شمالا وآخر كلماته لى (احضره الى داخل الحدود اذا أمكن وسأكون فى انتظارك) •

وعندما كان القطار سائرا فى المناطق الكندية المغطاة بالثلج فكرت ، فهل هذه بداية نهاية (سوبل) وحلقة جاسوسيته انها ستكون أهم حادث مثير فى حياتى ولكن ما دامت الآن قد نزلت الشظايا فلن ترتفع ثانية بسرعة فتمسك بى • وهذه العملية ـ احضارهم الى هنا ـ ليست عملية هينة • ثم أن الظروف التي جمعتنى مع (جاك) وقد هده الرعب قد نالت منى كثيرا • كذلك انهكنى الجهد وقد أخذت استمع طيلة الليلة الماضية الى هذيان وثرثرة (جين فوستر زيلاتوفيسكى) فكما أسرعت في انهاء الموضوع كله كلما كان ذلك أفضل لى •

لم أتمكن من حجز محلات مقدما فقد كانت تورنتو تضج بالزائرين وقد وصلتها فى الساعة الثامنة والنصف وقد جمدت أذناى من البرد فى التنقل من فندق الى آخر • وأخيرا وجدت غرفة فى أدج ووتر **Edgewater** وطلبت (جاك) تليفونيا فى بارك بلازا فى الحال وقلت له بأنى سأكون عنده الآن • وقد كان شاحبا منزعجا وتملكته الهموم أكثر من أى وقت مضى وكان فى انتظارى فى الردهة واقترح أن نسير الى الناصية ثم الى مطعم

موراى وقال (لا يمكننى أن أنتظر فى الحجرة فى الدور العلوى دقيقة أخرى فميرا فى مونتريال ـ وما دامت ميرا بعيدة عنى فستكون كل ليلة على أطول من ألف ليلة) ٠

وافقته وقد جلسنا فى المطعم ثم قلت له (أنت منزعج حقا) طلبنا بعد ذلك قهوة وبعض الحلويات ٠

رد على بعد برهة طويلة وقال (من المؤكد أنى أشعر باضطراب بل يجب عليك أن ترى (ميرا) فانا أخشى عليها أن تصاب باضطراب فى أعصابها وهى كما تعلم عندها عقدة من الخوف ٠ وكلانا يرى أنك تتصرف تصرف الاغبياء٠ فمن أنت ٠ هـل أنت مجنون شريف اقسم أنك ان لم تكن تجنى من وراء رحلاتك العديدة الى فينا مالا وفيرا فبالله ما الداعى لكثرة سفرياتك اذن الى فينا ؟)

قلت (ولم لا ؟ وهل هى تعترض ولائى للحزب ؟) فقال وهو محزون (أنا لم أعلم يوما ما ان كنت مواليا للحزب من عدمه يا بوريس ، فأحيانا ظننت أنك انما تقوم بكل هذا للعبث ليس الا ومع ذلك فالرجل المستهتر هو الذى يقوم بمثل هذا العمـــل فقط ٠ والله أعلم أنه لم يسبق أن اتهمك أحد قط بأنك مستهتر ولذلك تجدنى أخدع بتصرفاتك منــذ مدة طويلة) ثم تنهد واستمر يقول (ولكن بالله ماذا دهاك لان تكون مهملا الى هذا الحد ؟ لم أر في حياتي ما يبز اهمالك وعدم حذرك٠ أيخطر ببالك لحظة أن السلطات الامريكية غافلة عنك (وان كان هذا صحيحا يا بوريس فهناك أمر آخر احذرك منـه وهــو اما أن السوفيت يتجسسون عليك أو يستخدمونك للتجسس على ٠ لكن ما لنا ولهذا الآن فانا اطيق البقاء هنا أكثر من هذا) ٠

(اذن فلنذهب الى غرفتك لنتم الحديث فيها) ٠

ولاشد ما ضايقنى أننا عندما خرجنـا من الغرفة صمم على أن نسير فى الطريق لنتحدث فقلت له (بالله يا جاك ان الجو بارد فى هذه الليلة والبرد تحت الصفر ٠ فلندخل من البرد) فقال (لا ٠ انى قلق جدا) وأخذ يشكو لى متاعبه ٠

ولكنى قلت له (اســمع ياصديقى ٠ أنا أكاد أموت من البرد هنـا لانك صممت على أن أخرج فى الخلاء ٠ لقد قطعت سفرية هامة لعملى فى شيكاجو لاقضى ساعة أو ساعتين معك لنتحدث لا لان اسمع بكاءك وشكواك) ٠

فنظر الى كما لو كنت قد لطمته على وجهه ، ولـكنى استمريت دون أن استلين له (لننسى الآن الامور العاطفية مرة فلدى رسالة لك وهى رسالة هامة جدا) ٠

فنظر الى بعينين كلهما انزعاج ٠

كانت أهم أخبار عندى لجاك هي اغتيـال كروتوف وهو الرجـل الوحيد الذى وثق به في موسكو والذى كان ينظر اليه كأحسن صديق له وحاميه وسنده ٠ ومن الامور الاخرى أن أ م ج كانت تهتم جدا بأن أقول له هـذه القصة بشكل محزن بقدر ما يمكننى وفي اللحظة التى يأخذ منه فيها الخبر أقسى ما يمكن من التأثير السيء عليه ، وقد بلغ به الفزع فربما يذهب معى مختارا متطوعا الى مكتب أ م ج فيقول لهم كل ما أراد أن يبوح به ٠

بدأت اذن اصف له سلسلة مقـابلاتى مع كروتوف كما لو كان حيـا ٠ وقلت :

(كان أول مؤتمرين من هـذه المؤتمرات بخصوصك فقـط وبحركاتك وبمشاكلك ٠ لكن لندع هـذا وندخل مباشرة فى الامر الهام ٠ فصديقك القديم الذى اعجبتنى منـه قوة احتماله وصبره معك أصبح يشـك فى أن عميلك الشاب الذكي المخلص لك (سلافا) لا وجود له كلية وان الامر كله خدعة) ٠

انتفض كمـا لو كنت قد التقطتـه من عميق ، وعندما تكلم كنت كأنى استمع الى طفل منزعج قال :

(لم اتوقع ـ ابدا ـ أن (ساشا) ينقلب على (بهذا) الشكل) ٠

(بل أنه يظن أنك (أنت) الذي انقلبت عليه ، والا ماذا كان يظن ؟ أنك لم ترسل اليه شيئا ٠ صنيعك الخرافى لم يسمع عنه ولم يره ولم يكتب تقريرا من سطر واحد اليه ٠ وعادتك فى الالحاح على طلب النقود ضايقت ساشا أشد الضيق وهو الآن يظن (أنه) سوف يحاسب ويعاقب لانه لم يتسلم منك حساب الاموال التى عندك ٠ فقد أخذ يسألنى كيف يمكن أن يفسر لهم فى الوطن أمرا لم يفهمه هو نفسه !)

أخذ (جاك) يسرع الخطى حتى أنى أخـذت أجرى لالحق به ولـكن هذه الكلمات الاخيرة أوقفته وقـد كنا فى ناصية تحت فانوس الشارع فوقفنا تحته ٠ لم تبدو منه أى مبالاة للبرد ولـكنى أنا كنت متحضرا منـه جدا ،

وكنت اشعر أني سأتجمد من البرد قبل أن أبدأ في النهاية ـ نهاية كل ما في جوفي من الحديث • أما جسمي الضئيل فقد كان كل رطل فيــه من الدهن قد تجمــد ، ومما جعلني أشعر بالبرد أكثر وأكثر هو مشــاهدتي لحركات (جاك) ففي لحظات خلع قفازه هرش في وجهه ثم لبس القفاز مرة أخرى ثم خلعه وهرش في أنفه ثم لبسه مرة أخرى •

أخذت اتتبع تعليمات أ م ج ، فوصفت له كيف أن (فلاديمير) وهو رجل ضخم الجثة لم أر مثله من قبل قابلني وأخذني الى الاجتماع مع (كروتوف) وقلت (وفي كل مرة كان (فلاديمير) يبدو أقل احتراما له ، وشعرت بأنه يضحك من (كروتوف) دون أن يشعره ثم أخذ يضحك منه في وجهه ثم ـ) زفرت وكلي أسى (ـ هذا هو الذي حدث يا رفيقي (سوبل) •)

فسألني بصوته الحزين الخافت (قل لي • قل لي• أرجوك أرجوك) سكت لحظة ثم اتممت حديثي قائلا (في المرة التــالية ذهبت الى الموعد ولم يكن هناك (كروتوف) وكان بدلا عنه رجل عسكري شرس ينتظرني في العربة• وكان يلبس معطفا أسود ، ولم يقل لي شيئا كلية في طريقنا الى الشقة في اوبرنجاس • وعندما دخلنا الشقة التفت حولي ولم أجد ساشا) •

وقد تحول وجه (جاك) الى لهفة ترقب مزعجة ورجاني (ماذا حدث ؟ بالله قل • لا تعذبني • ماذا عملوا في ساشا عندما حضر هناك ؟)

(لم يحضر يا جاك • سألت عنه ولكنه لم يحضر) •

(ماذا ـ ماذا ـ ماذا ـ) وأخذ (سوبل) يتمتم (قل لي يا (بوريس) بالله •لا تعذبني أكثر من هذا) •

فقلت بتؤدة (ان هذا الرجل الضخم ذي المعطف الاسود نظر في ساعته!)

ـ استمر • استمر ماذا ثم لساشا يا بوريس • قل •

ـ كيف أحكي لك وأنت لا تهدأ •

حاول (جاك سوبل) أن يهدأ وقد وضع يديه بقفازه على فمه ولكنه لم يقدر على تأوهاته التي كانت تأتي من خلف القفاز كأصوات الحيوانات•قلت:

ـ ان هذا الرجــل ذا المعطف الاسود نظر في ســاعته وقال (لا تنزعج لقد انتهى كروتوف) •

لقد توقعت أن (جاك سوبل) وقد انتهى آخر انسان يحميه من الوجود سوف يصرخ ولكنه بدلا عن هذا وقف على هذا الرصيف المغطى بالثلج وفى منتصف الليل وأخذ يبكى صديقه الميت ٠٠

وبعد برهة قال كمن يحلم (اغتيل ! ولكن لم المفاجأة انى عرفته يا (بوريس) عرفته عندما كان (بريا) ٠٠) ثم سكت ورجع فقال (ولكن هذه هى النهاية) قالها وشفتاه مضمومتان الا من جانب على أثر بكائه (فالرجال الذين على شاكلة ساشا هم أفضل شيء عندهم بل هم الشيء الوحيد الذى عندهم) ٠

ولكن هذه هى النهاية بل هو (الرجيم) الذى نعرفه جميعا ونحترمه ٠ ابلغهم كل شيء عني وليذهبوا الى جهنم أنهم جزارون ٠ انهم قتلة وانى لست مجنونا كى آمن لهم فانهم ان طالونى فى أوروبا يوما ما فأنا موقن أنى لن أرجع الى هنا حيا) ٠

لم يصبر (جاك) كى يستمع الى باقى حديثى عن رسالة (ميخاييل) فأخذت اتكلم وأقول (لايمكنك التهرب من الذهاب الى أوروبا أكثر من هذا، فالعصابة الجديدة لايصدقون صعوبات جواز سفرككعذر لك ٠ فسيسلونك جوازا مزورا فى أى وقت تريد) ٠

– لن أذهب ٠ وصمم على قوله بل ونصحنى أنا كذلك وأظنه لا يزال يحبنى باخلاص فقد خاف على من أن تأمر الرئاسة بقتلى اذا وقعت فى يدهم مرة أخرى ٠

نهرته كى يستمع الى وقلت له ان الرئاسة بموسكو جعلتنى بأمر رسمى رئيسا لجماعته بدلا منه ولكن فىهذه المرة طلبوا منى أن أدير عمليات(سلافا وبلوفا) ولا يهتمون بعملائه الكنديين ٠ وكل ما يريدونه هو المعلومات التى يخفيها عنأعداء الثورة فىجميع العالم والذينيسمون أنفسهم تروتسكيين٠ فسار وقال (امش) فمشينا ولم يبح باسم أحد الى وقال أنه ليست عنده معلومات عن التروتسكيين كلية ولم يكلف من قبل بالحصول على هذه المعلومات (وعندى رسالة واحدة الى موسكو٠ قل لهم أن يذهبوا الى جهنم٠ قل لهم أني لم أعد مواليا للاتحاد السوفيتى ٠ قل لهم أنه لا أمان لى معهم بعد اليوم) ٠

وعندما أخذ يتحسر على غدر وطنه له لاعماله الجريئة في اسبانيا والمانيا والبلقان كلها ، قررت أن أبدأ في هــذه اللحظة وأحاول أن أضرب ضربتي ولكنه في الحال طلب مني أن أؤدي له خدمتين ، الاولى سلفة ١٠٠٠ دولارا ليحضر (ميرا) الى نيويورك ليعرضها على أطباء أفضل مما هم في مونتريال والثانية أن امتنع عن مقابلة الرجل في فينا ثانية ٠

لم أجد الفرصـــة لضرب ضربتي لانه لاحقني بقوله (لا يهمني ما يعمله الشيوعيون ، فاني سأظل مخلصا لهم في قلبي) ٠

رأيت اذن أني فشلت وانى سأرجع خاوى الوفاض فلا (ســوبل) ولا معلومات عن التروتسكيين في أمريكا ، وهذا ما كان ينتظره مني رجل أ م ج في بافالو ٠

وآخر ما قاله لى (سوبل) عنــدما افترقنا في هذه الليلة القارصة كان قولا محسوزا (اعطني المال الذي أريده (يابوريس) لقد خسرت كل أموالي في مشروع شعر الخنازير ٠ لم أصر صاحب عمل بل أصبحت بائعا صغيرا وأريد من اليوم أن أعيش عيشة حلالا) ٠

وعدته بأن أفكر فيما يمكنني أن أعمل وسأفيده بعد ذلك ولكن أ م ج ٠ لم توافق على أن أعطيه أى نقود لانه بالطبع سيرجع الى نيويورك اذا استمر مفلسا ٠

عندما رجعت الى نيويورك اعطتني أ م ج نمرة تليفون (جاكوب البام) كمــا اعطوني جمــلة اسئلة اســأله اياها وطلبوا مني أن اتذكرها وكذلك المعلومات التي احتاجها لمحاجاته اذا ما حاول الكذب على ٠

كان يسكن (البام) على شاطىء نهر درايف وعندما طلبته كان لطيفا في حديثه ووافق على طلبي بأن يزورني في حجرتي في باربيزون بلازا ووعد بأن يحضر في ٢٨ فبرايربين الساعة السادسةوالربع والسادسة والنصف مساء ٠

واذا حضر وتكلم فمعنى هذا انيحصلت على احاديث في غاية من الاهمية مع ثلاثة من أهم أعضاء في حلقة جاسوسية (سوبل) وفي ثلاثة مدن مختلفة تبعد عن بعضها البعض آلاف الاميال وفي بحر سبعة عشر يوما ٠ حضر في موعده وكانت أولى كلماتي له هي (أنت أصبحت تتبع لى يا بيلوفا) ٠

وهذا هو الاصطلاح الذى يقوله خلف (سوبل) كرئيس لحلقة الجاسوسية ليعرف نفسه بالاعضاء ٠

ابتسم عنـدما قلت ذلك ثم أخذ يقول وهـو مبتهج (وماذا تريد الآن يا رفيقى ؟) عند ذلك أخذت قلما وبدأت أكتب اجاباته التى سيمليها على وكان (البام) ينتظر منى أن اسأله ٠ فقال :

ـ أنا أعمل ملاحظ عمال فىحظائر أخى ثم قالأنه سعيد فى عمله ولوأنه ينقد ٦٠ دولارا فقط فى الاسـبوع زائدا ـ بونص ـ متوسط سـنويا ٠ وأصبحت زوجته عاملة اجتماعية وتكسبأكثر منه بقليل وهى أيضاسعيدة بعملها ٠

كان (البام) قلقا فى هذه الليلة من أمر واحد فخفض صوته الى درجة الهمسوقال (هى لاتعرف شيئا ـ أبدا ـ ولا أدرىماذا سأقول لهابخصوص هذا الاجتماع معك ؟)

ـ ولكنها تعرف (جاك سوبل) اليس كذلك ؟

أومأ بالموافقة ٠

ـ اذن قل لها أنى طلبت منك أن تساعدنى فى أن اتقابل معه ٠ كان هذا الاقتراح مدعاة خلاصة من تردده

وهكذا رأيت أن رجـلا آخر يسأله من أجـل أ م ج ، ثم هو خائف من زوجته فى أن تشك فى أنه ربما كان يقضى وقتا مع شقراء جميلة ٠٠٠ كل هذه تراءت لى فصولا مضحكة ٠٠

بعد ذلك قلت له (على فكرة ـ لقد قال لى (جاك) فى يوم ما أنك طلبت منه نقودا ليدفعها الى محام ليساعدك فى استخراج جواز سفر لك)

فقال (البام) بكل هدوء (هـذا غير معقول أبدا) ثم شرح لى بهدوء أنه طلب استخراج جواز سفر منذ سنوات قليلة وعندما لم يصله شىء من وزارة الخارجية كتب خطابا الى واشنطون فاعلموه أنه لا تزال التحريات جارية ٠ وقال (حقيقـة أنى استشرت محاميا فقـال لى أن من المحتمل أن طلبى فى أيدى أ م ج وأن هذا هو اجراء عادى) ٠

كان (البام) رابط الجأش بخلاف الجواسيس الآخرين وقال (انى لن اسافر للخارج ولذلك فلست فى حاجة الى جواز سفر · وعندما أريد السفر فستعطينى الحكومة جوازا · أنا لا أفهم ماذا دهى (جاك) ولماذا اخترع قصة بأنى طلبت منه مالا لادفعه لمحامى ؟)

فقلت له (عندما قابلت (سوبل) فى تورنتو منذ أيام تكلم معى كثيرا عن (اليوشا وولستون Ilusha Wolston) ابن اخته وعن أنه مريض مرضا خطيرا بسبب حزنه على وفاة أمه) ·

هز (البام) رأسه وقال (لا بد أن يشتغل (جاك) روائيا اذا كان سيقص مثل هذه القصص · لقد كان وولستون مريضا منذ عدة سنوات وبكل تأكيد كان ذلك قبل أن تموت أمة وكان جسمه عليلا ومريضانفسانيا أكثر منه مرضا عرضيا · وهو أيضا اعتزل الناس ويعيش فى العزبة أغلب أيامه · واذا لم يكن هذا كافيا افنى أذكر لك أيضا أنى أخيرا علمت أن الطبيب قرر أنه مصاب بالسرطان) ·

عندما سألت (البام) عن هذا الطبيب قال أنه شقيق (سوبل) وعلى ذلك فهو خال (وولستون) ·

قلت لابرام أن أول مطلب لىمنه هو أن يحصل لى على عنوان ورقم تليفون (سلافا) وكذلك تقريرا حديثا عن حالته العقلية والجسمانية ·

لم يتمكن من الحصول على هذه المعلومات عند اجتماعنا التالى ولكنه قال أنه سيوالى بحثه · وفى هذه الفرصة تحدثت معه فى الحديث الذى ذكره لى (سوبل) عن تسليم الاموال السرية للعملاء · (فهلا حقيقة دفع مرة مبلغا يتراوح بين ٢٥ الفا وثلاثين الفا من الدولارات للاشتراك فى عمليات كنت قد خسرتها بسبب عدم صلاحيتك كرجل أعمال ؟)

فدهش جدا من هذا القول وقال (ولا كلمة صح · ولم يسلمنى جاك أى نقود لاعمال ما وقد استدنت ثلاثة آلاف دولار فقط وذلك من أخى أنا وقد خسرت هذه الثلاثة آلاف ولكن ليس بسبب عدم كفاءتى بل لانى كنت فى حاجة الى مبلغ آخر لاشترك به · ولكنى لم اجرؤ على استدانة مبلغ آخر من أخي وفضلت الانسحاب كلية من الشركة) ·

وعندما لاحظ أنى أنظر اليه نظرة هازلة قال (ان من السهل التأكد من هذه الحقيقة فقد كنت أسلم (جاك) ايصـالات بكل بنس ولم يرجع لى أى ايصال منها فليبرز اذن ايصالاته) ٠

وعندما سألته عن صحة كلام (جاك) بأنه كان يدفع الى (البام) مبلغ ١٠٠ دولار فى الاسبوع لمدة طويلة ، قرر (البام) أن (سوبل) كاذب ٠

واذا كان (جيك) صادقا فمعنى هذا أن صديقى (جاك) كان يسحب آلاف الدولارات لمدة أعوام فكان يسرق المنظمة التى كرس حياته لخدمتها ٠

وقرر (ألبام) أنه منـذ حضر الى الولايات المتحدة أخذ مبلغ ١٠ر٠٠٠ أولا عن آخر بواسطة العملاء السريين عموما ، واما (سـوبل) نفسه فلم يدفع له شيئا كلية لمدة نحو ثلاثة أعوام وكان من هذه العشرة آلاف ، سبعة آلاف أخذها من وسيط آخر بعد وصوله الى الولايات المتحدة مباشرة ٠

وفى ١٩٤٩ سلمته (ميرا) بناء عن أمر (جاك) نحو الفى دولارا ، وبعد ذلك اعطاه (جاك) مبالغ ضئيلة من وقت لآخـر وكان عادة يسـلمه هذه المبالغ فى تياتر ومانهاتان ومع ذلك فهذه المبالغ لم تتعدى ١٠٠٠ دولاراكلها على ما يعتقد ٠

ثم قرر (ويمكنك التأكد من هذا من (سوبل) وزوجته فمعهماالايصالات عن كل دولار استلمته منهما كما اخبرتك) ٠

طلبت من (البام) أن يكتب لى تقريرا عن هـذا وعن اعماله منذ وصوله الى أمريكا ، فكتبه ووقع عليه (بيلوفا) وسلمه لى ٠ أوصلت هذا التقرير الى أ م ج ٠ وكان هذا أهم بينة ضده بعد اليوم بقليل عندما اتهمته المحكمة العليا الفدرالية بالجاسوسية ٠

بعـد ذلك بأيام قليلة جريت الى (جين زيلاتوفيسكى) حيث شاهدتهـا تسير فى باربيزون بلازا٠ تقدمت نحوها ولكنها وضعتأصابعها الى شفتيها وهمست (من فضلك ٠ ابتعد الآن) ٠

وربما كانت فى ذلك اليوم مراقبـة أو ظننت أنها كذلك ٠ وكانت هـذه الفرصة هى آخرمرة أرى فيها هذه الرسامة الكاليفورنيةالتعسة التىخانت وطنها وكرهته كراهية شديدة ٠

* * *

الباب الخامس عشر

فى المنطقة الخطرة

بعد أيام من حديثي مع (جاكوب البام) سافرت مرة أخرى الى فينا وقد أصابتني الحيرة هل هذه ستكون آخر موعد لقاء مع الجواسيس الروس فيها، كذلك احترت هل سيقدر لى أن أرجع ثانية ٠

فقد عرفت الآن هذه الجماعة الجديدة التي اتت من الوطن أو المركز كما يطلق عليه ، هؤلاء البلطجية الذين لا خلاق لهم ٠

وكاحتيــاط منى أرسلت الى بريد شركة النظارات بعض المعــلومات عن الاورلون والبيرلون وتكوينهما وهى التى طلبها منى (ميخاييل) ٠

وهذه المعلومات زودتنى بها أ م ج وبالطبع كانت غير صالحة لمعاونتهم على حــل مســائلهم الفنيــة ٠ وزيادة عن ذلك كان عــلى أن أعــلم (فلاديمير) و (ميخاييل) أن المــادة استخدمت ليس لمحــو تأثير الاحتكاك عــلى جسم الطائرات النفاثة ولكن فى كاوتشات بعض الطائرات ٠

وقد علمت أ م ج أن الروس كانوا يقاســون من هاتين المشــكلتين مع طائراتهم النفاثة حيث أربكهم أحد القادة بمعلوماته الخاطئة ٠

علمتني التجارب أمرا واحدا هو أن الرؤساء في كل العالم لا يقدرون معنى أن يقال لهم أنهم أخطأوا خطأ مضحكا وهــذا هو الواقع مع هؤلاء الرؤساء الجلفاء الروس ٠

من الاسف أني فشلت في احضار (ابرام) معى أو احضــار تقرير عن (سلافا) وكل ما أمكننى أن أقوله لهم هو أن (البام) كان مستعدا أن يبدأ العمل بل وراغبا فيه ، وانى أرى أنه ربما كان كبير السن عديم النفع ٠

قابلت (فلاديمير) في مساء ٢٦ مارس ١٩٥٥ وأخذني بالعربة الى سينما تابور ثم لف بي حول فينا ساعات في داخل وخارج الملاهي بينما كنا نتحدث في أثناء ذلك · ولا حاجة لي بالقول بأني لم أكن سعيدا بهذه النزهة وفي كل مرة استمع (فلاديمير) الى ولم يعجبه شيء من حديثي اما داس على البنزين أو فرمل أو أوقف العربة ثم استدار الى مهددا ·

ولم أحاول التخفيف من رفض (سوبل) لطلبي منه بأن يحضر الى فينا معي فهو بذلك يرتكب اخطاء أخرى · وقلت (ان هذا الرجل لم يقبل أن يذهب معي حتى الى نيويورك فقط فهو متضايق جدا من عدم استلام النقود التي طلبها) ·

سألني (فلاديمير) : (هل دنته بنقود من عندك ؟) وفي هذه اللحظة داس على البنزين بشدة حتى طارت العربة في الهواء قلت (ولا بنس) ·

ـ اتظن أنه سيكون متعاونا معنا أكثر لو أننا أرسلنا له المال ؟

ـ لا شك في هذا ولو أن (بيلوف) يقول أن (ابرام) أخبره أنه تنحى عاما ونصف عام مضى واعطى أحد الوسطاء فيها خمس عشرة ألف دولارا وقرر أيضا أن ذلك من أجل عمله مع الوطن (روسيا) ·

فصرخ (فلاديمير) : (يعمل مع من ؟) فقد غضب عند قولي (الوطن) وفي هذه الغضبة داس الفرامل بشدة حتى كادت رأسي تصدم زجاج السيارة ·

كل هذا جرى من أجل رجرجتي بالطبع ولا بد أن أعترف أن فلاديمير نجح في ما رمى اليه ·

وكرر سؤاله (يعمل مع من ؟)

فأجبته برقة (لا تؤاخذني · يعمل مع المركز) ·

بدأت السيارة في التحرك من جديد وقد اتهمني بالخلط بين عمليتي بيرلون ، اورلون وقال أن ما اتيت به هو بخصوص ترس النزول الخاص بالطائرات النفاثة مع أن المطلوب مني كان معرفة ما تستخدمه قوات الطيران في الولايات المتحدة للمحافظة على الواح الزجاج الشبيكة لمظلة (كابينة) الطيار في النفاثات ·

أنكرت هـذا وصممت على أن ما اتيت به هـو المعلومات التى طلبت منى بالفعل ٠

ومن حسن حظى أن أ م ج كانت قد أعطتنى بعض المعلومات عن صناعة مادة كابينة الطيار وهـذه كانت قـد صنعت فى مصنع شركة كيـلوج فى نيوجرسى ٠ سألنى السائق :

ـ وهل هذه هى أيضا تم اختبارها هناك ؟

قلت : لا بل اختبرت فى ميدان رايت فى دايتون أوهيو ٠

قال : وكيف عرفت ذلك ؟

قلت : كان مصدر معلوماتي هو الجنرال (بيرك Burke) من القوات الجوية الامريكية عزمتـه على التمثيل فى تلك الليـلة فى رواية (الجوارابات الحريرية Silk Stockings) وهى كوميدية موسيقية و (فلاديمير) الاسم الحقيقى لجلنرال ولم يكن بيرك بالصدفة) ٠

عند هذه المرحلة أوقف (فلاديمير) العربة واعطانى قلما وورقة وقـال (اكتب كل ما قاله لك بالضبط) ٠

أطعته وكتبت (بعد العرض تناقشت أنا والجنرال (بيرك) فعلمت منه أن القواتالجوية تستخدم اورلون وبيرلون فىالطائرات التى تسبق الصوت ليس لمضادة الاحتكاك الجوى ولكن لمنع انفجار العجل الكاوتش عندما تهبط الطائرات من الطيران السريع ٠ وينسج الاورلـون والبيرلون فى مصـانع العجـل ٠ وأما بخصوص الاحتـكاك الجوى فتستخدم مواد أخـرى تسمى (بلاستك مقوى) فى الكابينة الزجاج الشـفاف التى فوق رأس الطيار ٠ وبدونهذا البلاستك المقوى تتسبب الحرارة فىأن تحدث فقاقيع فىالكابينة وبالطبع سيسبب هذا حجب المنظر أمام عينيه) ٠

عندما قرأ (فلاديمير) هذا سألنى (هل عند الجنرال بيرك احتياط منه فى شركة كيلوج ؟)

أجبت : ربما ٠

بعد ذلك سلمته خطابا من صحيفة واحدة كنت قد تسلمته من (كيث جلينان) ليذكرني بموعد معه ويؤكده لى • وقد ظن أن هذه الورقة ذات أهمية كبرى فأخذها ليرسلها الى موسكو بينما لم يهتم كثيرا بتقريرى عن مقابلتى مع (جين فوستر) فى تلك الليلة وقلت له (ان (سلانج) تشكو كثيرا من متاعبها من زوجها العجاج (صياح) وبما أنه لم تكن معى كلمة الكود التى طلبتها منى ، رفضت أن تصدق انى موقد منكم مباشرة لا عن طريق (ابرام) وكانت دائما تشك (سلانج) من ناحيتى لعدم وجودالاثبات الكافى بأنى أعملمن أجل المركز)• لا أدرى اذا كان هذا الامر يهمفلاديمير فهو لم يبد أى ملاحظة عنه واستمر يتوعد ثم يمدح (من ده على ده) حتى أوصلنى قريبا من الفندق •

كنت مرتاحا جدا فى اجتماعنا التالى فى الملهى وقال أنه أوصل جميع الرسائل الى (ميخاييل) فى موسكو وله الآن بعض الملاحظات على عملى • تضايق جدا بالطبع (ميخاييل) من فشلى فى احضار (سوبل) ، أما معلوماتى عن عجل الطائرات فكانت بداية حسنة • وهم يريدون الآن التكوين الفنى لفتايل العجل ، ثم معلومات أخرى على البلاستك المقوى للكابينة •

كذلك تطلب موسكو منى أن أتصل باحد علماء الذرة الهامين الذى أعفى أخيرا من عمله مع الحكومة • ولكنى قلت له بخصوص هذا العالم الذرى الشهير أن فىروسيا تمنح للعلماء حرية أكثركثيرا ، واذا تحولوا عنمذهبهم عوملوا بطريقة فيها تهاون أكثر مما تعاملهم (حكومة الولايات المتحدة الفاشستية !)

وكما حدث فى مرار كثيرة استمعت قهرا عنى الى المحاضرة عن (الحوادث العامة وأهميتها) وكذلك عن سخافات المركسية التى تبشر بانهيار فساد الرأسمالية بالنسبة لامورها الفاضحة •

و (فلاديمير) مثله كمثل العملاء السريين الآخرين الذى اتصلت بهم كره أن يرسل فى عملية خاصة فى الشرق الاقصى وهى عملية كان متوقعا لها • وقال أن الصينيين دائما يطلبون المزيد من السلاح ولذلك كانت هناك صعوبات لا تنتهى أمام ممثلى السوفيت من جراء محاولة ارضائهم • وقال ، حتى أن (مالينكوف) الرجل (الناعم) القديم وجد أن ارضاء (شوان لاى Chou En-lia) فوق طاقته • وقال : كذلك فشل مولوتوف وميكويان

في علاقاتهما مع الصينيين ولكنه يحسن الظن بالفرص التى أمام (خروشوف وزوكوف وكاجانوفتش) والتى تبشر بنجاحهم مع اصـدقاء موسـكو فى الشرق •

كان (ميخاييل بتروفيتش) فى فينا فى أوائل الشهر التـالى وقد كان الامر مملا جدا عندما لفت العربة بى معه فى نفس الطريق الذى سلكته مع فلاديمير • وكان (ميخاييل) أكثر تباسطا عن (فلاديمير) معي فى موضوع خليط الاورلون وكذلك شكرنى كثيرا لاحضارى الصورة الحقيقيـة لمسلك (سوبل) ولو أنها كانت صورة مؤلمة •

ثم سألنى (بهذه المناسبة ، كيف كان رد الفعل عليه عندما سمع بخبر اغتيال كروتوف) ؟

ـ لقد صعق صعقا •

ـ (آه • أنه من محبى (كروتوف) • ان (ابـرام) ما هـو الا أوزة مطبوخة) •

وبما أن أ م ج قـد كلفونى بأن اترك الباب مفتوحا أمام (سـوبل) اذا أمكننى ، لذلك قلت (لا أظن أن (سوبل) قد انتهى نهائيا بالنسبة الينا ـ حتى الآن) •

مع ذلك لم يهتم (ميخاييل) أى اهتمام وقال لى بصفة قاطعـة (يمكن ترك الامر الى المركز لوضع قراره النهائى بالنسبة الى سوبل) •

ثم طلب منى أن ابتعد عن (سوبل) وعن (البام) ثم سألنى :

(وماذا تم فى تقريرك عن سلافا ؟)

لم يكن عندى أى مصدر ولكنى قلت له أن الظاهر أن شخصية (سلافا) ما هى الا شخصية خيالية وأن التقرير عنه لا يوجد الا فى مخيلة (ابرام) •

فقال ميخاييل : اذن ابتعد عن (سلافا) أيضا بالطبع ، وفى نفس الوقت سيتولى المركز أمره بخصوص الجمـاعتين القديمة والجـديدة فى الولايات المتحدة) •

وأضاف الى قوله هـذا أنه قد عين لى مأمورية ستجعلني مشغولا طوال سفريتى التالية هناك ، وأنه يقدرنى تقديرا كبيرا لانى حصلت على معلومات من قائد عسكرى كبير كالجنرال بيرك ، وهو يريد منى هـذه المرة أن اتأكد بأنى فهمت بدقة ما يريد منى المركز بالضبط · وقد تشدد فى أن اتذكر كل ما قاله لى بدلا من كتابته على ورقة ·

وقد تأسف ميخاييل كثيرا على سوء تفاهمنا الاول وقال أنه كان قد ظن بى سوءا فى أول الامر · ثم فجأة سألنى (هلا احضرت معك دفتر شيكاتك؟)

هذا السؤال اخافنى لانى لاأعرف الغرض من هذا السؤال وعندما اخرجت الدفتر فتش فيه كما لو كان لم ير واحدا مثله من قبل · ثم أخذ يمطرنى بالاسئلة يريد منها أن يعرف كل شىء عن كعوب الشيكات وسحب الشيكات وصرفها ومتى وأين يمكن صرفها ومن يقبلها ثم أمور أخرى يتعلمها الامريكيون فى المدارس الابتدائية ·

بعد أن أمكنه هضم تفسيراتى قال (أنا أعرف بنك الكريدى سويس فى زيوريخ ، ثم سـلمنى الدفتر (والآن وقع من فضلك على أربعـة شيكات وسلمها الى) ·

ـ سألت : بمبلغ كم ؟

ـ سأضع المبلغ فيما بعد ·

توقعت أن سمعتى كمليونير ستتلاشى قريبا ، وقلت له :

ـ حاذر عند وضع رقم المبلغ فليست لى ثروة كبيرة فى هذا البنك ·

ـ لن أكتب فى أى شيك غير مبلغ بسيط ـ وليكن الفى دولار فقط ·

ونحن سنوفيك بكل ما نستدينه منك بهذه الطريقة ·

عند ذلك ابتلعت غصة وقلت (اذا زادت قيمة الاربعة شيكات عن مبلغ ١٠٠٠ دولار فلن تصرف لان هذا هو مجموع مالى فى البنك الآن) ·

وسألنى عن سوء ارتباكى المالى قائلا (لم لا تضع بعض أموالك الاخرى فى هذا البنك يا ديجون ؟)

فاضطررت أن أعترف له أنى لم اتمكن من هذا فى الوقت الحاضر لان كل نقودى مرتبطة بمشروعاتى فى الافلام والمناجم وشركات العدسات وأدوات البصر • (ومن الخطر على يا رفيقى أن أنقل أموالى بهـذه الطريقة الى اسم شخص يعمـل فى المؤامرات ، ولذلك فمن الافضـل أن أعلم اسم الشخص الذى ستسلمه هـذه الشيكات حتى يمكننى أن أجيب البنك اذا حدث أن استدعانى لاعتماد صرف الشيك) •

ضحك من كلامى هذا كثيرا ولم أفـكر فى الامتناع عن التوقيع وتسليم الشيكات ولكنى طلبت منه الا يضع على أى واحد منها رقما أعلى من ٣٠٠ دولار ، ثم ارقمت الشيكات بالتسلسل •

وباسرع فرصة ذهبت الى زيورخ واعطيت مدير البنك (سيجفريدماهلار) أرقام هذه الشيكات وطلبت منـه الا يصرف أى واحد منهـا اذا كان المبلغ المرقوم عليه أكثر من ٣٠٠ دولارا وانى متأكد من أن البائس قد دهش فهو لم يفهم أن الشيك ما دام قد وقعت عليه فيمكن سحب مبالغ أكبر مما أريد أنا وكان من الصعب على تفسير المسألة له بحذافيرها •

لم أدر هـل اذا أنا امتنعت عن أن اعطى موسـكو حق التصرف فى كل أموالى ـ سيكون فى هذا خطر فى حياتى ؟ انى كنت أعلم أن المركز قديصمم رأيه فى أى لحظة أن يتخلص منى ومن (سوبل) دفعة واحدة ، والسؤال الهام هو هل سيخيرونى بين الاغتيال أو نسيان أمر النقود ؟

علمت أن المركز كان قد انتهى منى وذلك عندما رجعت الى فينا فى مايو بعد رحلة قصـيرة الى أمريكا • ففى العاشر من الشـهر كان معى موعد مع (فلاديمير) ولكنه لم يتمكن من الحضور •

وفى اليوم التالى جاءنى رجل غريب وبعد أن تم التعارف بتبادل كلمـة السر (بول سكوت) سألنى (هل اتممت المأمورية الهامة جدا ؟)

هززت رأسى وقلت (لم أمكث فى الولايات المتحـدة مدة كافيـة ولكنى متأكد من اتمامها فى السفرية التالية) •

فقال (ما لم تتم هذه المأمورية ، وفى بحر الاشهر القليلة المقبلة فلا داعى اذن للاتصال مع السوفيت مرة أخرى) •

فقلت (انى أحب أن أحدث (فلاديمير) عن هذا ، والافضل لو أمكننى محادثة ميخاييل بتروفتش) •

ـ بكل تأكيد •

قال هذا وسار ولكنه اختفى ولم اره بعد ذلك •

عندما اختفى وخلصت منه أخذت اتذكر أوصافه : فهو فى سن الثانية والثلاثين أو الثالثة والثلاثين ووزنه نحو ١٥٥ ـ ١٦٠ رطلا • وطوله خمسة أقدام وثمانى بوصات ، اشقر وشعره مجعد ومفروق على اليسار عيناه زرقاوان رمادية حليق الذقن ، ساذج له اذنان كبيرتان وله فم ملىء بالاسنان الذهبية ليس على رأسه قبعة وكان يلبس حذاءا بنيا ومعطفا كاكيا •

فى اليوم التالى طلبنى بالتليفون (سيجفريد ماهلر) وقال أن رجلا حاول أن يصرف أحد شيكاتى فى فرع البنك بلوسرن وكانت قيمة الشيك ٢٠٠٠ دولارا • ويظهر أن الرجل انجليزى واملى اسمه (ليلاند جون جلادوين) • طلبوا منه أن يرجع اليهم بعد أيام قليلة بعد أن يتصل البنك بى ، ولكن الرجل لم يذهب اليهم بعد ذلك •

ولو أن المسألة قدبدت خطورتها، فكتبت فى أول يوليه الى شرية النظارات والعدسات من نيويورك، وادعيت فى هذا الخطاب أنى نجحت فى استكشاف سر تكوين نسيج البارلون والاورلون فى عجل النزول فى السلاح الجوى للطائرات النفاثة •

وقبل قيامى الى أوروبا حصلت على بعض هذه المعلومات ومعلومات كافية أخرى عن صناعة البلاستك المقوى ، كل هذا لتغطية موقفى ، ولو أن هذه المعلومات طبيعية لا تساعد الشيوعيين فى شىء جديد •

عندما سافرت طلبت نمرة الوسيط وهى U 47306 عدة مرات ورد على فلاديمير وكل ما قاله هو أنى ما لم أنجح فى تقديم تقرير عن مأموريتى الهامة فمن العبث محاولة الاتصال بميخاييل بتروفيتش •

ولو أنى اخبرتهم أنه ربما تكون هذه هى آخر سفرية لى فى فينا فلم اتمكن مع هذا مع مقابلة (فلاديمير) • ظللت اطلب نمرة التلفون U 47306 مرارا فى معظم الصيف بلا مجيب • وأخيرا شاهدته مصادفة عندما ضربت عربتى عربة أوبل كان هو يسوقها •

اشرت بسبابتي له مشيرا الى أني أود أن أراه الليلة ٠ هز رأسه ورفع لى أصبعين وفهمت من ذلك أنه سوف يقابلني فى الليلة التالية بدلا من اليوم٠ وقد فعل ٠ كان موجودا فى الموعد المحدد وهو السادسة مساء ٠ عندما رآني سار واومأ الى وراءه حتى يتأكد من أن أحدا لا يتبعنا ٠ عندما شكوت بألم من انتظارى طيلة هذه الاسابيع لكى أراه قال لى الا أهتم واني سأتمكن من الاتصال به بعد ذلك بدون صعوبة ٠ فقلت كمن كان مكسور القلب من هذه الآراء (ربما أنكم لم تعودوا فى حاجة الى بعد اليوم ٠ أهذا هو السبب فى أني اهلك كي اتصل بك ؟)

استهجن (فلاديمير) هذا الكلام وقال (ستكون هناك آلاف الفرص) ثم أعطاني انذارا محزنا ، وقد كنت أخيرا غمرت بكثير من أوامر المركز فقال (أنك لم تبلغنا عن زيارتك (للهر وولد برونر Herr Waldbrunner) وهو شيوعى كان فى ذاك الوقت وزير الانشاء والتعمير فى فينا ٠

– أين هى الفرصة كى ابلغكم أى شىء ؟ انكم لا تستعنون أن تردوا على التليفون عندما اطلبكم !

فقال (فلاديمير) وهو يفكر (وولدبرونر رجل هام جدا ٠ انه يتكلم الروسية جيدا وكان يوما السفير النمساوى فى موسكو ٠ وأهم من هذا أنه كان أخيرا فى الولايات المتحدة) وفى نبرة صوت حادة ليؤكد ما يرمى اليه قال (والآن يا ديجون٠ ما كان غرضك من زيارته ؟) فقلت له مؤكدا (اذا كنت كفؤا فى اقتفاء اثرى لما سألتني هذا السؤال ٠ لا بد أن تكون مجتهدا وكفؤا فتعرف سبب مقابلتي له) ٠

تعمد فلاديمير أن يجعل من مضايقتي تسلية له فقال (يا رفيقي ٠ أنت تعرف كثيرا من الناس ومع ذلك فانت تخدم المذهب قليلا ٠ الآن قل لى ما مبلغ نجاحك فى اتمام المأمورية التى كلفت بها) ؟

ذكرت له انى فى هذه السفرية أيضا لم ابق فى الولايات المتحدة الا أياما قليلة فقط ٠ رتبت أمورى كي أقابل صديقي الجنرال (بيرك) ولكنى حصلت منه على معلومات قليلة فى هذه المقابلة ٠ فقد قال لى الجنرال أن العسكريين فقط هم الذين يرسمون المواصفات وعقود الاتفاق وهذا هو السبب أنه لا يعرف جيدا جميع تفاصيل الصناعة لتروس النزول فى الطائرات النفاثة ٠

ولم أرد أثير شكوكه بالضغط عليه عندما وجدته مترددا فى أن يخبرنى بسر عسكرى ·

طلب منى (فلاديمير) أن استمر فى معرفة معادلة تكوين نسيج البيرلون أورلون ثم قال (ويمكنك أن تهمل مسألة البلاستك فقد حصلنا فعلا على المعلومات التى نريدها عنها من مصادر أخرى) ·

كان من المزمع تسليم فينا فى هذا الصيف الى أهلها وخروج جيوش الاربع دول منها وقال (فلاديمير) أن جماعته ستنتقل الى مكان ما ولو أنه هو نفسه سيكون مركزه فى السفارة الروسية ويمكننى أن أتصل به على النمرة القديمة · واذا طلبته قبل الساعة العاشرة صباحا فسيدرك أنى أريد مقابلته فى السادسة مساء نفس اليوم · واذا طلبته بعد العاشرة فمعنى هذا أنى أريد أن أراه فى السادسة مساء اليوم التالى ·

ولكنى عندما كنت فى فينا فى أكتوبر ، رد على التليفون صوت غريب وقد أنكر أن (فلاديمير) فى المدينة أصلا واقترح على أن أذهب الى موسكو لقضاء عطلة الكريسماس وقال (سيرحبون بك هناك · سيرحب بك جميع أصدقائك هناك) ·

فرددت عليه (سأفكر فيما اذا أمكن تغيير جميع برامجى واذهب الى هناك) · بعد ذلك بثلاثة أيام طلبت هذا الشخص وقلت له أنه لن يمكننى أن أسافر الى موسكو بسبب ضغط العمل ·

علم هذا الشخص أنى انتقلت من الفندق الى بنسيون وسأل على عنوانى فقلت له لم أر فى حياتى أن العنوان يذكر علنا فى التليفون بهذه الطريقة · وكل ما أراده هوالتأكد من نمرة التلفون ثم طلب منى هذا الشخص الغريب أن أكون فى فينا فى يوم أول العام الجديد ، كذلك طلب منى ألا أكتب خطابات ما بعد اليوم الى شركة النظارات والعدسات وقال (اذا لم تتمكن بعد الآن من أن تتصل بمندوبينا فاننا نحن سنتمكن من العثور عليك) سألته : أين تجدوننى ؟

ــ اما فى فينا أوفى موطنك فى الولايات المتحدة ·

وفى غضون هذه الثلاثة أسابيع لم اتمكن من الاتصال بأى أحد فى هذه النمرة (التليفون) فهل نبذونى ؟

وفي يوم الكريستماس كنت في فينا وحاولت الاتصال التليفوني مرارا أخرى كثيرة وأخيرا رد على ٠

قلت : أنا (ريابوف) ٠ أريد أن أتحدث مع (فلاديمير) ٠

ـ متى يمكنك الذهاب الى موسكو ؟

ـ لا يمكن أن أحكم على هذا الآن ٠

ـ يجب أن تقول ٠

بدأت أذكر الاسباب ولكني قبل أن أقول شيئا قفل السكة وبعد ذلك لم اتلق أي اجابة في التليفون ٠

وفي الساعة الثامنة من صباح أحد الايام ايقظتني خادمة البنسيون من النوم لارد على التليفون ٠

سمعت صوتا غريبا آخر يقول (هل هذا ريابوف) ؟

ومهما كان هذا الشخص قد أخطأ في الاشـــارة المتفق عليها الا أني مع ذلك قلت له أني (ريابوف) ٠ ارتبك أكثر من الاول ثم بدأ يتحدث بالالمانية ثم غير وتحدث بالروسية ٠ وقال :

ـ متى ستذهب الى المركز ؟

ـ لن اتمكن من الذهاب ٠

ـ اذن فانتظر المأمورية الجديدة التي ستكلف بها ٠

ـ هل معك رسالات أخرى تلقيها على ؟

ـ لا ٠ بل عندى أوامر لارتب لك السفر الى موسكو عندما تقرر السفر٠

ـ سأطلبك بالتليفون بعد أيام قلائل ٠

ـ لا يا ريابوف ٠ لا تطلب بالتليفون ٠ سنطلبك نحن اينما تكون واينما تذهب ٠ فانتظر ٠ انتظر ٠ ثم قفل السكة ٠

لم يزعجوني بطلباتهم المزعجة هذه مدة عشر أسابيع ، وأظن ذلك ربما لاني كنت كثير السفر وكل سفرياتي بالجو ، فقد نزلت في ميونيخوزيوريخ وجوهانز برج وباريس كل هذا في منتصف مارس قبل أن أرجع الى فينا مرة أخرى ٠

وأخيرا في ١٠ مارس طلبني صوت غريب آخر وكل ما قاله لي (سنتقابل ـ في مكان ـ في ـ) ٠

ـ متى ؟ اين ؟

ـ قريبا ٠ ثم قفل السكة ٠

بدأت أفكر في أن الوقت قد حان لارجع الى وطني نهائيا ولا أقصدبوطني هو موسكو ٠ وفي أقل من اسبوعين بعد هذا اتصل بي صوت غريب جديد وقد قال هذا الرجل :

ـ لم لا تسافر الى موسكو ياديجون؟ هناك أناس من جميع العالم٠ وهناك كثيرون من اصدقائك ، وهم كثيرون جدا ٠ ألا تحب أن ترى اصدقاءكهناك؟

قلت : أريد أن اتحدث اليك شخصيا ٠

قال : يمكن عمل ترتيب هذه المقابلة ٠

ـ حالا ٠٠

ـ نعم ٠ حالا ٠

ولكني لم اسمع منه شيئا بعد ذلك ٠

كان الشخص الآخر الذي طلبني بعد ذلك ليس غريبا عني ولـكني لم اتذكره جيدا ٠ وقد قال :

ـ لنا عندك خدمة ٠ مأمورية تقوم بها لنا ٠ نريد منك أن تبحث لنا عن شيء ٠ انه يمكنك تأديته ٠ ستصلك الاوامر حالا ٠

وفي نفس اليوم ـ أول ابريل ـ وصلني خطاب من (جاك سوبل) الذي أمكنه أن يحصل على عنواني بفينا من ابني ٠ كتب لي أنهم قرروا أن يسكنوا نهائيا في نيويورك مهما حدثت الظروف وأنه حاول أن يراني و(هناك أمور أريد أن اتحدث معك بخصوصها ـ أمور كثيرة) ٠

كنت مشتاقا لان أرجع الى نيويورك لاراه ولكني اضطررت لان أبقى في فينا شهرا آخر في انتظار هذه المأمورية الموعودة ٠

ولكنها لم تصل ولم يزعجوني بالتليفون كعادتهم ٠

رجعت الى نيويورك فى أواخر مايو وزارنى (جاك) سافوى بلازا ، ولكنه كعادته دائما رفض أن يبقى فيه وعلى ذلك أخذنا نسير فى منتزة سنترال • واذا كانت حالتـه الاولى سيئة فهى اليوم أسوأ وكالمضروب بالكرباج •

سألنى : (ابديت لى يوما رغبتك فى معرفة موضوع التروتسكيين والمنشفيك • اليس كذلك ؟)

اومأت له بنعم واستمعت اليه أكثر من أى يوم استمعت فيه الى أحدآخر طيلة حياتى • فهل بدأت العشرة أعوام فى نهايتها أخيرا ؟

أخذ وقتا طويلا فى سرد قصته ولكن ها هو الملخص :

منذ سنوات كان يعمل مع رجل اسمه (مارك زبوررويسكى Mark Zborowski) وكان فى ذلك الوقت يقوم (زوبيلين) بادارة شبكة الجاسوسية فى الولايات المتحدة وأرسل (زبوررويسكى) الى أمريكاللبحث عن التروتسكيين وعلى ذلك انضم الى المنظمة •

وقد ازعج (جاك) أن (زبوررويسكى) أصبح الآن تحت أيدى أ م ج ويستجوبونه بينما كان (جاك) يظن أنه هو يلاحق الرجل الآخر مدة طويلة • وقد شعر بأن أ م ج كانوا يراقبون (زبوررويسكى) بواسطة ملحق سياسى سوفيتى سابق اسمه (بارمين أو برامين Barmin or Bramin) وقد وصل الى الولايات المتحدة بعد أن ارتد وتخلص من الشيوعية• وهذا الرجل الثانى، كما يعتقد جاك ، يعمل من أجل الامريكيين مائة فى المائة وهو يعرف الكثير عن (زبوررويسكى) وعلموا أكثر وأكثر طيلة هذه السنوات بعد أن ترجموا أطنان الخطابات التى كتبها وراقبوا الاجتماعات الكثيرة التى حضرها •

وأخيرا ــ كان (جاك) يصحو فى كل صباح مفزوعا فى انتظار تليفونمن أ م ج • ولكنه لم يأت بعد • وقد شعر الآن أن (زبوررويسكى) لم يقل كثيرا لرجال أ م ج ويريد منى الآن أن أطلب من موسكو أن تتخلص (زبوررويسكى) من أمريكا قبل أن تأتى الظروف فيضطر أن يقول كل ما يعلم • ألح على فى أن أطلب من الشيوعيين الا يضيعوا الوقت •

أما عن (جاك نفسه) فكان شغله الشاغل هو الحصول على جواز سفره الامريكى وهو أهمشىء فى حياته• وقد كتب لوزارة الخرجية بهذا الخصوص

مرتين فى غضون الشهر الماضى ولكنه لم يتسلم أى رد شاف • وعلى هـذا أصبح يميل الى أن يقبل الجواز السوفيتى المزور الذى وعدوه به عندما كان يقيم فى كندا • أصبح حديثه مملا أكثر وأكثر •

قال بعد ذلك أن موسكو يجب أن ترسل له جوازا مزورا وكذلك مبلغ ٥٠٠٠ دولارا لمصاريفه ، كما قال أن عنده صورة فوتوغرافية عائلية له مع زوجته (ميرا) وابنه (لارى) لتوضع على الجواز وبذلك يكفيهم جواز سفر واحد •

أصبحت حالته عسيرة وقد آذل نفسه بسؤاله (الفرد ك • ستيرن) أن يدينه بمبلغ وكان هذا يعيش مع (مارتا) فى مدينة المكسيك وكانا يجمعان ثروتهما من الربا الفاحش ، وخافا أن يرجعا الى الولايات المتحـدة • وقال جاك (بعد أن أذللت نفسى بهذه الطريقة رفض أن يديننى بمبلغ ما معتذرا بطريقة ذوقية ـ والحق يقـال • فهلا ترى أن موسـكو أصبحت هى ملاذى الاخير ؟)

وقال أيضا أنه يتعلم الآن اللغة الاسبانية وهو مستعد لان يذهب الى أى جهة يرسله اليها (الوطن) بل كان مستعدا لانّ يعمل أى شىء وأن يخبرهم عن كل أمر يريدونه منه• ويرى أن تعلمه اللغة الاسبانية سيجعل منهعميلا سريا مفيدا فى الارجنتين أو أى دولة من دول أمريكا الجنوبية •

قلت له : (ماذا يمكننى أن أعمل ؟ انك لم تقص على أبدا أى قصة ذات أهمية ، أو قصة يمكننى أن أذكرها لهم فيصدقونها • قل الآن قصتك) • ولاثيره حتى يبدأ قلت له أنى علمت أنه باع مصنعـه فى فرنسا الى رجـل فرنسى وأن (جاكوى اجير) أصبح مدير المصنع •

سرح (جاك) ثم قال أنه لا يمكنه أن يعيد على حديثا معادا مما كان يمليه على منذ سنوات • قال أن المال الذى قبضه عن المصنع ضاع كله فى مصنع الفرش بمونتريال • أما الامر الوحيد الجديد الذى قاله لى هو أن (آجير) غاضب عليه وقال (لانى عندما غادرت المصنع كنت قـد أخذت معى جميع مكاتبات المصنع من الزبائن الالمان وعنواناتهم أيضا) •

بعد أيام قليـلة جاء (جاك) الى غرفتى فى سافوى بلازا فى السـادسة مساء وكتب ستة خطابات أخرى لاخذها معى الى فينا وقد استخدم اظرف وخطابات الفندق •

لم يكن في هذه الخطابات أى أمر جديد · وكان الاول وهو تسع صحائف يصف مشاكل جواز سفره التى بدأت عام ١٩٥٢ عندما غادر فرنسا وكان عذره في أنه لم يعمل شيئا هو لانه لم يتسلم معلومات من موسكو · ونص على كيفية سفره الى أمريكا الجنوبية بدون جواز سفر فقال أنه سوف يذهب الى المكسيك أو كوبا حيث لا يتطلب هذا السفر استخدام جواز سفر ثم عند ذلك يتقدم الى أحد الدبلوماسيين الروس في هافانا أو مدينة المكسيك وهو يبعث به الى أى جهة يريده فيها ·

والخطاب الثاني كان طوله ثلاثة عشر صحيفة وقد لخص فيه مشاكله المالية وصمم فيه على أن لم يتسلم نقودا ما من موسكو منذ ١٩٤٧ رغم أنهم ابلغوه في نفس العام أن مرتبه رفع الى ٩٠٠ دولارا في الشهر · وأقر أنه تسلم نقودا ليدفعها الى الرفقاء الآخرين الذين عملوا معه ومن أجله وليبنى أيضا المصنع الذى باعه أخيرا بمبلغ ٢٠٫٠٠٠ دولارا ، وكل هذا المال ضاع في شغلة الفرش بمونتريال ذلك لان الولايات المتحدة منعت استيراد الشعر الصيني والروسى ومنعت دخول حتى المتنكر منها (تحت اسم دولة أخرى)·

وكان الخطاب الثالث من صحيفتين اثنتين وقال أنه لم يدفع رسوما للحزب لان كروتوف وعده من قبل بأنه سيدفعها هو عنه ·

وكان الخطاب الرابع من تسع صفحات وابدى فيه الاسباب التي من أجلها يجب أن تخرج موسكو (زبوروويسكى) من أمريكا ، وقال فيه أن هناك فرصة بأن (زبوروويسكى) ـ واشار اليه بالبولونى ـ له زوجة وطفل وربما يكون متصلا مع أ م ج ويعمل لصالحها ، الا أنه مقتنع تماما بأنه مادام لم يقبض عليه بعد فلا بد أن (زبوروويسكى) لم يخبر أ م ج بكل شىء ، ولذا فهو سيكون سعيدا لو أن هذا الشخص ابعد من هذه الدولة ·

والخطاب الخامس من ثماني صفحات وذكر فيه أسماء جميع أعوانه الذى عملوا معه في الماضي ومنهم الشخص الخيالى (سلافا) و (ستيرن وزجته) وقال أن بعض هؤلاء الناس هم في انتظار تعليماتكم ·

والخطاب السادس من صحيفتين وذكر موسكو أن عنده رئاسة شفاهية ومدرجة على روس والمان وفرنسيين واسبانيين وهم سيعينونه كثيرا في خدمة الحزب في كل مكان في أمريكا الجنوبية ·

قد وقع كل خطاب باسم (بيتر) ·

وقبل أن نفترق أخذ منى (جاك) وعدا بأني فى اللحظة التى اتسلمفيها المال الذى طلبـه سأودعها باسمه فى بنك الـكريدى سويس فى جنيف ٠ عندما سألته عن الصورة التىتجمعه مع عائلته والتى يريد لصقها على الجواز المزور قال أنه سوف لا يحتـاج الى الجواز الا عنـد وصـوله الى كوريا أو المكسيك ٠

وفى فينا قوبلت بنفس المقابلة الباردة التى قوبلت بها فى المرة السابقة ففى العاشر من يوليه طلبنى رجل بالتليفون وقال (متى ستكون مستعدا ؟) وعندما وجد أنى أراوغه قال أنه سينتظرنى حتى أكتوبر فيجتمع بى ولكنى الححت على تحديد موعد سريع بسبب خطابات (ابرام) ولكن الرجل قال أن هذه الخطابات لا تهمه البتة ثم قفل السكة ٠

طرت الى لندن ثم رجعت ٠ وفى ٢٢ يونيه ، طلبنى بالتليفون رجل آخر غريب أيضا وقال (هل أنت مستعد للذهاب ؟)

كلمته مرة أخـرى عن الخطابات التى معى وقلت (انى تكلمت عنهـا مع الرجل الذى حدثنى فى المرة السابقة) فاجاب : (ليس عندى ما اتحدث به اليك أكثر من هذا حتى أكتوبر) ثم قفل ٠

حاولت معهم فى باقى يونيه وأغلب يوليه ولكن عبثا فلم يرد أحد كلية على التليفون ٠ وفى ٢٣ يوليه وصلنى خطاب من (جاك) يطلب منى فيه أن أسرع باتخاذ عمل سريع ، كمـا كتبت زوجته (ميرا) ملاحظة فى الخطاب تسأل عن أحوالى وتطلب منى أن أتخذ قرارا نهائيا معهم ٠

رجعت الى نيويورك فى أغسـطس ولم يطاوعنى قلبى فى أن أخبره بأن أحدا فىالجماعة السرية بأكملهم لم يهتم كلية بأية منخطاباته وبأنى أودعتها جميعا فى خزنة فى فرع زيوريخ للبنك الكريدى سويس ٠

عندما تقابلنـا كان أول ما سألنى عنـه (لمن سلمت خطاباتى ؟ هل هو الرجل المسئول يا (بابوريس) ٠ هل أنت متأكد أنه الرجل المسئول ؟)

فقلت له مع هز كتفى (بل هو فرد أقل أهمية) ٠

فكان كلامى هـذا مدعاة هوسه فصرخ (اتسلم قصـة حياتى لفرد أقل أهمية ! من هو هذا الشخص ؟ وكيف عرفت أنه رجل يتحمل مسئولية)٠

وقاطعته وذكرته بأنه كثيرا ما ائتمن رجال بريدعاديين وغيرهم فى ايصال وثائق هامة عندما لم يتمكن من الاتصال بغيرهم من الرؤساء .

هدأ نوعا وقال أنه يفهم اني لا أغدر به ، ولكن سبب ثورته هو أن هذه الخطابات حيوية جدا بالنسبة اليه . ثم جلس وأخذ يستعرض أحواله وقال ثانية أنه لا يشك فى أن (زورووويسكى) قد فضفض لرجال أ م ج وقال (والا فاذا كان هذا حدث فلا بد أنهم سيستجوبوننى أنا الآخر الآن . أليس كذلك ؟)

ولا تزال فى رأسه خطط لكل أمر فقال أنه يمكنه فى أى لحظة أن يذهب الى المكسيك ويقابل السفير الروسى فيها (وسأخبره بكل شيء وسيرتب لى أمر سفرى الى موسكو . بعد ذلك ستكون خدماتى للوطن هامة . فبعد أن يستمعوا الى قصتى فالمحتمل أن يسلمونى أوراقا دبلوماسية وبذلك أتمكن من ارضاء اطماعى فى حياة طويلة رغدة فى بونس ايريس كعضو دبلوماسى فيها) .

عندما نظرت اليه اندهشت من آمال هذا الرجل فى الحياة وهو رجل مهدم ومصدوم وهو دمت الاخلاق فهى بعد آمال قوية . فهو لا يعترف أنه انتهى بل أنه رجل مجاهد لا يمكنه أن يهدأ فكنت أحترم فى (جاك) هذه الخصال أن لم تكن فيه مزايا أخرى .

قال لى يوما (أصبحت هذه الدولة جهنم ولا يمكننى أن أعيش فيها . لذلك لا بد يا بوريس أن يأخذونى منها . يجب . يجب) قال هذا والدمعة تنزل من مآقيه وقال أيضا (انى مع كل ذلك ثورى صادق ولا ينكر ذلك أحد) .

أخبرته بأنى راجع الى أوروبا فى نهاية الاسبوع التالى . وقبل أن أغادر نيويورك كتب (جاك) خطابات أخرى وطلب منى أن أحملها معى وكان أحد هذه الخطابات طوله ستة وعشرون صحيفة . ولم يخرج أحد هذه الخطابات عن ما قبل فى الخطابات السابقة .

وضعت هذه الخطابات مع الاخريات فى بنك زيوريخ . فى هذه الايام كنت أقوم بمشروع جديد أشغلنى ـ وهو انتاج سلسلة من الافلام عن أعمال

واحد وعشرين من علماء اوروبا الذين حصلوا على جوائز نوبل . قضيت خمسة أسابيع زرت فيها بعض هؤلاء العلماء الممتازين وهم من أعظم مفكرى العالم وعلمائهم . لقد كانوا اناسا محترمين ـ جميعهم ـ ولا شك فهمصفوة خيار الناس .

وكنت أثناء حديثى معهم كأنى استنشق عبير الهواء بعد حياتى سنين طويلة فى جو الجاسوسية والاعمال السرية .

لم أرجع من فينا قبل ٨ أكتوبر ، وحتى هذا الوقت لم يرد أحد على تليفوناتى المتكررة على النمرة القديمة فكتبت الى (جاك) كرت بريد بذلك لانه كان يرسل الى تلغرافا بين كل يوم وآخر . وكل ما كتبته له هو (لم يسعدنى الحظ بعد ولكنى لا أزال أحاول) .

بعد أن أرسلت له هذا بالبريد الجوىذهبت للقنصلية السوفيتية فى ٢٧ شارع الاجنتين ، وطلبت مقابلة القنصل ولكنى لم اتمكن من تفهيمه عما اتكلم . بعد ذلك قمت بعمل سريع وخطير ، فطالما حذرنى الشيوعيون من الاتصال بالسفارة الروسية من نفسى ، كما أنى نسيت السخافات التى عملها معى (زوبيلين) عندما زرته فى السفارة الروسية فى واشنطون فى مرة منذ عشرة أعوام .

على هذا اقتحمت السفارة الروسية فى فينا وطلبت مقابلة السفير ، وكنت اتحدث كرجل له هذا الحق وأعطيت اسمى (ريابوف) وقلت أن معى رسالة هامة لسيادة السفير شخصيا . اخذونى الى غرفة كبيرة وقفلوا الباب على ، وعندما قفل الفراش الباب استمعت اليه يجرب القفل حتى لا اتمكن من الخروج .

عند ذلك شعرت بالندم لاندفاعى هذا وقد سمعت القفل يقفل من خلفى، بعد برهة حضرالساعى وقال (سيأتيك من يستمع الى حديثك بعد لحظات) .

ثم جاء رجلأشقر خفيف الصلععيناه زرقاوان ضئيلتان كانتله ابتسامة تهكمية تحدث فى قلب الانسان برودا وجمودا ، قال : (الرفيق ريابوف ـ اتبعنى من فضلك) .

ثم قادنى الى حجرة أخرى وقفل الباب من خلفى وقال : (ماذا تريد أن تقول) .

ـ هل أنت السفير ؟

فتعجب من سؤالى هـذا ، هز رأسه وابتسم مرة أخـرى ولم تكن فى ابتسامته هذه أى حرارة أكثر من ابتسامته الاولى ٠

فقلت (أريد أن أسلم هذه الاوراق الى السيد السفير شخصيا) ٠

ـ سأوصلها اليه ، أعدك بهذا ٠

فتحت ظرفا كبيرا يحتوى جميع الخطابات وأخرجت الخطابات واحداواحدا واريته الاسم الذى كتبته على كل منها ـ كروتوف وميخاييل بتروفيتش ٠

فقال : ستصل هذه الخطابات الى أصحابها وأرجو أن تحضر فى ١١ نوفمبر لتتسلم الرد ٠

قمت من فينا لاتمم زياراتي الى العلماء الحاصلين على جوائز نوبل في لندن وباريس وبرلين وميونيخ ٠ كتبت الى (جاك) من لنـدن وقلت له أن مدة اقامتى فى أوروبا ستطول عمـا كنت اتوقع ، ومعنى هذا ـ بينى وبينه ـ انى سلمت الخطابات الى الروس ومنتظر منهم الرد ٠

حاولت أن أرجع الى فينا فى ١١ نوفمبر ولكنني تأخرت يوما آخر وعندما لم ألق ردا على رقم التليفون القديم ، ذهبت الى السفارة الروسية فى تاكسى فوصلتها فى الحادية عشر صباحا ٠

فى هذه المرة قابلنى رجل آخر غير الرجل الاول وكان ذا شعر أسود وفى أواخر عقده الثالث وقدم نفسه الى باسم (فاديم Vadim) وتأسف لانه لن يتمكن من اعطائى أى رد ، وفسر هـذا بأن الاتحاد السوفيتى مشـغول بمقاومة الثورة الهنجارية عن الامور الروتينية ٠ ثم قال (ايمكنك يا (ريابوف) أن تحضر باكر فى نفس الميعاد ؟) وعدته بهذا ، وذهبت بالفعل ٠

ثم قال لى بهدوء (لا تقابل بيتر) مرة أخرى يا (ريابوف) مهما كانت الظروف) ٠

وهكذا ضاعت كل هذه الكتابات للخطابات واختيار (جاك) للالفـاظ وكل هذه المؤتمرات مع (ميرا) ومعى وهذا التدافع والرجاوات من (جاك

سوبل) • وبهذا انتهت فائدته لموسكو وربما فائدتى أنا أيضـا للولايات المتحدة وأخيرا رأيت أن اسأل (فاديم) :

ـ وماذا عنى أنا ؟

ـ عليك أن تعد نفسك لمأمورية جديدة فى الاسبوع الاخير من يناير وعليك الانتظار خلف دار الاوبرا فتقف أمام فندق ساخار ثم قال لى أن (ميخاييل بتروفيتش) بعث الى بتحياته ويرجو ألا أعلم أحدا بوجودى فى فينا أو أنى كنت فى السفارة يوما ما • ونصحنى أن أغادر فينا فى الحال ان أمكن •

سافرت فى اليوم التالى ونزلت فى باريس وقضيت فيها أسبوعا حاولت فيه أن اتصل مع (جين فوستر زيلاتوفيسكى) عبثا •

وصلت نيويورك فى أواخر نوفمبر وقمت منهـا مباشرة الى كاليفورنيا لعمل عاجل ولم أرجع الى نيويورك قبـل ٦ نوفمبر وفى ذات اليوم طلبت (سوبل) تلفونيـا فحضر الى غرفتى فى فندق سافوى بلازا • قلت له ان التعليمات صدرت الى بعدم الاتصال به بتاتا ، وستصدر أوامر السوفيت بخلاف ذلك اذا دعت الضرورة •

وقد فوجئت باقتناعه بهذا ولم يتألم فقد ضؤل الامل عنده الى درجة مريعة، وقال أنه وقع فى نفس الظرف فى باريس فى عام ١٩٤٧ عندما فقد اتصاله كلية بهم وطلب من (البام) ان يجدد الاتصـال بينه وبينهم وقال له (البام) عندئذ أن الاوامر تقضى بعدم التحدث معـه و (انهم) سيتصلون به عندما يعرفون أنه أكثر حرصا • ثم سألنى هل وعد السوفييت بمد يد المساعدة المالية اليه فنفيت هـذه النية عندهم • تحدث ثانيـة عن ذهابه الى مدينة المكسيك والضغط على السفارة الروسية فيها •

بلغ ابنه اليوم السابعة عشر وأصبح فى سن التجنيد فقال جاك (انى لا أريده أن يخدم جيش الولايات المتحدة) •

أعطانى آخر خطاباته الى المركز عندما رجعت الى أوروبا فى ١٤ ديسمبر ١٩٥٦ لاتمام مشروع فيلم علماء جائزة نوبل • وفى ليلة رأس السنة كنت مدعوا مع بعض رجال الافلام فى مشاهدة فيلم يظهر نجما عظيما جديدا اسمه (بروكمان) •

وبعد العرض ، وكان ذلك في برلين الشرقية ، قابلت مصورا كنت عرفته في باريس وهو (فلاديمير بوفزنر Vladimir Povsner) وكان هو مصور جميع الافلام في برلين الشرقية • وعزمني على العشاء ووعد أن يحدد الموعد معي تليفونيا • وعندما تحدث بالتليفون قال أن رجلا ثالثا كان قد قدمه الى بعد العرض ، يود أن يكون موجودا معنا ، فرحبت بالفكرة طبعا. ولكن اليوم التالى حدثتنى سكرتيرة (بوفزنر) وقالت (ان بوفزنر لن يتناول العشاء معك) وقبل أن أجيب عليها وضعت سماعة التليفون •

هذا كان انذارا لى ، والذى اعتقده أن (بوفزنر) كان يرى أني ـ بلاءا ـ بالنسبة لشيوعيتى وأن من الجنون أن يراه الناس وهو يتناول العشاء معى •

ولكن هذا على كل حال صور لى كم أنا آمن على نفسى اذا حافظت على موعدى المضروب لى فى فينا فى الاسبوع التالى وهو الاسبوع الاخير من يناير فهل كانت شكوكى على أنى أصبحت رجلا معروفا ، على صواب ؟ لم اتأكد من هذا ولكنى على كل حال حرصت على أن أكون بعيدا عن المنطقة الشرقية فى الايام الاربعة الاخيرة من اشتغالى بعملى فى برلين •

وكلما ازداد تفكيرى فى الامر كلما ازدادت مخاوفى • وفى النهاية طرت الى ميونخ وانتظرت فيها محاولا أن أضع قرارى عما أعمل •

وفى اليوم السابق ليوم الموعد معهم ، وفى الساعة السابعة صباحا صحوت على أصوات أقدام فى الردهة فبدأ قلبى يدق بشدة وكنت كالمجنون •

سكتت الاقدام عند باب غرفتى •

فهل بدأت نهايتى ؟ وفى غرفة بفندق باير شيرهوف فى ميونيخ ؟ دق شخص باب الغرفة • بدأت انفاسى تقف • استمر دق الباب ثم سكت مرة واحدة • وعندما مسكت أنفاسى رأيت الاكرة تلف بهدوء ، وشكرا لله فلم أكن قد نسيت قفل الباب بالمفتاح منذ الليل •

بعد ذلك رأيت ظرفا رفيعا طويلا ينزلق تحت عقب الباب فقمت من الفراش وسرت على أطراف اصابعى وقبضت انفاسى مرة أخرى ثم انحنيت والتقطت الظرف وقد كان عبارة عن تلغراف • وضعت اذنى على الباب لاستمع فلم اسمع احدا • فهل هناك كمين ؟

كنت أرتعش كرجل أصابته حمى الملاريا فمشيت الى الحمام لافتح التلغراف ولم أحذر من عمل صوت عند تمزيقى ظرف التلغراف ·

كانت البرقية عبارة عن كلمة واحدة وكانت من سكرتيرتى فى نيويورك هى (سينراما) وهى اصطلاح كودى معناه أن أ م ج تحذرنى من خطر !

فى نفس اليوم كنت علي طائرة من طائرات (بان أمريكا) متجهـا الى نيويورك وكان رجلا أ م ج فى مطار لاجارديا يستقبلانى ويحييانى ·

عند نزولى من الطائرة والتقائى بهما قال أحدهما (شكرا لك يا مستر (موروس) والآن يمكنك أن ترجع الى عملك فى السينما · فقد قبضنا على (جيك البام) و (جاك وميرا سوبل) اليوم · ولا حاجة لمجهودك معنا بعد اليوم الا كشاهد فى أثناء المحاكمة) ·

وقد نسيا أن يذكرا لى أنى الشاهد الحكومى الوحيد ضد حلقة جاسوسية (سوبل) · وكانت شهادتى وهى تحت إشراف أ م ج قوية حتى أن أحدا من الثلاثة المتهمين لم يبالى بأن يقف أمام المحكمة العليا الفدرالية فقديئسوا· كان من ضمن الستة ادعاءات ـ التآمر على نقل أسرار دفاع الولايات المتحدة الى روسيا السوفيتية ـ وهى جناية جزاؤها الاعدام ·

بعد اقامة الادعاءات بواسـطة القاضى الفررالى (ريتشارد هـ · ليفيت Richard H. Levet) شرح محامى سوبل واسمه (جورج وولف) أن (جاك وميرا) قد ارتميا فى أحضـان المحكمة واستلهما منها الرحمة فقـد (كانا تحت عبء ثقيل أرادا أن يتخلصا منه) ·

وفى مايو ١٩٥٧ حكم على كل من (جاكوب البام وميرا سوبل) بخمسة أعوام ونصف العام بالسجن · وأما (جاك سوبل) فقد تأجل النطق بالحكم عليه حتى سبتمبر) ·

وادين أيضا كل من (جين فوستر زيلاتوفيسكى وجورج زيلاتوفيسكى) فى ٨ يولية لتآمرهما مع روسيا ضد الولايات المتحدة · ولكنهما وقد ابديا سخطهما وحنقهما من هذا الظلم والقسوة رفضا الرجوع من باريس لتبرئة أنفسهما · ولم يتمكن المحامى العام للولايات المتحدة بول و · يليامز وكبير مساعديه توماس ح · جيلكرايست الصغير من محاكمتهمـا لان القانون الفرنسى يعتبر الجاسوسية أمرا سياسيا وليست جريمة عادية ·

وفي ٨ سبتمبر اقيمت دعاوى مشابهة ضد كل من (الفرد ك ستيرن ومارتا ضوض ستيرن) اقتضت تقديمهما للمحكمة العليا وكانا قد سافرا الى مدينة المكسيك قبل اقامة الدعوى بأيام قليلة • وعندما دعيا للمثول أمام المحكمة العليا في نيويورك وافق كل من (الفرد ومارتا) بل وطلبا مبلغ ٩٦٧ دولارا وهي نفقات انتقالهما على حساب السلطات الفدرالية ، ولكن بدلا من حضورهما الى نيويورك اختفيا وقد أشيع أنهما دفعا مبلغ ١٠ر٠٠٠ دولارا ثمنا لجوازات من باراجواى لهما وابنهما بالتبنى (روبرت) البالغ من العمر اثنى عشر عاما • وفي الفترة بين الاعلام الرسمى واقامة الدعوى أمكنهما تحويل مبلغ يزيد على مليون دولارا من الولايات المتحدة •

بعد ذلك طار (ستيرن) وزوجته الى امستردام ومنها الى براج ، وقد قال المستر (ويليامز) عند سماعه هذه الاخبار (لا أمل لنا في احضارهما للمحاكمة أمامنا بعد هذا) •

وفي نفس الشهر حكم على (جاك سوبل) بسبعة أعوام في السجن الفدرالى • وعندما نطق القاضى (ليفيث) بهذا الحكم أعلن أنه انما خفض مدة الحكم بالسجن على (ماير سوبل) الى أربعة أعوام وعن (جاكوب البام) الى خمسة أعوام كجزاء لهما على تعاونهما مع السلطات الفدرالية •

قبل تلك الايام نشرت صحيفة (نيويورك هيرالد تريبيون) مقالا تحت عنوان (المستر موروس يدير الدائرة عليهم) وقالت الصحيفة أن قصتى صادقة بما في ذلك أن (أ • فيليب أوبنهايم) اتصل بى ، والرسالات السرية ، والاتصالات مع العملاء في نيويورك وميونيخ وفينا ، والمؤتمرات السرية في موسكونفسها ، وحراسي والهروب الحاذق وكان هناك نجاح باهر على الجواسيس السوفيت في هذه الدولة ، كما كان ذلك شاهدا عظيما على النشاط السوفيتى في كل مكان •••

وقد اعطى المستر (موروس) فرصا عظيمة في قصته المثيرة للصحافة مما يزيح الستار عن الحياة التى عاشها معهم ••

وقد خدم وطنه خدمة ممتازة وأدار الدائرة على عصابة المتآمرين الخطيرة)• ولكن عندما توجه (الفرد ك•ستيرن) الى براج تحول فجأة وأعلن أنى رجل مغرم بالدعاية وقال (ما هو رد الفعل العائد على حكومة الولايات المتحدة من أن تدعم هذه الاخلاق الخسيسة محاولة أن تجعل منه بطلا للشعب الامريكى !) اذن فكنت أنا رجلا خسيسا •

اقال (الفرد) أيضا : عندما تحين الفرصة لنا لدراسة الاقوال والتقارير والادعاءات ، فسنعطى أقوالا أكثر ايضاحا ونفس الحركات التى تمت خلف هذه الاتهامات الخيالية ٠

وفى نفس الوقت سنقوم بزيارة هذا الوطن المحب للسلام ونتمتع برحلة ممتعة وهادئة) ٠

فى هذا الوقت أعلن عضو الكونجرس (فرانسيس أ ٠ وولتر) رئيس اللجنة البرلمانية عن الشئون الغ يرأمريكية اسمى (الزوج الذرى) وهما الدكتور والمسز (هنرى سبيتز Henry Spitz) وقد رفض كلاهما الرجوع لامريكا٠ وقال الدكتور سبيتز عن الادعاءات المقامة عليه وعلى وزجته أنها موجبة للسخرية ٠

فى غضون ١٩٥٨ ظهرت سلسلة من القصص الصحفية عن (مارتا ضوض ستيرن) وقد وصفت نفسها أنها كانت ضحية مع زوجها (الفرد) لحملة أمريكية من التشهير والافتراء ٠

وعندما كانت فى موسكو فى ٢ يناير كتبت مقالا امتدحت فيه اللجنة المركزية برئاسة خروشوف من أجل (تخفيف التوتر وخلق جو من الثقة) فى الاتحاد السوفيتى ٠ كذلك امتدحت انشاء الطرق الواسعة فى موسكو مع قلة تكاليفها وكذلك عرباتها وحتى جوها ! (بعد ذلك بشهرين رجعت الى براج وحاولت من جديد أن اتنفس عبير الحرية فيها) وقالت هذه السيدة ابنة السفير الامريكى أنها تركت الولايات المتحدة لانها كانت تعيش فيها (فى جو من الخوف من الاضطهاد) وعندما سئلت كيف احبت العاصمة التشيكية وهى خاضعة للشيوعيين قالت أنها ملأتها بالافتتان وبشعور من الارتياح ٠

ويجب أن أقر بأنى فرحت بأن أجد انسانا واحدا يحب هذه المدينة وكذلك ارتحت الآن لان مساعدتى لحلقة جاسوسية (سوبل) قد تلاشت ٠

وعندما كان هذا الكتاب يعد للطبع حدثت حادثتان تثبتان أهميتى فى معاونة أ م ج ضد هذا الجهاز السوفيتى فى هذه الدولة ٠

أولاهما كانت محاولة (جاك سوبل) الغريبة للانتحار بأن تناول كمية كبيرة من الصواميل والمسامير من احدى الورش فى اصلاحية لويز برج حيث كان مسجونا وذلك عندما علم بأنه قريبا سوف ينقل الى نيويورك للمحاكمة أمام المحكمة الفدرالية العليا فيها وكان بذلك يحاول التهرب من التحدث ضد زملائه السابقين وهم بالطبع أعضاء حلقات الجاسوسية الروسية الاخرى والذين لم يذكر عنهم شيئا لى أبدا ٠

والثانية هي القبض على (مارك زيبوروويسكى) لشهادة الزور وهو الرجل الذى طلب (سوبل) من موسكو اخراجه من أمريكا قبل أن يفشى السر ٠ و (زيبوروويسكى) هو مساعد باحث فى علم التاريخ الطبيعى للاجناس البشرية فى هارفارد وعمره خمسون عاما وقد اتهم بالكذب على الحكومة عندما انكر أمام المحكمة العليا الفدرالية فى نيويورك بأنه قابل (سوبل) كلية بين ١٩٤٤ ، ١٩٤٧ ٠ ففى غضون هذه السنوات الثلاث اتهمت وزارة العدل الاثنين بانهما تقابلا خمسين مرة وعندما أعد هذا الكتاب للطبع كانت الكفالة التى قضى بها علىزبوروويسكى ـوهى عادة ٢٠ر٠٠٠٠ دولارا قد خفضت الى ٢٥٠٠ دولارا واجلت محاكمته ٠ وبعد ذلك بقليل حكم على (سلافا) وهو صديق جاك سوبل الخطير بعام مع ايقاف التنفيذ لمخالفته أمر المحكمة فانه لم يستجب الى طلب الحضور ست مرات أمام المحكمة العليا الفدرالية فى نيويورك ، وقد اعترف بأنه مذنب ولكنه اعتذر بمرضه ٠

لا أعرف شيئا عن حركات هذين الرجلين خلاف ما قاله (سوبل) عنهما وكان كذبا ٠ ولكنى أعلم أن المذلة والطرد والسجن لجميع العملاء الروسيين فى المنظمات الجاسوسية فى هذه الدولة كان جاريا باستمرار واستمرت أ م ج فى هذا الاجراء حتى لم يبق منهم أحد ٠

أما عن نفسى فقد بقيت الكلمات التى قالها رجال أ م ج (شكرا يا مستر موروس) هى أعظم كلمات سمعتها فى حياتى على المسرح أو على الشاشة او فى حياتى الحقيقية وهى كل جزائى الذى أطالب به عن العشر سنوات التى قضيتها فى خدمة أ م ج ٠

فهـــرس

صفحة

